المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورةُ يس، سورةُ الصَّافَّاتِ

(المجلَّدُ السَّابعُ والعشرونَ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ يس

سُورةُ يس

سُورةُ يس

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (يس).[1]

سورةُ (يس) مَكِّيَّةٌ،[2] وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.[3]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

تقريرُ أمَّهاتِ أُصولِ الدِّينِ: وَحدانيَّةِ اللهِ ربِّ العالَمينَ، والبَعثِ والجَزاءِ، والوَحيِ والرِّسالةِ.

---

(1) سُمِّيتْ هذه السُّورةُ بـ (يس)؛ لأنَّ اللهَ تعالى افتَتحها بها، وقد انفرَدت هذه السُّورةُ بافتتاحِها بهَذَينِ الحرفَينِ، فمُيِّزَت بهما عن بقيَّةِ السُّوَرِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/390)، ((تفسير ابن عاشور)) (22/341).

ويُنظر ما رُويَ في تسميتِها بهذا الاسمِ في ((الدر المنثور)) للسيوطي (7/37).

(2) وقيل: مَكِّيَّةٌ إلَّا آيةً منها، وهي قَولُه تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا ...
[يس: 47]؛ فمَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/398)، ((تفسير الماوردي)) (5/5).

وقيل: آيةُ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ [يس: 12] مَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/445)، ((تفسير الرسعني)) (6/308)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (1/63).

(3) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة، والقُرطبيُّ، والفيروزابادي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/445)، ((تفسير القرطبي)) (15/1)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/390).

مِن أهَمِّ مَوضوعاتِ هذه السُّورةِ:

1- التَّأكيدُ على صِدقِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإثباتُ رِسالتِه.

2- ذِكرُ قِصَّةِ أصحابِ القريةِ، وما جرَى بيْنَهم وبينَ الرُّسُلِ الَّذين أرسَلَهم اللهُ إليهم.

3- بيانُ بعضِ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، ونِعَمِه على عِبادِه.

4- الإخبارُ ببَعضِ دَعاوى المُشرِكينَ الباطِلةِ، مع الرَّدِّ عليهم، وبَيانُ مَشهَدِ خُروجِهم مِن قُبورِهم يومَ القيامةِ للحِسابِ والجَزاءِ.

5- بيانُ ما أعدَّه اللهُ تعالى للمُؤمِنينَ في الجنَّةِ، وما أعدَّه للكافِرينَ، وشَهادةِ جَوارِحِهم عليهم.

6- تنزيهُ القرآنِ عن أن يكونَ مُفترًى، وتَبرِئةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ممَّا اتُّهِمَ به مِن نَظمِ الشِّعرِ، وتَسليتُه عمَّا أصابَه، مع بيانِ وظيفتِه، وهي البَلاغُ والإنذارُ.

7- خُتِمَت السُّورةُ بتقريرِ البَعثِ، والرَّدِّ على أحدِ مُنكِريه.

سورةُ يس

الآيات (1-12)

يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ
(8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

صِرَاطٍ: أي: طريقٍ واضحٍ واسعٍ سهلٍ، قيل: أصلُ الصَّادِ فيه سينٌ؛ مِن قولِهم: سرطْتُ الطَّعامَ؛ إذا أسرعتَ بلعَه.

حَقَّ الْقَوْلُ: أي: وجَب العذابُ، وأصلُ (حقق): يدُلُّ على إحكامِ الشَّيءِ، وصِحَّتِه.

أَغْلَالًا: أي: سَلاسِلَ، جَمْعُ غُلٍّ، وهو طَوقٌ تُشَدُّ به اليدُ إلى العُنُقِ، وأصلُ (غلل): يدُلُّ على إحاطةٍ وثَباتٍ.

مُقْمَحُونَ: أي: مَرفوعو الرُّؤوسِ مع غضِّ الأبصارِ، مِن قَولِهم: بعيرٌ قامِحٌ: وهو الرَّافِعُ رأسَه مِن الإبِلِ عندَ الشُّربِ؛ امتِناعًا منه، والإقْماحُ: رفْعُ الرَّأْسِ وغَضُّ البصَرِ.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ: أي: أعمَيْناهم، وغطَّيْنا أبصارَهم، وأصلُ (غشي): يدُلُّ على تغطيةِ شَيءٍ بشَيءٍ.

وَآثَارَهُمْ: أي: خُطاهم، وما استُنَّ به بَعْدَهم مِن سُنَنِهم، وأصلُ (أثر): يدُلُّ على رَسمِ الشَّيءِ الباقي.

أَحْصَيْنَاهُ: أي: أثْبَتْناه وكَتَبْناه، والإحصاءُ: التَّحصيلُ بالعددِ، مِن لفظِ الحصى، واستِعمالُ ذلك فيه مِن حيثُ إنَّهم كانوا يَعتمِدونَه بالعدِّ، وأصلُه هنا: العَدُّ والإطاقةُ.

إِمَامٍ مُبِينٍ: أي: اللَّوحِ المحفوظِ، والإمامُ: الكِتابُ، وأصلُ (أمم): يدُلُّ على الأصلِ والمرجعِ، وسُمِّي اللَّوحُ المحفوظُ بذلك لِكَونِه أصلَ كلِّ ما كُتِب مِن كُتُبٍ وصُحُفٍ، وأصلُ (بين): انكِشافُ الشَّيءِ، يُقالُ: بانَ الشَّيءُ وأبانَ، إذا اتَّضَح وانكشَفَ.

تَفسيرُ الآياتِ:

يس (1).

هذه الحروفُ المقطَّعةُ التي افتُتِحَتْ بها هذه السُّورةُ وغيرُها، تأتي لبيانِ إعجازِ القرآنِ؛ حيثُ تُظهِرُ عجْزَ الخَلْقِ عن معارضتِه بمثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ الَّتي يَتحدَّثونَ بها.[4]

---

(4) قال ابنُ القيم (٢/ ٣٥٦): «الصحيح أن ﴿يس﴾ بمنزلة ﴿حم﴾ و﴿الم﴾، وليست اسمًا من أسماء النبي – ﷺ –».
يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (160/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (206/1)، ((تفسير ابن عُثيمين– الفاتحة والبقرة)) (24/1).
قال الشوكاني: (واختُلِف في معنى هذه اللَّفظةِ؛ فقيل: معناها: يا رجُلُ، أو يا إنسانُ...
وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ وغَيرُه: هو اسمٌ مِن أسماء محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ دليلُه: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ...
قال الواحديُّ: قال ابنُ عبَّاسٍ والمفَسِّرون: يريدُ: يا إنسانُ –يعني: محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم.
وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: معناه: يا سيِّدَ البَشَرِ.
وقال مالكٌ: هو اسمٌ مِن أسماءِ الله تعالى، رَوى ذلك عنه أشهَبُ.
وحكى أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ عن جعفرٍ الصَّادِقِ أنَّ معناه: يا سَيِّدُ.
وقال كعبٌ: هو قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به).
((تفسير الشوكاني)) (412/4).
ويُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (509/3).
وقال ابنُ القيِّم: (الصَّحيحُ أنَّ يس بمنزلةِ حم والم، ليست اسمًا مِن أسماءِ النَّبيِّ).
((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 426).
وقال أيضًا: (أمَّا ما يَذكُرُه العوامُّ أنَّ يس وطه مِن أسماءِ النَّبيِّ، فغيرُ صَحيحٍ؛ ليس ذلك في حديثٍ صَحيحٍ ولا حَسَنٍ ولا مُرسَلٍ، ولا أثَرٍ عن صاحِبٍ، وإنَّما هذه الحروفُ مِثلُ: الم وحم والر ونحوِها).
((تحفة المودود)) (ص: 127).
ونسَبَه الزَّجَّاجُ إلى أهلِ العربيَّةِ.
يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (277/4).
وقال الشنقيطي: (قولُه تعالَى: يس التَّحقيقُ أنَّه مِن جملةِ الحروفِ المُقَطَّعةِ في أوائلِ السُّورِ).
((أضواء البيان)) (286/6).

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2).

أي: أُقسِمُ بالقُرآنِ ذي الحكمةِ، المحكَمِ المتقَنِ، فلا اختِلافَ فيه ولا خَللَ، ولا يَأتيه الباطلُ مِن بينِ يَدَيْه ولا مِن خَلفِه، الحاكمِ الَّذي يجبُ الرُّجوعُ إليه.(5)

---

(5) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٣٣): «و﴿الحَكِيمِ﴾: المحكم، فيكون بمعنى مفعول، أي: أُحكم في مواعظه وأوامره ونواهيه، ويحتمل أن يكون ﴿الحَكِيمِ﴾ بناء فاعل، أي: ذو الحكمة».

قال أبو حيان: (الحكيم: إمَّا فعيلٌ بمعنى مُفعَلٍ...، وإمَّا للمُبالَغةِ مِن حاكمٍ، وإمَّا على معنَى السَّبَبِ، أي: ذي حكمةٍ).

((تفسير أبي حيان)) (48/9).

ممَّن اختار أنَّ الحكيمَ بمعنى المُحكَمِ: مقاتلُ بنُ سُــليمانَ، وابنُ جرير، والواحديُّ، ومكّي، والقرطبي، وابنُ كثيرٍ، وجلالُ الدين المحلي، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفســير مقاتل بن ســليمان)) (573/3)، ((تفســير ابن جرير)) (399/19)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 896)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6000/9)، ((تفسـير القرطبي)) (5/15)، ((تفسـير ابن كثير)) (563/6)، ((تفسـير الجلالين)) (ص: 578)، ((تفسير العليمي)) (466/5).

وممَّن اختار أنَّ معنى الحكيمِ: ذو الحكمةِ: الخازنُ، والإيجي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير الخازن)) (3/4)، ((تفسير الإيجي)) (416/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 692).

قال السعدي: (الحكيمُ الَّذي وَصْفُه الحِكمةُ، وهي وَضْعُ كلِّ شَيءٍ مَوضِعَه؛ وضْعُ الأمرِ والنَّهيِ في الموضِعِ اللَّائقِ بهما، ووضْعُ الجزاءِ بالخَيرِ والشَّرِّ في محلِّهما اللَّائقِ بهما؛ فأحكامُه الشَّرعيَّةُ والجزائيَّةُ كُلُّها مُشتمِلةٌ على غايةِ الحِكمةِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 692).

وقال الزمخشري: (الْحَكِيم: ذي الحِكمة، أو: لأنَّه دليلٌ ناطِقٌ بالحِكمة، كالحَيِّ، أو لأنَّه كلامُ حَكيمٍ، فوُصِفَ بصِفةِ المتكلِّمِ به).

((تفسير الزمخشري)) (3/4).

وعلى القَولِ بأنَّه بمعنى حاكمٍ، فالمرادُ أنَّ القرآنَ حاكِمٌ على جميعِ الكُتُبِ الَّتي أنزلها اللهُ تعالى مِن قَبلُ، يُميِّزُ صــحيحَها مِن مُحرَّفِها، مِثلُ قَولِه تعالى: وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ [المائدة: 48]، وقَولِه تعالى: وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقرة: 213].

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (115/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (82/11).

وقال ابنُ عُثيمين: (فالقُرآنُ حَكيمٌ بكُلِّ مَعنى الحِكمةِ، وبكُلِّ معنى الإحكامِ، وبكُلِّ معنى الحُكمِ... ذو حِكمةٍ، ومُحكَمٌ، وحاكِمٌ).

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3).

أي: إنَّك –يا محمَّدُ– لَمِن جُملةِ المُرسلينَ إلى عبادِ اللهِ بوَحْيِه.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4).

أي: على طَريقِ الهُدى المُستقيمِ الَّذي لا اعوِجاجَ فيه، الموصِلِ إلى اللهِ وإلى جنَّتِه.[6]

كما قال تعالى: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الزخرف: 43].

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5).

أي: نَزَّل اللهُ تعالى هذا القُرآنَ تنزيلًا مِن ذي القَدْرِ العظيمِ، الغالبِ الَّذي لا يُغلَبُ، المُمتنعِ مِن أنْ يَنالَه سوءٌ، ومِن عِزَّتِه الانتِقامُ ممَّن كفَر بالحقِّ، الرَّحيمِ بمَنْ آمَنَ به واتَّبعه.

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6).

((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 11، 12).

(6) قال ابنُ جرير (١٩/ ٤٠٠): «وفي قوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق.

فيكون حينئذ ﴿على﴾ من قوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ من صلة الإرسال.

والآخر: أن يكون خبرًا مبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم».

أي: أُنزِلَ القُرآنُ لِتُنذِرَ –يا مُحمَّدُ– القومَ[7] الَّذينَ لم يُنذَرْ آباؤُهم برَسولٍ مِن قَبْلِك؛ فهم لذلك غافِلونَ عن الحَقِّ.[8]

---

(7) قال ابنُ عاشور: (القومُ المَوصوفون بأنَّهم لم تُنذَرْ آباؤُهم: إمَّا العَرَبُ العَدْنانيُّون؛ فإنَّهم مَضَت قرونٌ لم يأتِهم فيها نذيرٌ، ومضى آباؤُهم لم يَسمَعوا نذيرًا، وإنَّما يُبتدأُ عَدُّ آبائِهم مِن جَدِّهم الأعلى في عمودِ نَسَبِهم الَّذي تميَّزوا به جِذْمًا وهو عَدْنانُ، لأنَّه جِذْمُ –أي: أصلُ– العرَبِ المُستَعرِبةِ، أو أُريدَ أهلُ مكَّةَ).

((تفسير ابن عاشور)) (348/22).

وقال إسماعيل حقي: (المعنى: لِتُنذِرَ قَومًا لم يُنذَرْ آباؤهم الأقرَبون؛ لِتَطاوُلِ مُدَّةِ الفَترةِ، ولم يَكونوا مِن أهلِ الكتابِ...

فآباؤهم الأقدَمون أتاهم النَّذيرُ لا مَحالةَ، بخِلافِ آبائِهم الأدنَينَ، وهم قُرَيشٌ، فيَكونُ ذلك بمعنى قَولِه: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ [المؤمنون: 68]).

((روح البيان)) (368/7).

وقال الرازي: (معنى قَولِه تعالى: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ أي: ما أُنذِروا بعدَما ضَلُّوا عن طريقِ الرَّسولِ المتقَدِّمِ، واليهودُ والنَّصارى دخلوا فيه؛ لأنَّهم لم تُنذَرْ آباؤهم الأدنَونَ بعدما ضَلُّوا، فهذا دليلٌ على كَونِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم مَبعوثًا بالحَقِّ إلى الخَلقِ كافَّةً).

((تفسير الرازي)) (253/26).

وقال السمعاني: (قَولُه تعالى: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فيه قولانِ؛ أحدُهما: أنَّ «ما» للنَّفيِ، والمعنى: لم يُنذَرْ آباؤهم أصلًا؛ فإنَّ اللهَ تعالى ما بَعَث إلى قُرَيشٍ سِوى النَّبيِّ.

والقَولُ الثَّاني: أنَّ «ما» هاهنا بمعنى الَّذي، فمعنى الآيةِ على هذا: لِتُنذِرَ قَومًا بالَّذي أُنذِرَ آباؤُهم).

((تفسير السمعاني)) (367/4).

ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ –أنَّ (ما) نافيةٌ–: الأخفشُ، والزَّجَّاجُ، والثعلبيُّ، والبغوي، والخازن، وابن جُزَي، وابن كثير، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي، وذكَر الواحديُّ أنَّه قولُ عامَّةِ المفسِّرينَ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للأخفش (488/2)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (278/4)، ((تفسير الثعلبي)) (121/8)، ((تفسير البغوي)) (5/4)، ((تفسير الخازن)) (3/4)، ((تفسير ابن جزي)) (179/2)، ((تفسير ابن كثير)) (563/6)، ((تفسير الشوكاني)) (413/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 692)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (286/6)، ((البسيط)) للواحدي (452/18).

وممَّن اختار القولَ الثَّانيَ: السمرقنديُّ، ونسَبَه الواحديُّ لِمُقاتِلٍ.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (116/3)، ((البسيط)) للواحدي (452/18).

كما قال تعالى: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [القصص: 46].

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7).

أي: لقد وَجَب عذابُ اللهِ على أكثَرِ مُشرِكي العَرَبِ الَّذين سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّهم لا يهتَدونَ، فأكثَرُهم مُستَمِرُّونَ على الإصرارِ على كُفرِهم حتَّى يأتيَهم الموتُ وهم على ذلك.

قال ابنُ عطيَّة: (اختلَف المفسِّرون في قولِه: مَا أُنْذِرَ؛ فقال عِكْرِمةُ: «ما» بمعنى: الَّذي، والتَّقديرُ: الشَّيءُ الَّذي أُنذِرَه الآباءُ مِن النَّارِ والعذابِ.

ويَحتمِلُ أن تكونَ «ما» مصدريَّةً على هذا القولِ مِن أنَّ الآباءَ أُنذِروا.

فالآباءُ على هذا كلِّه هم الأقْدَمون على مَرِّ الدُّهورِ، وقولُه تعالى: فَهُمْ مع هذا التَّأويلِ بمعنى: فإنَّهم، دخلَتِ الفاءُ لقطعِ الجُملةِ مِن الجملةِ.

وقال قَتادةُ: «ما» نافيةٌ، أي: أنَّ آباءَهم لم يُنذَروا، فالآباءُ على هذا هم القريبون منهم، وهذه الآيةُ كقولِه تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ [سبأ: 44]، وهذه النِّذارةُ المنفيَّةُ هي نِذارةُ المباشَرةِ والأمرِ والنَّهيِ، وإلَّا فدَعوةُ الله تعالى مِن الأرضِ لم تنقَطِعْ قَطُّ.

وقولُه فَهُمْ على هذا: الفاءُ منه واصلةٌ بيْنَ الجُملتَينِ، ورابطةٌ للثَّانيةِ بالأُولى).

((تفسير ابن عطية)) (446/4).

(8) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٣٤): «قال عكرمة: ﴿ما﴾ بمعنى: الذي، والتقدير: الشيء الذي أنذره الآباء مِن النار والعذاب.

ويحتمل أن تكون ﴿ما﴾ مصدرية، أي: ما أنذر آباءهم [إنذار آبائهم].

فـ» الآباء «على هذا كله هم الأقدمون على مر الدهر، وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ﴾ مع هذا التأويل بمعنى: فإنهم، دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة».

وقال: «وقال قتادة: ﴿ما﴾ نافية، أي: أن آباءهم لم ينذَروا، فالآباء على هذا هم القريبون منهم، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وهذه النذارةُ المنفيةُ هي نذارة المباشرة والأمر والنهي، وإلا فدعوة الله تعالى مِن الأرض لم تنقطع قط، وقوله: ﴿فَهُمْ﴾ على هذا الفاء منه واصلة بين الجملتين، ورابطة للثانية بالأولى».

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 96، 97].

وقال سُبحانَه: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: 13].

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8).

أي: إنَّا جعَلْنا في أعناقِهم قُيودًا تَبلُغُ أذقانَهم،[9] فهم رافعو رُؤوسِهم[10] لا يَقْدِرونَ أنْ يُطَأْطِئُوها.[11]

---

(9) قال الماوَرْديُّ: (وفي قَولِه: فِي أَعْنَاقِهِمْ قَولانِ؛ أحدُهما: في أيديهم؛ فكَنَّى بالأعناقِ عن الأيدي؛ لأنَّ الغُلَّ يكونُ في الأيدي. قاله الكلبيُّ، ...

الثَّاني: أنَّها في الأعناقِ حَقيقةً؛ لأنَّ الأيديَ تُجمَعُ في الغُلِّ إلى الأعناقِ.

قاله ابنُ عبَّاسٍ).

((تفسير الماوردي)) (7/5).

ممَّن اختار الثانيَ، وهو أنَّ المرادَ: أنَّ الأيديَ مجموعةٌ بالقَيدِ مع الأعناقِ: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، وابنُ جرير، والواحديُّ، والسمعاني، وابنُ كثير، وجلال الدين المحلي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (574/3)، ((تفسير ابن جرير)) (403/19)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 897)، ((تفسير السمعاني)) (367/4)، ((تفسير ابن كثير)) (563/6، 564)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 579)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (288/6).

وممَّن قال بهذا القَولِ مِن السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (404/19).

قال ابن كثير: (لَمَّا كان الغُلُّ إنَّما يُعْرَفُ فيما جَمَعَ اليدَيْنِ مع العُنُقِ، اكتفى بذِكْرِ العُنُقِ عن اليدَيْنِ).

((تفسير ابن كثير)) (564/6).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (403/19).

وقال ابنُ عطيَّة: (وقولُه تعالى: فَهِيَ يحتملُ أن يعودَ على الأغلالِ، أي: هي عريضةٌ تَبلُغُ بحَرفِها الأذْقانَ، والذَّقَنُ مجتمعُ اللَّحْيَيْنِ، فيُضْطَرُّ المغلولُ إلى رفعِ وجْهِه نحوَ السَّماءِ، وذلك هو الإقماحُ...، ويحتملُ -وهو قولُ الطَّبَرِيِّ- أن تعودَ «هي» على الأيدي وإن لم يَتقدَّمْ لها ذِكْرٌ؛ لِوُضوحِ مكانِها مِن المعنى؛ وذلك أنَّ الغُلَّ إنَّما يكونُ في العُنُقِ مع اليدَينِ).

((تفسير ابن عطية)) (447/4).

ممَّن اختار أنَّ الضَّميرَ يعودُ على الأغلالِ: الزمخشريُّ، وابنُ جُزَي، وأبو حيَّان، وابنُ القيم.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (5/4))، ((تفسير ابن جزي)) (179/2)، ((تفسير أبي حيان)) (50/9)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: 95).

قال أبو حيَّان: (والظَّاهرُ عَوْدُ الضَّميرِ في فَهِيَ إلى الأغلالِ؛ لأنَّها هي المذكورةُ والمُحَدَّثُ عنها).

((تفسير أبي حيان)) (50/9).

وممَّن اختار أنَّ الضَّميرَ يعودُ على الأيدي: الفَرَّاءُ، وابنُ جرير، ومكِّي، والزَّجَّاجُ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (372/2)، ((تفسير ابن جرير)) (403/19)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6005/9)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (279/4).

---

(10) ممَّن اختار أنَّ المرادَ بقوله: مُقْمَحُونَ أي: رافِعو رؤوسهم: القرطبيُّ، والنسفي، وابن جُزَي، والسمين الحلبي، وابن كثير، وجلال الدين المحلي، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (8/15)، ((تفسير النسفي)) (96/3)، ((تفسير ابن جزي)) (180/2)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (248/9)، ((تفسير ابن كثير)) (563/6)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 579)، ((تفسير السعدي)) (ص: 693)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (288/6).

وممَّن اختار أنَّ معنى المُقْمَح: الرَّافعُ رأسَه الغاضُّ بصَرَه: الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ، والزَّجَّاجُ، والسمرقنديُّ، والبغوي، والزمخشري، والخازن، والبِقاعي، والعُلَيمي، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (373/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 363)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (279/4)، ((تفسير السمرقندي)) (116/3)، ((تفسير البغوي)) (6/4)، ((تفسير الزمخشري)) (5/4)، ((تفسير الخازن)) (4/4)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (95/16)، ((تفسير العليمي)) (469/5)، ((تفسير أبي السعود)) (160/7)، ((تفسير الشوكاني)) (414/4)، ((تفسير القاسمي)) (174/8).

قال ابنُ جرير: (والمُقْمَحُ: هو المُقْنِعُ، وهو أنْ يَحْدُرَ الذَّقَنَ حتَّى يَصيرَ في الصَّدرِ، ثُمَّ يَرْفَعَ رأسَه، في قولِ بعضِ أهلِ العلمِ بكلامِ العربِ مِن أهلِ البصرةِ.

وفي قولِ بعضِ الكوفيِّينَ: هو الغاضُّ بصَرَه، بعدَ رَفْعِ رأسِه).

((تفسير ابن جرير)) (403/19).

ويُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (157/2).

قال السمين الحلبي: (قوله: فَهُمْ مُقْمَحُونَ هذه الفاءُ لأحسَنِ ترتيبٍ؛ لأنَّه لَمَّا وصلَتِ الأغلالُ إلى الأذقانِ لعرضِها، لَزِمَ عن ذلك ارتفاعُ رؤوسِهم إلى فوق، أو لَمَّا جُمِعَتِ الأيدي إلى الأذقانِ وصارت تحتَها، لَزِمَ مِن ذلك رفْعُها إلى فوق، فتَرتَفِعُ رؤوسُهم).

((الدر المصون)) (248/9).

ممَّن اختار معنى القولِ الأوَّلِ: النَّسَفيُّ، وابنُ جُزَي، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير النسفي)) (96/3)، ((تفسير ابن جزي)) (180/2)، ((تفسير السعدي)) (ص: 693)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (288/6).

قال النسفي: (لأنَّ طَوْقَ الغُلِّ الَّذي في عُنُقِ المَغلولِ يكونُ في مُلتقى طَرَفَيْهِ تحتَ الذَّقَنِ حَلْقةٌ فيها رأسُ العمودِ خارجًا مِن الحَلْقةِ إلى الذَّقَنِ، فلا يُخْلِيه يُطأطِئُ رأسَه؛ فلا يَزالُ مُقْمَحًا).

((تفسير النسفي)) (96/3).

ويُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (5/4).

وممَّن اختار معنى القولِ الثَّاني: الأزهريُّ، والقرطبي، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (51/4)، ((تفسير القرطبي)) (8/15)، ((تفسير العليمي)) (469/5).

(11) اختلف المفَسِّرون في المراد بالآيةِ؛ على قولَين: (أحدُهما: جَعْلُ الأغلالِ حَقيقةً.

والثَّاني: أنَّه استعارةٌ.

وعلى كُلٍّ مِن القولَين جماعةٌ مِن الصَّحابةِ والتَّابِعينَ).

((الدر المصون)) للسمين الحلبي (247/9).

ويُنظر: ((تفسير الماوردي)) (7/5).

ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ –أنَّ ذلك سيَحدُثُ حقيقةً يومَ القيامة، فلمَّا أخبَرَ تعالى أنَّهم لا يؤمِنونَ، أخبَرَ عن شَيءٍ مِن أحوالِهم في الآخرةِ–: أبو حيَّان، وجوَّزه ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (49/9)، ((تفسير ابن عاشور)) (350/22).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير القرطبي)) (9/15).

قال ابنُ عاشور: (فيكونُ فِعلُ جَعَلْنا مُستَقبلًا، وعبَّر عنه بصيغةِ الماضي؛ لتَحقيقِ وُقوعِه).

((تفسير ابن عاشور)) (350/22).

والقولُ الثَّاني أنَّ ذلك مَثَلٌ، وأنَّه ليس هناك غُلٌّ على الحقيقةِ، نسَبَه ابنُ الجوزي إلى أكثَرِ المحَقِّقينَ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (517/3).

واختلف القائلون بهذا القولِ في الآيةِ على ثلاثةِ أقوالٍ: (أحدُها: أنَّها مَثَلٌ لِمَنعِهم عن كلِّ خَيرٍ، قاله قَتادةُ.

والثَّاني: لحَبسِهم عن الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ بموانعَ كالأغْلالِ، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ.

والثَّالثُ: لِمَنعِهم مِن الإيمانِ باللهِ، قاله أبو سُلَيْمانَ الدِّمَشْقيُّ).

((تفسير ابن الجوزي)) (517/3).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (373/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 363).

ممَّن اختار أنَّه تمثيلٌ لِتَصميمِهم على الكُفرِ، وامتناعِهم عن الهدى: يحيى بنُ سلام، والزمخشريُّ، وابنُ عطية، وابنُ جُزَي، وجلال الدين المحلي، وأبو السعود، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (800/2)، ((تفسير الزمخشري)) (5/4)، ((تفسير ابن عطية)) (447/4)، ((تفسير ابن جزي)) (179/2)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 579)، ((تفسير أبي السعود)) (160/7)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (288/6).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن كثير)) (563/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (97/16).

قال الشنقيطي: (والمُرادُ بالآيةِ الكريمة: أنَّ هؤلاء الأشْقياءَ الَّذينَ سَبَقَتْ لهم الشَّقاوةُ في عِلْمِ اللهِ، المذْكورينَ في قولِه تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، صَرَفَهم اللهُ عن الإيمانِ صَرْفًا عظيمًا مانعًا مِن وُصولِه إليهم؛ لأنَّ مَنْ جُعِلَ في عُنُقِه غُلٌّ، وصار الغُلُّ إلى ذَقَنِه، حتَّى صار رأسُه مرفوعًا لا يَقدِرُ أنْ يُطَأْطِئَه، وجَعَلَ أمامَه سَدًّا، وخَلْفَه سَدًّا، وجعَلَ على بَصَرِه الغِشاوةَ: لا حِيلةَ له في التَّصَرُّفِ، ولا في جَلْبِ نَفْعٍ لِنَفْسِه، ولا في دَفْعِ ضُرٍّ عنها، فالَّذين أشْقاهم اللهُ بهذه المثابةِ، لا يَصِلُ إليهم خَيْرٌ.

وهذا المعنَى الَّذي دَلَّتْ عليه هذه الآيةُ الكريمةُ –مِن كَونِه جَلَّ وعلا يَصرِفُ الأشْقياءَ الَّذين سَبَقَتْ لهم الشَّقاوةُ في عِلْمِه عن الحقِّ، ويَحُولُ بيْنَهم وبيْنَه– جاء موضَّحًا في آياتٍ كثيرةٍ؛ كقولِه تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا [الكهف: 57] ، وقولِه تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ [البقرة: 7] ، وقولِه تعالى: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً [الجاثية: 23]).

((أضواء البيان)) (288/6).

وقال ابن عاشور: (...

فيَجوزُ أن يكونَ تمثيلًا بأن شُبِّهَت حالةُ إعراضِهم عن التَّدبُّرِ في القرآنِ ودَعوةِ الإسلامِ والتَّأمُّلِ في حُجَجِه الواضِحةِ بحالِ قَومٍ جُعِلَت في أعناقِهم أغلالٌ غليظةٌ تَرتفِعُ إلى أذقانِهم، فيكونون كالمُقمَحينَ، أي: الرَّافِعينَ رُؤوسَهم، الغاضِّينَ أبصارَهم، لا يَلتَفِتونَ يمينًا ولا شِمالًا، فلا يَنظُرونَ إلى شَيءٍ ممَّا حَوْلَهم).

((تفسير ابن عاشور)) (349/22).

وممَّن اختار أنَّه تمثيلٌ لحبسِهم عن الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ بموانعَ كالأغلالِ: الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبَةَ، والواحديُّ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (373/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 363)، ((البسيط)) للواحدي (455/18)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 897).

قال الواحديُّ: (كقولِه: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ [الإسراء: 29] معناه: لا تُمْسِكْها عن النَّفَقةِ).

((الوسيط)) للواحدي (510/3).

وقال ابنُ جرير: (يقولُ تعالى ذِكرُه: إنَّا جَعَلْنا أيْمانَ هؤلاءِ الكفَّارِ مَغلولةً إلى أعناقِهم بالأغلالِ، فلا تَنبسِطُ بشَيءٍ مِن الخَيراتِ).

((تفسير ابن جرير)) (403/19).

قال ابنُ عطية (٧/ ٢٣٥): «وقالت فرقة: الآيةُ مُستعارة المعاني مِن منع الله تعالى آباءهم من الإيمان، وحوْلِه بينهم وبينه».

ورجّحه مستندًا إلى السياق بقوله: «وهذا أرجح الأقوال؛ لأنه تعالى لما ذكر أنهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الأزل؛ عَقَّب ذلك بأن جعل لهم مِن المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغللين.

والغُلّ: ما أحاط بالعُنق على معنى التَّضْييق والتثبيت والتعذيب والأسْر، ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة، هذا معنى التغليل».

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٣٥) في قوله: ﴿فهي﴾ قولين، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ﴾ يحتمل أن يعود على الأغلال، أي: هي عريضة تبلغ بحرفها الأذقان، والذقن: مجتمع اللحيين، فيضطر المغلول إلى رفع وجهه نحو السماء، وذلك هو الإقماح، وهو نحو الإقناع في الهيئة، ونحوه ما يفعله الإنسان والحيوان عند شرب الماء البارد، وعند الملوحات والحموضة القوية ونحوه.

ويحتمل –وهو قول الطبري– أن تعود» هي «على الأيدي، وإن لم يتقدم لها ذكر؛ لوضوح مكانها من المعنى، وذلك أن الغل إنما يكون في العنق مع اليدين».

وذكر ابنُ القيم (٢/ ٣٥٧) هذين القولين، ثم رجّح عود الضمير على الأغلال بقوله: «وهذا هو الظاهر».

ولم يذكر مستندًا.

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9).

أي: وجعَلْنا مِن بيْنِ أيديهم حاجِزًا، ومِن خَلفِهم حاجِزًا، فغطَّينا أبصارَهم[12] فلا يَرَوْنَ شَيئًا.[13]

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10).

أي: مُستوٍ في حَقِّ هؤلاء الكافِرينَ الَّذين حَقَّ عليهم القَولُ: الإنذارُ وعَدَمُه؛ فسواءٌ أنذَرْتَهم العذابَ -يا محمَّدُ- أو تركْتَ إنذارَهم، فإنَّهم في كِلا الحالَينِ لا يُؤمِنونَ بك وبما جِئتَهم مِن الحَقِّ!

---

(12) نقل ابنُ عطية (٧/ ٢٣٥) عن مكيّ في هذه الآية قولَه: «هذه حقيقة في أحوال الآخرة إذا دخلوا النار».

ثم انتقده مستندًا إلى السياق، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ يُضعِف هذا القول؛ لأنّ بصر الكافر يوم القيامة إنما هو حديدٌ يرى قبح حاله».

ثم ذكر عن فرقة أنها قالت: «الآيةُ مستعارة المعنى مِن منع الله إيّاهم وحَوْله بينه وبينهم».

ورجّحه مستندًا إلى السياق، فقال: «وهذا أرجح الأقوال؛ لأنه تعالى لما ذكر أنهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الأزل عَقَّب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغللين».

(13) قال السمين الحلبي: (قولُه تعالى هذا يحتَمِلُ الحقيقةَ والاستعارةَ).

((الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)) (9/249).

فالقولُ الأولُ: أنَّ ذلك سيَحدُثُ حقيقةً يومَ القيامة.

وممَّن استظهر هذا المعنى: أبو حيَّان.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (9/49).

والقولُ الثاني: أنَّ هذا تمثيلٌ، والمرادُ أنَّ اللهَ تعالى جعَل لهم حاجِزًا يَحجُزُهم عن الإيمانِ، ولا يُخرِجُهم مِن الضَّلالةِ، فلا يُبصِرون الهدى والحَقَّ؛ فهم بمنزلةِ مَن سُدَّ طريقُه فلا يستطيعُ الخروجَ ممَّا هو فيه.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: ابنُ جرير، وابنُ القيِّم، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/405)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: 95)، ((تفسير السعدي)) (ص: 692)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (6/288).

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11).

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ.

أي: إنَّما تُنذِرُ –يا محمَّدُ– إنذارًا نافِعًا مَنِ اتَّبع القُرآنَ، فآمَنَ بأخبارِه، وعَمِل بأحكامِه.

كما قال تعالى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر: 18].

وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ.

أي: وتُنذِرُ إنذارًا نافِعًا مَن خَشِيَ اللهَ الرَّحمنَ بالغَيبِ.[14]

---

(14) قيل: معنى وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ أي: خَشِيَ اللهَ تعالى حالَ الغَيبةِ عن النَّاسِ في الخَلَوات.

وممن قال بهذا المعنى: ابن جرير، والزجاج، ومكي، وابن عطية، وابن كثير، والعليمي، ورجَّحه ابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (407/19)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (281/4)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6009/9)، ((تفسير ابن عطية)) (448/4)، ((تفسير ابن كثير)) (565/6)، ((تفسير العليمي)) (470/5)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة يس)) (ص: 36–37).

وقيل: المرادُ: وخَشِيَ الرَّحمنَ والحالُ أنَّه لم يَرَ اللهَ.

وممن قال بهذا المعنى: مقاتل بن سليمان، والواحدي، وجلال الدين المحلي، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (574/3)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 897)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 579)، ((تفسير القاسمي)) (176/8).

قال القرطبي: (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ أي: ما غاب مِن عذابِه ونارِه. قاله قَتادةُ).

((تفسير القرطبي)) (11/15)، ويُنظر: ((تفسير الماوردي)) (8/5).

قال الألوسي: (أي: خشِي عقابَ الرحمنِ حالَ كونِ العقابِ ملتبسًا بالغيبِ، أي: غائبًا عنه، وحاصلُه خشِي العقاب قبلَ حلولِه، ومعاينةِ أهوالِه).

كما قال تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ [فاطر: 18].

فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ.

أي: فبَشِّرْ -يا محمَّدُ- مَن اتَّبع القُرآنَ وخَشِيَ الرَّحمنَ بالغَيبِ: بمَغفرةٍ لِذُنوبه، وثوابٍ حَسَنٍ جَميلٍ.

كما قال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ [ق: 31 – 33].

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12).

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى.

أي: إنَّا نحن نَبعَثُ الموتى يومَ القيامةِ؛ لِنُجازِيَهم على أعمالِهم.

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ.

((تفسير الألوسي)) (390/11).

وقال البقاعي: (بِالْغَيْبِ أي: بسببِ ما يخبِرُ به مِن مقدوراتِه الغائبةِ لا سيَّما البعثِ ...، ويخشاه أيضًا خشيةً خالصةً في حالِ غيبتِه عمَّن يُرائيه مِن الناسِ).

((نظم الدرر)) (99/16).

أي: ونحن نَكتُبُ[15] ما قدَّموه في الدُّنيا مِن خَيرٍ وشَرٍّ، ونكتُبُ ما تولَّدَ عن ذلك مِن آثارٍ،[16] وما تسبَّبوا في إيجادِه مِن ذلك في حالِ حياتِهم وبعدَ وفاتِهم، ونكتُبُ آثارَ خُطاهم إلى الطَّاعةِ أو المعصيةِ، فنَجْزيهم على ذلك؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنَّ شَرًّا فشَرٌّ.[17]

---

(15) قال ابنُ تيميَّةَ: (وأمَّا الكتابةُ فرُسُــلُه يَكتُبونَ، كما قال: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 18] ، وقال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ. فأخبرَ بالكتابةِ بقَولِه: نَحْنُ؛ لأنَّ جُندَه يَكتُبونَ بأمْرِه).

((مجموع الفتاوى)) (512/5).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 45، 46).

(16) ذكر ابنُ كثير (١١/ ٣٤٨ – ٣٥٠) في قوله: ﴿وآثارهم﴾ قولين: الأول: أنها الأعمال التي عملوها في حياتهم، وآثارها بعد مماتهم.

الثاني: أنها الخطا إلى المساجد.

وقال عَقِب ذكره القول الثاني: «وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيهٌ ودلالةٌ على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فَلَأن تكتبَ تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأَوْلى».

(17) قال الشنقيطي: (قوله: وَآثَارَهُمْ، فيه وجهانِ مِن التَّفسيرِ معروفانِ عندَ العلماءِ: الأوَّلُ منهما: أنَّ معنَى مَا قَدَّموا: ما باشَروا فِعلَه في حياتِهم، وأنَّ معنَى آثارِهم: هو ما سَنُّوه في الإسلامِ مِن سُنَّةٍ حسنةٍ أو سَيِّئةٍ، فهو مِن آثارِهم الَّتي يُعمَلُ بها بعدَهم.

الثَّاني: أنَّ معنَى آثارِهم: خُطاهم إلى المساجدِ ونحوُها مِن فِعلِ الخَيرِ، وكذلك خُطاهم إلى الشَّرِّ، كما ثبَت عنه صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «يا بني سَلِمةَ، دِيارَكم تُكْتَبْ آثارُكم»، يعني: خُطاكُم مِن بُيوتِكم إلى مَسجدِه صلَّى الله عليه وسلَّم).

((أضواء البيان)) (291/6).

ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ، وأنَّ المرادَ بآثارِهم: ما سَنُّوه مِن سُنَّةٍ حسنةٍ أو سَيِّئةٍ، واستنَّ به مَن بَعْدَهم: الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ، والزَّجَّاجُ، ونسَبَه الماتُريديُّ إلى عامَّةِ أهلِ التَّأويلِ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (373/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 364)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (281/4)، ويُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (507/8، 508).

وقال ابن كثير: (وفي قولِه: وَآثَارَهُمْ قولانِ؛ أحدُهما: نَكْتُبُ أعمالَهم الَّتي باشَروها بأنفسِهم، وآثارَهم الَّتي أثَروها مِن بعدِهم...

والقولُ الثَّاني: أنَّ المرادَ بذلك آثارُ خُطاهم إلى الطَّاعةِ أو المعصيةِ...

وهذا القولُ لا تنافيَ بيْنَه وبيْنَ الأوَّلِ، بل في هذا تنبيهٌ ودَلالةٌ على ذلك بطريقِ الأَولى والأحْرَى؛ فإنَّه إذا كانت هذه الآثارُ تُكتَبُ، فلَأَنْ تُكْتَبَ تلك الَّتي فيها قُدوةٌ بهم مِن خَيرٍ أو شَرٍّ بطريقِ الأَوْلى، واللهُ أعلمُ).

((تفسير ابن كثير)) (565/6).

كما قال تعالى: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 17، 18].

وقال تبارك وتعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار: 10 – 12].

وقال جلَّ وعلا: وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ [التوبة: 121].

وقال سُبحانَه: يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ [القيامة: 13].

وعن جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنةً، فعُمِلَ بها بَعْدَه؛ كُتِب له مِثلُ أجرِ مَن عَمِل بها، ولا يَنقُصُ مِن أُجورِهم شَيءٌ. ومَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيِّئةً، فعُمِلَ بها بَعْدَه؛ كُتِب عليه مِثلُ وِزرِ مَن عَمِل بها، ولا يَنقُصُ مِن أوزارِهم شَيءٌ)).[18]

وعن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((خَلَتِ البِقاعُ حَوْلَ المَسجِدِ، فأراد بنو سَلِمةَ أن يَنتَقِلوا إلى قُرْبِ المَسجِدِ، فبلَغَ ذلك رسولَ اللهِ – ﷺ –، فقال لهم: إنَّه بلَغَني أنَّكم تُريدون أن تَنتَقِلوا قُربَ المَسجِدِ. قالوا: نعَمْ يا رَسولَ اللهِ، قد أرَدْنا ذلك، فقال: يا بَني سَلِمةَ، دِيارَكم تُكتَبْ آثارُكم،[19] دِيارَكم تُكتَبْ آثارُكم)).[20]

---

(18) رواه مسلم (1017).

(19) دِيارَكم تُكتَبْ آثارُكم: أي: الزَموا دِيارَكم يُكتَبْ أجرُ خُطاكم، وثَوابُ أقدامِكم؛ لكُلِّ خُطوةٍ دَرَجةٌ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2/593).

(20) رواه مسلم (665).

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.

أي: وكُلُّ شَيءٍ ممَّا كان أو سيَكونُ -ومِن ذلك أعمالُ العبادِ؛ خَيرِها وشَرِّها- مَحفوظٌ ومُثبَتٌ في كِتابٍ موضِّحٍ لكلِّ شَيءٍ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ.(21)

وفي رواية الترمذي (3226) وابن ماجه (785) أنَّ بني سَلِمةَ لما أرادوا الانتقالَ إلى قُربِ المسجدِ نَزَلتْ هذه الآيَةُ: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ.

لكنَّ سورةَ (يس) مكيةٌ، وقصةَ بني سلِمةَ كانت بالمدينةِ، فقيل: السورةُ مكيةٌ، وهذه الآيةُ وحدَها مدنيةٌ، قال ابن القيم: (وأحسنُ مِن هذا أن تكونَ [أي: الآيةُ] ذُكِرتْ عندَ هذه القصةِ، ودلَّت عليها، وذُكِّروا بها عندَها إمَّا مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإمَّا مِن جبريلَ، فأُطلِق على ذلك النزولُ).

((شفاء العليل)) (ص: 40).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (445/4).

(21) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٣٨): «والإمام: الكتاب المقتدى به، الذي هو حجة».

ثم ذكر ما جاء في أقوال السلف أنه اللوح المحفوظ، ثم ذكر عن فرقة أنها قالت: هو صحف الأعمال.

كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 49].

وقال سُبحانَه: وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ [القمر: 52، 53].

سورةُ يس

الآيات (13–19)

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا
أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ
(16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ
(19)

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

فَعَزَّزْنَا: أي: قَوَّيْنا، وشَدَدْنا، وأصلُ (عزز): يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ.

تَطَيَّرْنَا: أي: تشاءَمْنا، وأصلُه: التَّفاؤُلُ بالطَّيرِ (جمعُ طائرٍ)، ثمَّ يُستعمَلُ في كلِّ ما يُتفاءَلُ به ويُتشاءَمُ، وأصلُ (طير): يدُلُّ على خِفَّةِ الشَّيءِ في الهواءِ.

مُسْرِفُونَ: أي: مُفْرِطونَ ومُتجاوِزونَ الحَدَّ، والسَّرَفُ: تجاوُزُ الحدِّ في كلِّ فِعلٍ يَفعَلُه الإنسانُ، وأصلُه يدُلُّ على تَعدِّي الحدِّ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13).

أي: واذكُرْ لِقَومِك-يا محمَّدُ- خبرَ أصحابِ القَريةِ[22] الَّتي جاءها رُسُلٌ مِن اللهِ[23] لِدَعوةِ أهلِها إلى الحَقِّ؛ فلْيَعتبِروا ويَتَّعِظوا بقِصَّتِهم.[24]

---

(22) انتقد ابنُ كثير (١١/ ٢٥٧ - ٢٥٨ بتصرف) مستندًا إلى ظاهر القرآن، ودلالة التاريخ، والدلالة العقلية كون المدينة أنطاكية، فقال: «وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ...

وفي ذلك نظر من وجوه: أحدها: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بَتارِكة، وهن: القدس؛ لأنها بلد المسيح، وأنطاكية؛ لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية؛ لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين، ثم رومية؛ لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده.

ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم، كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم، فالله أعلم.

الثاني: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمةً مِن الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين. ذكروه عند قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ [القصص: ٤٣].

فعلى هذا يتعيَّن أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك».

(23) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٣٩) في قوله: ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ قولين: الأول: أنهم من الحواريين. كما في قول قتادة.

الثاني: أنهم أنبياء مِن قِبَل الله.

وعلّق على القول الثاني بقوله: «وهذا يرجحه قولُ الكَفَرة: ﴿ما أنْتُمْ إلّا بَشَرٌ مِثْلُنا﴾؛ فإنها محاورة إنما تقال لِمَن ادعى الرسالة عن الله تعالى».

ثم قال: «والآخر محتمل».

ورجّح ابنُ تيمية (٥/ ٣١٨ - ٣٢٣) مستندًا إلى الدلالة التاريخية، وظاهر القرآن، والدلالة العقلية أنّ هؤلاء الرسل كانوا رُسُلًا لله قبل المسيح، وانتقد قولَ مَن جعلهم مِن الحواريين مِن وجوه عدة، ذكر منها: الأول: أنّ إرسال هؤلاء الرسل كان قبل المسيح، والمسيح ذهب إلى أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه إلى السماء، ولم يعززوا بثالث، ولا كان حبيب النجار موجودًا إذ ذلك.

الثاني: ليس في القرآن آيةٌ تنطق بأنّ الحواريين رسل الله، بل ولا صرح في القرآن بأنه أرسلهم.

الثالث: أن المعروف عند النصارى أن أهل أنطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم، ولم يهلك الله أهل أنطاكية.

الرابع: أنّ الرسل في القرآن ثلاثة، وجاءهم من أقصا المدينة رجل يسعى، والذين جاءوا مِن أتباع المسيح كانوا اثنين، ولم يأتهم رجل يسعى، لا حبيب ولا غيره.

الخامس: أن الله تعالى قال: ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾، ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن أرسلهم، ولم يكن في قولهم: إن أنتم إلا بشر مثلنا.

شبهة، فإن أحدًا لا ينكر أن يكون رسلُ رسلِ الله بشرًا، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشرًا.

السادس: أنه إذا كانت رسل محمد – ﷺ – لم يتناولهم اسم «رسل الله» في الكتاب الذي جاء به، فكيف يجوز أن يقال: إنّ هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره؟!.

وانتقد ابنُ كثير (١١/ ٢٥٧) مستندًا إلى الدلالة العقلية، وظاهر الآية القول الأول، فقال: «ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله – عز وجل –، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ إلى أن قالوا: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ [يس: ١٤ – ١٧].

ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح، – عليه السلام –، والله أعلم.

ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾».

(24) وقد نقل الماوَرْديُّ إجماعَ المفَسّرينَ على أنَّ هذه القَريةَ هي أنْطاكِيَةُ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (10/5).

قال ابنُ كثيرٍ بعدَ أن ذكَرَ عن كثيرٍ مِن السَّلَفِ أنَّ هذه القريةَ هي أنطاكيةُ، وأنَّ هذا القولَ لم يُذكَرْ عن واحدٍ مِن مُتأخِّري المفَسّرين غيرُه، قال: (وفي ذلك نظرٌ مِن وُجوهٍ).

وذكَرَ ثلاثةَ وُجوهٍ، ثمَّ قال: (فعلى هذا يتعَيَّنُ أنَّ هذه القريةَ المذكورةَ في القُرآنِ العَظيمِ قَريةٌ أُخرى غيرُ أنطاكيَةَ، كما أطلَقَ ذلك غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ أيضًا، أو تكونُ أنطاكيَّةُ إن كان لَفظُها محفوظًا في هذه القِصَّةِ مَدينةً أخرى غيرَ هذه المشهورةِ المعروفةِ؛ فإنَّ هذه لم يُعرَفْ أنَّها أُهلِكَت؛ لا في المِلَّةِ النَّصرانيَّةِ، ولا قبْلَ ذلك، واللهُ سُبحانه وتعالى أعلَمُ).

((تفسير ابن كثير)) (573/6).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 104).

قال ابنُ تيميَّةَ: (الأمرُ المنقولُ عندَ النَّصارى أنَّ هؤلاء المذكورينَ في القُرآنِ لَيسوا مِن الحوارِيِّينَ، وهذا أصَحُّ القولَينِ عند عُلَماءِ المُسلِمينَ وأئمَّةِ المفَسّرينَ، وذكَروا أنَّ المذكورينَ في القُرآنِ في سورةِ يس ليسوا مِن الحوارِيِّينَ، بل كانوا قبْلَ المَسيحِ، وسَمَّوْهم بأسماءِ غيرِ الحوارِيِّينَ...

وهذا القَولُ هو الصَّوابُ، وأنَّ هؤلاء المُرسَلينَ كانوا رُسُلًا لله قبْلَ المسيحِ، وأنَّهم كانوا قد أُرسِلوا إلى أنطاكيَةَ...

ولم يؤمِنْ أهلُ المدينةِ بالرُّسُلِ، بل أهلَكَهم اللهُ تعالى كما أخبَرَ في القُرآنِ، ثمَّ بعدَ هذا عَمرت أنطاكيةُ وكان أهلُها مُشركينَ حتَّى جاءهم مَن جاءَهم مِن الحوارِيِّينَ، فآمَنوا بالمسيحِ على أيديهم ودخَلوا دينَ المسيحِ.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14).

أي: حينَ أرسَلْنا إلى أصحابِ القَريةِ رَسولَينِ فكَذَّبوهما، فقَوَّيْناهما برَسولٍ ثالثٍ، فقال ثلاثتُهم: إنَّا رُسُلُ اللهِ إليكم.[25]

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15).

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.

أي: قال أصحابُ القَريةِ لهم: ما أنتم إلَّا أُناسٌ مِثلُنا، فكيف أُوحِيَ إليكم؟!

وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ.

أي: وما أنزَل الرَّحمنُ إليكم أيَّ شَيءٍ ممَّا تَدَّعونَ!

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ.

أي: ما أنتم إلَّا تكذِبونَ في دَعْواكم أنَّكم رُسُلٌ مِنَ اللهِ إلينا.

ويُقالُ: إنَّ أنطاكيةَ أوَّلُ المدائنِ الكبارِ الَّذين آمَنوا بالمسيحِ عليه السَّلامُ، وذلك بعدَ رَفْعِه إلى السَّماءِ، ولكِنْ ظَنَّ مَن ظَنَّ مِن المفَسِّرينَ أنَّ المذكورينَ في القُرآنِ هم رُسُلُ المسيحِ وهم مِن الحوارِيِّينَ، وهذا غلَطٌ).

((الجواب الصحيح)) (2/245-249).

(25) قال الواحدي: (قال أبو إسحاقَ [الزَّجَّاج]: «فقَوَّيْنا وشَدَدْنا الرِّسالةَ برَسولٍ ثالثٍ».

وهو قَولُ جميعِ المفَسِّرينَ).

((البسيط)) (18/464).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (4/282).

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16).

أي: قالت رُسُلُهم لهم: اللهُ ربُّنا يَعلَمُ أنَّا رُسُلُه إليكم، وأنَّنا صادِقونَ.

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17).

أي: وما يجِبُ علينا إلَّا أن نُبَلِّغَكم ما أرسَلَنا اللهُ به إليكم بلاغًا مُبينًا للحَقِّ، فإنْ لم تَقْبَلوا دَعوتَنا فقد أدَّيْنا ما علينا، وليس لنا مِن الأمرِ شَيءٌ!

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18).

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ.

أي: قال أصحابُ القَريةِ لِرُسُلِهم: إنَّا تشاءَمْنا بكم![26]

لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

---

(26) اختُلِفَ في سَبَبِ تطيُّرِهم؛ فقيل: تطيَّروا بهم بسببِ عُقوباتٍ حَلَّت بهم، أو بلاءٍ نزَل بهم؛ فقيل: احتَبَس المطَرُ عنهم.
وقيل: لأنَّهم جاؤوهم بدِينٍ غيرِ دينِهم.
وقيل: قد يكونُ تَطيُّرُهم مُجرَّدَ دعوى لا أصلَ لها.
يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (511/3)، ((تفسير ابن جزي)) (180/2)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 64، 65).
قال ابنُ عطيَّة: (والأظهَرُ: أنَّ تَطَيُّرَ هؤلاء إنَّما كان بسببِ ما دخَلَ قَريتَهم مِن اختلافِ الكَلِمةِ، وافتِتانِ النَّاسِ، وهذا على نحوِ تطيُّرِ قُرَيشٍ بمُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى نحوِ ما خُوطِبَ به موسى).
((تفسير ابن عطية)) (449/4).

أي: لئِنْ لم تَترُكوا دَعْواكم لَنَرْجُمَنَّكم،[27] ولَيُصيبَنَّكم مِنَّا عذابٌ مُوجِعٌ.

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19).

---

(27) قال الماوَرْديُّ: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ؛ أحدُها: لَنَرجُمَنَّكم بالحِجارةِ.

قاله قَتادةُ.

الثَّاني: لَنقتُلَنَّكم.

قاله السُّدِّيُّ.

الثَّالثُ: لَنَشتُمَنَّكم ونُؤذيكم.

قاله النَّقَّاشُ).

((تفسير الماوردي)) (12/5).

وقال الألوسي: (لَنَرْجُمَنَّكُمْ بالحِجارةِ، قاله قَتادةُ، وذُكِرَ فيه احتِمالان: احتِمالُ أن يكونَ الرَّجمُ للقَتلِ، أي: لَنَقْتُلَنَّكم بالرَّجمِ بالحِجارةِ، واحتِمالُ أن يكونَ للأذى، أي: لَنُؤذِيَنَّكم بذلك).

((تفسير الألوسي)) (395/11).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: القتلُ رجمًا بالحجارةِ: الواحديُّ، والسمعانيُّ، والعُلَيمي، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 898)، ((تفسير السمعاني)) (372/4)، ((تفسير العليمي)) (474/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 694)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 65).

وقيل: المرادُ بقولِه: لَنَرْجُمَنَّكُمْ أي: لَنَقْتُلَنَّكم.

وممَّن اختار هذا القولَ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ قُتَيبةَ، والسمرقنديُّ، والبغوي، وابنُ الجوزي، والخازن.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (576/3)، ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 274)، ((تفسير السمرقندي)) (120/3)، ((تفسير البغوي)) (10/4)، ((تفسير ابن الجوزي)) (521/3)، ((تفسير الخازن)) (6/4).

بل ذهَب الفرَّاءُ إلى أنَّ عامَّةَ ما في القرآنِ مِن الرَّجمِ المرادُ به: القتلُ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (374/2).

قال ابنُ قُتَيبةَ: (الرَّجمُ: أصلُه الرَّميُ، ...

ثمَّ يُستعارُ فيُوضَعُ مَوضِعَ القَتلِ؛ لأنَّهم كانوا يَقتُلونَ بالرَّجمِ.

ورُوِيَ أنَّ ابنَ آدَمَ قَتَلَ أخاه رجمًا بالحجارةِ، وقُتِلَ رَجمًا بالحجارةِ، فلمَّا كان أوَّلُ القتلِ كذلك سُمِّيَ رَجمًا وإن لم يكُنْ بالحِجارةِ، ومنه قَولُه تعالى: لَنَرْجُمَنَّكُمْ أي: لَنَقْتُلَنَّكم).

((تأويل مشكل القرآن)) (ص: 274).

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ.

أي: قالت رُسُلُهم لهم: شُؤمُكم الَّذي جَلَب لكم البلاءَ إنَّما هو معكم؛ بسببِ ضَلالِكم، وليس بسَبَبِنا كما زعمتُم.

كما قال تعالى: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: 78، 79].

وقال اللهُ سُبحانَه: أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الأعراف: 131].

أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ.

أي: أئِنْ وعَظْناكم وأمَرْناكم باتِّباعِ الحَقِّ تُقابِلونَنا بهذا الرَّدِّ؟!

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

أي: ليس الأمرُ كما تقولون، بل أنتم قومٌ عادتُكم مُجاوَزةُ الحُدودِ، والطُّغيانُ.(28)

(28) قال الألوسي: (وهو إضرابٌ انتِقاليٌّ عن الإنكارِ المذكورِ إلى الإخبارِ بما أدَّى إلى ذلك، وهو اعتيادُ الإسرافِ في كُلِّ شَيءٍ، أو إلى بيانِ استِجماعِهم للعُيوبِ كُلِّها، ويَحتمِلُ أن يكونَ إضرابًا عن غيرِ مَذكورٍ، وهو ما تَوهَّموه مِنَ العُذرِ في ذلك، أي: لا عُذرَ لكم فيه، بل أنتم قومٌ عادتُكم الإسرافُ والخروجُ عن الحُدودِ).

((تفسير الألوسي)) (408/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 68).

سورةُ يس

الآيات (20–27)

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا
يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ
مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)

غَريبُ الكَلِماتِ:

أَقْصَى: أي: آخِرِ، وأصلُ (قصي): يدُلُّ على البُعدِ.

فَطَرَنِي: أي: خَلَقَني، وأصلُ الفَطرِ: الشَّقُّ، فكُلُّ مَن أظهَرَ أمرًا اختَرَعه على غيرِ مِثالٍ يُقالُ: قد فطَرَه، وأصلُ (فطر): يدُلُّ على فَتْحِ شَيءٍ وإبرازِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20).

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى.

أي: وجاء رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن طَرَفِ المدينةِ؛ مِن أبعَدِ مَوضِعٍ فيها، مُسرِعًا إلى القَومِ الَّذين كَذَّبوا الرُّسُلَ الثَّلاثةَ. (29)

قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ.

أي: قال: يا قَومِ اتَّبِعوا هؤلاءِ الرُّسُلَ الَّذين أرسَلَهم اللهُ إليكم.

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21).

أي: اتَّبِعوا مَن لا يَسألُكم على تبليغِ رِسالةِ اللهِ أيَّ أجرٍ دُنيويٍّ، وهم مُتَّصِفونَ بأنَّهم ثابِتونَ ومُستَقيمونَ على الحَقِّ الَّذي يَدْعونَكم إليه؛ فاتَّبِعوهم تَهتَدوا.

---

(29) قال ابن جرير: (ذلك أنَّ أهلَ مَدينتِه هذه عزَموا واجتمَعَت آراؤُهم على قَتلِ هؤلاء الرُّسُلِ الثَّلاثةِ، فيما ذُكِرَ، فبلَغ ذلك هذا الرَّجُلَ).

((تفسير ابن جرير)) (419/19).

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22).

أي: وما الَّذي يمنَعُني مِن عبادةِ اللهِ الَّذي خلَقَني مِن العَدَمِ، والَّذي إليه وَحْدَه تُرجَعونَ، فيُجازيكم على أعمالِكم؟!

كما قال تعالى حكايةً عن قَولِ هودٍ عليه السَّلامُ لِقَومِه: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ [هود: 51].

وقال سُبحانَه: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ [الزخرف: 26، 27].

وقال تعالى حِكايةً عن قَولِ سَحرةِ فِرعَونَ: قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [طه: 72].

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23).

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا.

أي: أأتَّخِذُ مِن دونِ اللهِ مَعبودًا سِواه؟! كلَّا؛ فإنَّ الرَّحمنَ إنْ أراد إصابَتي بضُرٍّ، فلا تمنَعُ هذه الآلِهةُ عنِّي أيَّ ضرَرٍ.

وَلَا يُنقِذُونِ.

أي: ولا تَقدِرُ أن تخلِّصَني مِن الضَّرَرِ إن وقَعَ علَيَّ.

إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24).

أي: إنِّي إنِ اتَّخذتُ آلهةً هذه صِفتُها فإنِّي إذَنْ لَفي ضلالٍ مُبينٍ.[30]

إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25).

أي: إنِّي آمَنتُ برَبِّكم فاسمَعوا قَولي.[31]

---

(30) قيل: مُبينٍ بمعنى: ظاهِرٍ بيِّنٍ واضحٍ.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والسمرقنديُّ، ومكِّي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (577/3)، ((تفسير السمرقندي)) (121/3)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6021/9)، ((تفسير القرطبي)) (18/15)، ((تفسير البيضاوي)) (266/4)، ((تفسير النسفي)) (101/3)، ((تفسير الشوكاني)) (419/4).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن جرير)) (423/19).

وقيل: مُبينٍ بمعنى: واضِحٍ في نَفْسِه لمن لم يكُنْ مظروفًا له، ومُوضِّحٍ لكُلِّ ناظرٍ ما هو فيه مِن الظَّلامِ.

قاله البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (112/16).

(31) قال الرازي: (في المخاطَبِ بقولِه: بِرَبِّكُمْ وُجوهٌ؛ أحَدُها: هُم المرسَلُونَ، قال المفَسِّرونَ: أقْبَلَ القومُ عليه يُريدونَ قَتْلَه، فأَقْبَلَ هو على المرسَلينَ، وقال: إنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكم فاسْمَعوا قولي، واشْهَدوا لي.

وثانيها: هم الكفَّارُ، كأنَّه لَمَّا نَصَحَهم وما نَفَعَهم، قال: فأنا آمَنْتُ فاسمَعونِ.

وثالثُها: بِرَبِّكم أيُّها السَّامِعونَ فاسْمَعونِ.

على العُمومِ، كما قُلْنا في قولِ الواعظِ حيثُ يقولُ: يا مسكينُ، ما أكثَرَ أمَلَك! وما أنزَلَ عَمَلَك! يُريدُ به كُلَّ سامعٍ يَسْمَعُه).

((تفسير الرازي)) (267/26).

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26).

أي: قيل لهذا الرَّجُلِ المؤمِنِ حينَ قتلَه قَومُه: ادخُلِ الجنَّةَ.[32]

(32) قال ابنُ جُزي: (واختُلِفَ: هل دخَلَها حينَ مَوتِه كالشُّهداءِ؟ أو هل ذلك بمعنى البِشارةِ بالجنَّةِ ورُؤيتِه لِمَقعدِه منها؟).

((تفسير ابن جزي)) (181/2).

وممَّن اختار الأوَّلَ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ جرير، وابنُ الجوزي، والقرطبي، والشوكاني، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (577/3)، ((تفسير ابن جرير)) (424/19)، ((تفسير ابن الجوزي)) (522/3)، ((تفسير القرطبي)) (20/15)، ((تفسير الشوكاني)) (419/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (370/22).

قال الشوكاني: (قيلَ له ذلك؛ تكريمًا له بدُخولِها بعدَ قَتلِه، كما هي سُنَّةُ اللهِ في شُهَداءِ عبادِه).

((تفسير الشوكاني)) (419/4).

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٤٣) في قوله: ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ احتمالين، فقال: «فلما تحصل له ذلك تمنى أن يعلم قومه بذلك،

فقيل: أراد بذلك الإشفاق والنصح لهم، أي: لو علموا بذلك لآمنوا بالله تعالى.

وقيل: أراد أن يعلموا ذلك، فيندموا على فعلهم به، ويحزنهم ذلك، وهذا موجود في جبلة البشر إذا نال خيرًا في بلد غربة ودَّ أن يعلم ذلك جيرانه وأترابه الذين نشأ فيهم، ولا سيما في الكرامات، ونحو من ذلك قول الشاعر:

والعز مطلوب وملتمس ...

وأحبه ما نيل في الوطن».

ثم رجح مستندًا إلى الدلالة العقلية الاحتمال الأول بقوله: «والتأويل الأول أشبه بهذا العبد الصالح، وفي ذلك قال النبي – ﷺ –: «نصح قومه حيًّا وميتًا»، وقال قتادة بن دعامة: نصحهم على حالة الغضب والرضى، وكذلك لا تجد المؤمن إلا ناصحًا للناس».

بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27).

أي: قال: يا لَيْتَ قَومي يَعلَمونَ بمَغفِرةِ رَبِّي لِذُنوبي، وجَعْلِه لي مِنَ الَّذين أكرَمَهم بدُخولِ جنَّتِه؛ وذلك بسَبَبِ إيماني باللهِ ورُسُلِه [33]

(33) قال ابنُ كثير: (مَقصــودُه أنَّهم لو اطَّلعوا على ما حَصَــل مِن هذا الثَّوابِ والجزاءِ والنَّعيمِ المقيمِ، لَقادهم ذلك إلى اتِّباعِ الرُّسُلِ، فرحِمَه اللهُ ورَضِيَ عنه؛ فلقد كان حريصًا على هدايةِ قَومِه).

((تفسير ابن كثير)) (572/6).

سورةُ يس

الآيات (28–32)

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31) وَإِنْ
كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

خَامِدُونَ: أي: مَيِّتونَ هالِكونَ، وأصلُ (خمد): يدُلُّ على سُكونِ الحَرَكةِ، والسُّقوطِ.

يَا حَسْرَةً: الحسرةُ: التَّلهُّفُ والاغتِمامُ على ما فاتَ ولا يمكِنُ ارتجاعُه، وهي أشدُّ النَّدامةِ، وأصلُ (حسر): كشْفُ الشَّيءِ، فالحسرةُ انكشافٌ عن حالِ النَّدامةِ.

الْقُرُونِ: جمعُ قَرْنٍ، والقَرنُ: القومُ أو الأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ المَقترنونَ في زمنٍ واحدٍ، غير مُقَدَّرٍ بمدَّةٍ مُعَيَّنةٍ، وقيل: مدَّةُ القرنِ مِئةُ سَنةٍ، وقيل: ثمانونَ، وقيل: ثلاثون، وقيل غيرُ ذلك، وهو مأخوذٌ مِن الاقترانِ، وهو اجتماعُ شَيئَينِ أو أشياءَ في معنًى مِن المعاني، وأصلُ (قرن): يدُلُّ على جمعِ شَيءٍ إلى شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28).

أي: وما أنزَلْنا على قَومِ الرَّجُلِ المؤمِنِ -مِن بَعدِ قَتلِهم له- مَلائِكةً مِنَ السَّماءِ[34] لإهلاكِهم، وما كُنَّا مُنزِلينَ لهم.[35]

---

(34) اختلف السلف فيما عنى الله بالجند على قولين: الأول: أنها الرسالة.

وهو قول مجاهد.

الثاني: أن معنى ذلك: أن الله لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٩/ ٤٢٨) مستندًا إلى اللغة والدلالة العقلية القول الثاني، وانتقد القول الأول، فقال: «وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها: جند، إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك: الرسل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا مِن المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أنّ الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء، والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندًا، وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم».

وذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٤٤) في «ما» من قوله: ﴿وما كنا منزلين﴾ قولين: الأول: أنها نافية، وعلّق عليه بقوله: «وهذا يجري مع التأويل الثاني في قوله: ﴿ما أنْزَلْنا مِن جُنْدٍ﴾».

والثاني: أنها عطف على ﴿جند﴾، والمعنى: «من جند ومن الذي كنا منزلين على الأمم مثلهم قبل ذلك».

(35) قيل: ما أنزَلَ الله جُندًا مِن السَّماءِ لإهلاكِهم؛ لأنَّهم أهْوَنُ مِن ذلك وأحقرُ، والأمرُ كان أيسَرَ مِن ذلك.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: ابنُ جُزَي، وابن كثير، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (181/2)، ((تفسير ابن كثير)) (572/6)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 99).

وقال الشوكاني: (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ...

لِسَبْقِ قَضائِنا وقَدَرِنا بأنَّ إهلاكَهم بالصَّيحةِ لا بإنْزالِ الجُنْدِ).

((تفسير الشوكاني)) (421/4).

وقيل: معنى الآيةِ: ما أنزَلْنا عليهم مِن رِسالةٍ مِن السَّماءِ ولا نَبِيٍّ بعدَ قَتلِه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (426/19)، ((تفسير الشوكاني)) (421/4).

قال ابنُ جُزَي: (ولَفظُ الجُندِ ألْيَقُ بالمعنى الأوَّلِ [أي: إنزالِ ملائكةٍ لإهلاكِهم]، وكذلك ذِكرُ الصَّيحةِ بعدَ ذلك).

((تفسير ابن جزي)) (181/2).

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29).

أي: ما كانت عُقوبةُ أصحابِ القَريةِ إلَّا صَيحةً واحِدةً بلا تَكرارٍ؛ فإذا هم مَيِّتون هامِدون.

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30).

أي: يا حَسرةً على العِبادِ؛[36] فإنَّهم لا يأتيهم في الدُّنيا رَسولٌ مِن رُسُلِ اللهِ إلَّا وَقَعوا في الاستِهزاءِ به!

وقال ابن جرير: (وذلك أنَّ الرِّسالةَ لا يُقالُ لها جُنْدٌ...

وأنَّ الرُّسُلَ مِن بني آدمَ لا يُنْزَلونَ مِن السَّماءِ، والخبرُ في ظاهرِ هذه الآيةِ عن أنَّه لم يُنْزِلْ مِن السَّماءِ بعدَ مَهْلِكِ هذا المؤمنِ على قومِه جُندًا، وذلك بالملائكةِ أشْبَهُ منه ببَني آدَمَ).

((تفسير ابن جرير)) (428/19) بتصرف يسير.

وقال أبو حيَّان: (وأخبَرَ تعالى أنَّه لم يُنْزِلْ عليهم لإهلاكِهم جُندًا مِنَ السَّماءِ، كالحجارةِ والرِّيحِ وغيرِ ذلك).

((تفسير أبي حيان)) (59/9).

وقال أبو السعود: (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ وما صحَّ في حِكمتِنا أنْ نُنزِلَ لإهلاكِ قَومِه جُندًا مِن السَّماءِ؛ لِما أنَّا قدَّرْنا لكلِّ شيءٍ سَبَبًا؛ حيثُ أهلَكْنا بعضَ مَن أهلَكْنا مِن الأُمَمِ بالحاصبِ، وبعضَهم بالصَّيحةِ، وبعضَهم بالخَسفِ، وبعضَهم بالإغراقِ، وجعَلْنا إنزالَ الجُندِ مِن خصائصِكَ في الانتِصارِ مِن قَومِك.

وقيل: (ما) موصولةٌ مَعطوفةٌ على جُنْدٍ، أي: وما كنَّا مُنزِلينَ على مَن قَبْلَهم مِن حِجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شديدةٍ وغيرِها).

((تفسير أبي السعود)) (165/7).

(36) قال الشوكاني: (قال ابنُ جرير: المعنى: يا حسرةً مِن العبادِ على أنفُسِهم، وتَنَدُّمًا وتَلَهُّفًا في استهزائِهم برُسُلِ اللهِ، ...

وقال الضَّحَّاكُ: إنَّها حَسرةُ الملائكةِ على الكُفَّارِ حينَ كذَّبوا الرُّسُلَ.

وقيل: هي مِن قَولِ الرَّجُلِ الَّذي جاء مِن أقصى المدينةِ.

وقيل: إنَّ القائلَ: يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ هم الكُفَّارُ المكَذِّبونَ، والعِبادُ: الرُّسُلُ؛ وذلك أنَّهم لَمَّا رأَوُا العذابَ تحسَّروا على قَتلِهم، وتَمَنَّوُا الإيمانَ.

قاله أبو العاليةِ، ومجاهِدٌ.

وقيل: إنَّ التَّحسُّرَ عليهم هو مِن اللهِ عزَّ وجلَّ بطريقِ الاستِعارةِ؛ لتعظيمِ ما جَنَوْهُ).

((تفسير الشوكاني)) (422/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (428/19).

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: يا ندامةً للعبادِ في الآخرةِ على أنفُسِها في استهزائِهم برُسُلِ اللهِ في الدُّنيا: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابن جرير، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/578)، ((تفسير ابن جرير)) (19/429)، ((تفسير السمرقندي)) (3/121)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 899)، ((تفسير السمعاني)) (4/375).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وقَتادةُ، ومجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/429)، ((البسيط)) للواحدي (18/475)، ((تفسير الثعلبي)) (8/127).

وقيل: المرادُ: أنَّ التحسُّرَ واقِعٌ عليهم مِن غيرِهم؛ فطِباعُ كُلِّ بشَرٍ توجِبُ عندَ سَماعِه حالَهم وعذابَهم على الكُفرِ وتضييعِهم أمرَ اللهِ تعالى: أن يُشفِقَ ويَتحَسَّرَ على العبادِ؛ فهم أحِقَّاءُ بأن يَتحسَّرَ عليهم المتحَسِّرون، ويَتلهَّفَ على حالِهم المتلَهِّفون.

وممَّن قال بهذا المعنى: الزمخشريُّ، وابنُ عطيَّة.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (4/13)، ((تفسير ابن عطية)) (4/452).

وقيل: هو مِن كلامِ اللهِ تعالى، واقِعٌ موقِعَ الرِّثاءِ للأُمَمِ المكَذِّبةِ لرُسُلِها.

وممَّن قال بهذا المعنى: السعديُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 695)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/7).

قال ابن عثيمين: (وقيل: إنَّ التَّحَسُّرَ مِن اللهِ عزَّ وجَلَّ، لكِنْ ليس معناه أنَّه يتَّصِفُ به، بل المعنى أنَّه يُبَيِّنُ حَسرةَ العبادِ على أنفُسِهم، يقولُ: يا حَسرةً واقِعةً على العِبادِ؛ فتكونُ «على» قريبةً مِن معنى «مِن»، يعني: أنَّ اللهَ تعالى يُبَيِّنُ أنَّ هؤلاءِ العبادَ المكَذِّبينَ سوف يَتحَسَّرون على تكذيبِهم، وهذا أقرَبُ إلى السِّياقِ؛ لِقَولِه: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ فالكلامُ كلامُ اللهِ، لكِنْ لَمَّا كان التَّحَسُّرُ نَدَمًا وألَمًا صار اللهُ تعالى مُنَزَّهًا عنه؛ فوجَبَ أن يكونَ المرادُ: يا حسرةً واقِعةً عليهم).

((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 106).

وقيل: لا مُتَحَسِّرَ أصلًا في الحقيقةِ؛ إذِ المقصودُ بيانُ أنَّ ذلك وقْتُ طلَبِ الحسرةِ حيثُ تَحَقَّقَتِ النَّدامةُ عندَ تَحَقُّقِ العذابِ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (26/269).

أي: ألم يَرَوْا[37] الأُمَمَ الماضيةَ الكثيرةَ الَّتي أهلَكْناها؛ بسَبَبِ تَكذيبِهم، أو استِهزائِهم برُسُلِ اللهِ: كيف لم تكُنْ لهم رَجعةٌ إليهم؟[38]

---

(37) ممَّن اختار أنَّهم كفَّارُ مكَّةَ: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، والثعلبيُّ، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، وجلال الدين المحلي، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/578)، ((تفسير الثعلبي)) (8/127)، ((الوسيط)) للواحدي (3/513)، ((تفسير البغوي)) (4/12)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/522)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 418)، ((تفسير العليمي)) (5/480).

وقيل: المرادُ: أهلُ مكَّةَ وغيرُهم مِن مُشركي العربِ.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: يحيى ابنُ سلام، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/807)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 112).

واختار ابنُ عاشور أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى العِبادِ كما يقتضيه تَناسُقُ الضَّمائرِ، ويَتعيَّنُ أن تُخَصَّ منه أوَّلُ أُمَّةٍ كذَّبَتْ رَسولَها، وهم قومُ نوحٍ؛ فإنَّهم لم يَسبِقْ قَبْلَهم هلاكُ أُمَّةٍ كذَّبَتْ رسولَها.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (23/9).

(38) قيل: معنى أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ: أنَّ المُهلَكينَ لا يَرجِعونَ إلى الدُّنيا.

وممَّن قال بهذا المعنى: يحيى بنُ سلام، وابنُ كثير، والسعديُّ، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/807)، ((تفسير ابن كثير)) (6/574)، ((تفسير السعدي)) (ص: 695)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 113).

قال الرازي: (قَولُه: أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ فيه وجهانِ؛ أحدُهما: أُهلِكوا إهلاكًا لا رُجوعَ لهم إلى مَن في الدُّنيا.

وثانيهما: هو أنَّهم لا يَرجِعونَ إليهم، أي: الباقونَ لا يَرجِعونَ إلى المُهلَكينَ بنَسَبٍ ولا وِلادةٍ، يعني: أهْلَكْناهم وقَطَعْنا نَسْلَهم، ولا شكَّ في أنَّ الإهلاكَ الَّذي يكونُ مع قطعِ النَّسلِ أتَمُّ وأعَمُّ.

والوجهُ الأوَّلُ أشهرُ نَقْلًا، والثَّاني أظهرُ عقلًا).

((تفسير الرازي)) (26/271).

وقيل: المعنى: أنَّهم إلى رُسُلِ اللهِ -الَّذين استَهزؤوا بهم- لا يَرجِعونَ عن مذاهِبِهم الخبيثةِ، ولا يَخُصُّونَهم بالاتِّباعِ، فالمعنى: ألم يَرَ المكذِّبون المستهزِئون بالرُّسُلِ أنَّ القرونَ الكثيرةَ الَّتي أهلكها اللهُ بسبب ذلك: لا يَرجِعون إلى رُسُلِهم فيتَّبِعونهم، ويَتركون تكذيبَهم والاستهزاءَ بهم، أفلا يَخْشَوْنَ أن يَقَعَ بهم مِن الهلاكِ مِثلُ ما وقع للسَّابقينَ؛ لِمُخالفتِهم لِرُسُلِهم؟ قاله البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (16/118-120).

وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32).

أي: إنَّ كُلَّ الأممِ ستُحضَرُ يومَ القيامةِ عندَ اللهِ مُجتَمِعينَ للحِسابِ والجَزاءِ.[39]

(39) قيل: كَلِمةُ كُلٌّ تُفيدُ أنَّ الإحضارَ مُحيطٌ بهم بحيث لا يَنفلِتُ فريقٌ منهم، وكلمةُ جَمِيعٌ تُفيدُ أنَّهم مُحضَرونَ مُجتَمِعينَ؛ فليست إحدى الكَلِمَتينِ بمُغْنِيةٍ عن ذِكرِ الأُخرى.

وممَّن قال بهذا المعنى: الزمخشريُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (4/14)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/11)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 116).

سورةُ يس

الآيات (33–36)

وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36)

غَريبُ الكَلِماتِ:

وَآيَةٌ: أي: عَلامَةٌ، ودليلٌ، وحُجَّةٌ على وحدانيَّةِ اللهِ، وكمالِ قدرتِه، وتُطلَقُ الآيةُ أيضًا على العَجيبةِ، وأصلُ (أيي): النَّظرُ.

وَفَجَّرْنَا: أي: أنْبَعْنا، والفَجْرُ: شَقُّ الشَّيءِ شَقًّا واسعًا، يُقالُ: فَجَرْتُه فانْفَجر، وفَجَّرْتُه فتَفجَّرَ، وأصلُ (فجر): يدُلُّ على تفتُّحٍ في الشَّيءِ.

الْأَزْوَاجَ: أي: الأجناسَ والأصنافَ، وأصلُ (زوج): يدُلُّ على مُقارَنةِ شَيءٍ لِشَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33).

أي: وعَلامةٌ عَظيمةٌ لكفَّارِ قريشٍ[40] دالَّةٌ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وكَمالِ قُدرتِه على بَعثِ الموتَى، وعلى غيرِ ذلك، وهي إحياءُ اللهِ الأرضَ المُجدِبةَ، وإخراجُه منها أنواعًا مِن الحُبوبِ الَّتي يتغذَّى النَّاسُ عليها.

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34).

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ.

أي: وجعَلْنا في الأرضِ -الَّتي كانت مَيْتةً فأحْيَيْناها- بَساتينَ مِن أشجارِ النَّخيلِ والأعنابِ.

كما قال تعالى: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ [المؤمنون: 19].

وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ.

أي: وفجَّرْنا في الأرضِ مِن عُيونِ الماءِ.

---

(40) قال أبو حيَّان: (والضَّميرُ في لَهُمُ عائدٌ على كُفَّارِ قُريشٍ ومَن يجري مَجراهُم في إنكارِ الحشرِ).
((تفسير أبي حيان)) (64/9).
ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (453/4).

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35).

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ.

أي: لِيَأكُلَ النَّاسُ مِن ثَمَرِه،[41] وما[42] عَمِلَتْه أيديهم.

---

(41) قيل: الضمَّيرُ في ثَمَرِهِ يعودُ إلى الله تعالى، فهو مِن فِعْلِه وخَلْقِه.

وممَّن قال بهذا المعنى: الزَّمخشريُّ، والنَّسفيُّ، وذكر الرَّازيُّ أنَّه القولُ المشهورُ.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (15/4)، ((تفسير النسفي)) (103/3)، ((تفسير الرازي)) (274/26).

وقيل: يعودُ إلى الماءِ الَّذي فجَّره اللهُ تعالى مِن الأرضِ، أي: ليأكُلوا مِن الثَّمَرِ الحاصِلِ بالماءِ.

وممَّن قال بهذا المعنى: مكِّي، والسمعانيُّ، والبغوي، والقرطبي، والخازن، وأبو حيان.

يُنظر: ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6031/9)، ((تفسير السمعاني)) (376/4)، ((تفسير البغوي)) (13/4)، ((تفسير القرطبي)) (25/15)، ((تفسير الخازن)) (7/4)، ((تفسير أبي حيان)) (64/9).

وقيل: المعنى: مِن ثَمَرِ ما تقدَّمَ ذِكرُه مِن الجنَّاتِ والنَّخيلِ.

وممَّن قال بهذا في الجملةِ: ابنُ جرير، والبيضاوي، وجلال الدين المحلي، والبِقاعي، وأبو السعود، والشوكاني، وابن عاشور، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (432/19)، ((تفسير البيضاوي)) (268/4)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 582)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (126/16)، ((تفسير أبي السعود)) (166/7)، ((تفسير الشوكاني)) (423/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (14/23)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 120).

(42) قيل: (مَا) هنا اسمٌ موصولٌ بمعنى الَّذي، أي: لِيَأكُلوا أيضًا ممَّا صَنَعَتْه أيديهم، بالغَرسِ والحَفرِ والزِّراعةِ.

وممَّن قال بهذا القولِ: ابنُ جرير، والزَّجَّاج، ومكِّي، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، وابن جُزَي، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (433/19)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (286/4)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6031/9)، ((تفسير السمعاني)) (376/4)، ((تفسير البغوي)) (13/4)، ((تفسير القرطبي)) (25/15)، ((تفسير ابن جزي)) (182/2)، ((تفسير العليمي)) (482/5).

وقيل: المرادُ بما عَمِلَتْه أيديهم: ما يُتَّخَذُ مِن الثَّمَرِ؛ كالعصيرِ والدِّبْسِ وغيرِهما.

وممَّن اختاره: البيضاوي، والألوسي.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (268/4)، ((تفسير الألوسي)) (9/12).

أَفَلَا يَشْكُرُونَ.

أي: أفلا يَشكُرُ النَّاسُ رَبَّهم الَّذي أوجَدَ لهم تلك النِّعَمَ؟

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36).

وجمَعَ الشَّوكانيُّ بين المعنيَينِ السابقين؛ فقال: (أي: لِيَأْكُلوا مِن ثَمَرِه، ويأْكُلوا مِمَّا عَمِلَتْه أيْديهم كالعصيرِ والدِّبْسِ ونحوِهما، وكذلك ما غَرَسوه وحفَروه، على أنَّ «ما» موصولةٌ).

((تفسير الشوكاني)) (423/4).

وقيل (مَا) نافيةٌ، والمعنى: ليست تلك الثِّمارُ مِن صُنعِ أيديهم، وليست بحَولِهم وقوَّتِهم، ولكِنْ هي مِن فِعلِ اللهِ رحمةً بهم.

وممَّن قال بهذا القولِ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، ويحيى بنُ سلام، وابنُ كثير، والبِقاعي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (578/3)، ((تفسير يحيى بن سلام)) (807/2)، ((تفسير ابن كثير)) (575/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (126/16)، ((تفسير السعدي)) (ص: 695).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (807/2)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (55/7).

وقيل: الآيةُ صالحةٌ للمَعنيَينِ: أن تكونَ (ما) بمعنى (الَّذي)، وأن تكونَ نافيةً، ولا مانِعَ مِن حَملِها عليهما؛ فيَشمل قولُه: وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ما يَصْنَعُه النَّاسُ بأيديهم؛ كالعصيرِ والخبزِ وغيرِ ذلك، والمعنى الثَّاني: أنَّ أيدينَا لم تعملْ هذه الثَّمَراتِ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 121).

قال ابنُ عاشور: (يجوزُ أن تكونَ «مَا» في قَولِه: وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ موصولةً معطوفةً على ثَمَرِهِ، أي: ليأكُلوا مِن ثَمرِ ما أخرَجْناه، ومِن ثَمرِ ما عمِلَتْه أيديهم...

وضميرُ عَمِلَتْهُ على هذا عائدٌ إلى اسمِ الموصولِ.

ويجوزُ أن يكونَ «مَا» نافيةً، والضَّميرُ عائدٌ إلى ما ذُكِرَ مِن الحَبِّ والنَّخيلِ والأعنابِ، والمعنى: أنَّ ذلك لم يَخلُقوه...

ويجوزُ أن يكونَ مِن حَذفِ المفعولِ؛ لإرادةِ العُمومِ، والتَّقديرُ: وما عَمِلَت أيديهم شيئًا مِن ذلك.

وكِلا الحذفَينِ شائعٌ).

((تفسير ابن عاشور)) (14/23، 15).

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ.

أي: تَنزَّهَ اللهُ عمَّا لا يَليقُ به مِن الشِّركِ وجَميعِ النَّقائِصِ؛ الَّذي خلَقَ الأصنافَ كلَّها ممَّا تُنبِتُه الأرضُ مِن النَّباتاتِ والزُّروعِ والثِّمارِ والحبوبِ.(43)

كما قال تعالى: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الذاريات: 49].

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ.

أي: ومِن النَّاسِ أنفُسِهم، فخَلَق منهم ذُكورًا وإناثًا.

كما قال تعالى: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى [النجم: 45، 46].

وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ.

أي: وممَّا لا يَعلَمُه النَّاسُ.

---

(43) قال القرطبي: (نزَّه نَفْسَه سُبحانَه عن قَولِ الكُفَّارِ؛ إذ عَبَدوا غيرَه مع ما رأَوْه مِن نِعَمِه وآثارِ قُدرتِه، وفيه تقديرُ الأمرِ، أي: سَبِّحوه ونَزِّهوه عمَّا لا يَليقُ به.

وقيل: فيه معنى التَّعجُّبِ، أي: عَجبًا لهؤلاء في كُفرِهم مع ما يُشاهِدونَه مِن هذه الآياتِ! ومَن تعجَّبَ مِن شَيءٍ قال: سُبحانَ اللهِ!).

((تفسير القرطبي)) (26/15).

سورةُ يس

الآيات (37–40)

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)

غَريبُ الكَلِماتِ:

نَسْلَخُ: أي: نُخرِجُ ونَنزِعُ، وأصلُ (سلخ): يدُلُّ على إخراجِ شَيءٍ عن جِلدِه.

قَدَّرْنَاهُ: أي: جعَلْنا سَيْرَه بقَدَرٍ، والتَّقديرُ: يُطلَقُ على جَعلِ الأشياءِ بقَدَرٍ ونِظامٍ مُحكَمٍ، وعلى تحديدِ المقدارِ، مِثلُ تقديرِ الأوقاتِ، والكَمِّياتِ مِن الموزوناتِ والمعدوداتِ، وأصْلُ (قدر): يدُلُّ على مَبلغِ الشَّيءِ ونهايتِه.

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ: العُرجُونُ: عُودُ العِذْقِ مِن النَّخلةِ، فإذا قَدُم وعَتُق، يَبِسَ وتقوَّس واصفَرَّ، وأصلُ العُرجونِ: مِنَ الانعراجِ، وهو الانعِطافُ.

فَلَكٍ: الفَلَكُ: القُطبُ الذي تَدورُ به النُّجومُ، ومجرَى الكواكِبِ، وأصلُ (فلك): يدُلُّ على استِدارةٍ في شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37)﴾.

أي: وعَلامةٌ عَظيمةٌ لهم دالَّةٌ على تَوحيدِ اللهِ، وكَمالِ قُدرتِه على إحياءِ الموتَى، وعلى غيرِ ذلك: اللَّيلُ؛ حيثُ نَنزِعُ عنه النَّهارَ، فإذا النَّاسُ قدْ صاروا في ظُلمةٍ.[44]

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)﴾.

---

(44) ذكر ابنُ جرير (١٩/ ٤٣٤) أن معنى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أي: ننزِع عنه النهار.
ثم ذكر قول قتادة، وانتقده مستندًا إلى الدلالة العقلية قائلًا: «وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي مِن معنى سلخ النهار من الليل بعيد؛ وذلك أن إيلاج الليل في النهار إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء؛ لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار، ولا كل النهار في كل الليل».
ووافقه ابنُ كثير (١١/ ٣٦٠).
ورجّح ابنُ كثير مستندًا إلى ظاهر الآية أن المعنى: «﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ كما جاء في الحديث: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم».
هذا هو الظاهر من الآية».

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.

أي: والشَّمسُ -التي سُلِخَ النَّهارُ مِن اللَّيلِ بغَيبوبتِها(45)- تجري بقُدرةِ اللهِ تعالَى إلى مَوضِعِ قَرارِها الَّذي قدَّره اللهُ لها.(46)

---

(45) قيل: يحتَمِلُ أنْ تكونَ الواوُ للعَطفِ على اللَّيلِ، والتقديرُ: وآيةٌ لهم الشَّمسُ.
ويجوزُ أن تكونَ الواوُ ابتدائيةً، والشَّمسُ: مبتدأ، وما بعدَها الخبَر، ويكونُ الكلامُ مُستأنَفًا مُشتَمِلًا على ذِكرِ آيةٍ مُستقلَّةٍ.
يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (424/4).

(46) قولُه: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا فيه أقوالٌ؛ منها: إلى مَوضِعِ قَرارِها.
ومنها: أنَّ مُستقَرَّها مَغرِبُها، لا تُجاوِزُه، ولا تُقصِّرُ عنه؛ قاله مُجاهِدٌ.
ومنها: لِوَقتٍ واحِدٍ لا تَعْدوه؛ قاله قَتادةُ.
ومنها: لِوَقتٍ لها إلى يومِ القِيامةِ؛ قاله مُقاتِلٌ.
ومنها: تَسيرُ في مَنازِلِها حتَّى تَنتَهِيَ إلى مُستقَرِّها الَّذي لا تُجاوِزُه، ثمَّ تَرجِعُ إلى أوَّلِ مَنازِلِها؛ قاله ابنُ السَّائِبِ.
ومنها: إلى مُستقرٍّ لها، ومُستَقَرُّها: أقْصَى مَنازِلِها في الغُروبِ؛ وذلك لأنَّها لا تَزالُ تتقدَّمُ إلى أقْصَى مَغارِبِها، ثمَّ تَرجِعُ؛ قاله ابنُ قُتَيْبةَ.
يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (523/3، 524).
ويُنظر أيضًا: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (579/3)، ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 192)، ((تفسير ابن الجوزي)) (523/3، 524).
قال ابنُ كثيرٍ: (في مَعنى قولِه: لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا قَولانِ: أحَدُهما: أنَّ المُرادَ: مُستَقَرُّها المكانيُّ، وهو تحتَ العَرشِ... كما جاءَت بذلك الأحاديثُ...
والقولُ الثَّاني: أنَّ المُرادَ بمُستَقَرِّها هو: مُنْتَهى سَيرِها، وهو يومُ القِيامةِ، يَبطُلُ سَيْرُها، وتَسكُنُ حَرَكتُها وتُكوَّرُ، ويَنْتَهي هذا العالَمُ إلى غايتِه، وهذا هو مُستقَرُّها الزَّمانيُّ.
قال قَتادةُ: لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، أي: لوَقْتِها، ولأجَلٍ لا تَعْدُوه).
((تفسير ابن كثير)) (576/6).
وقال ابنُ جُزَيٍّ: (وفي الحديثِ: «مُستقَرُّها تحتَ العَرشِ تَسجُدُ فيه كلَّ لَيلةٍ بعدَ غُروبِها»، وهذا أصَحُّ الأقوالِ؛ لوُرودِه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الحديثِ المَرْويِّ في البُخاريِّ عن أبي ذَرٍّ).
((تفسير ابن جزي)) (182/2)، ويُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (424/4).

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قال النبيُّ - ﷺ - لأبي ذرٍّ حِينَ غَرَبتِ الشَّمسُ: أتدري أينَ تَذهَبُ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: فإنَّها تَذهَبُ حتَّى تَسجُدَ تحتَ العَرشِ فتَستأذِنَ، فيُؤذَنُ لها، ويُوشِكُ أنْ تَسجُدَ فلا يُقبَلَ منها، وتَستأذِنَ فلا يُؤذَنَ لها؛ يقالُ لها: ارجِعي مِن حَيثُ جِئتِ، فتَطلُعُ مِن مَغرِبِها، فذلك قَولُه تعالى: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)).[47]

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سألتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - عن قَولِ اللهِ تعالى: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا؟ قال: مُستقَرُّها تحتَ العَرشِ)).[48]

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

أي: ذلك[49] تَقديرُ العَزيزِ الذي بعِزَّته قَهَرَ المخلوقاتِ العَظيمةَ كالشَّمسِ؛ فهو القاهِرُ الغالِبُ سُبحانَه، وهو العَليمُ المحيطُ عِلمًا بكُلِّ شَيءٍ، الَّذي يُدبِّرُ الأمْرَ، فيطَّرِدُ على نِظامٍ عَجيبٍ، ونَهجٍ بديعٍ، لا يَعتريه وَهَنٌ، ولا يَلحَقُه خَلَلٌ.

---

(47) رواه البخاريُّ (3199) واللفظ له، ومسلمٌ (159).

(48) رواه البخاريُّ (4803)، ومسلمٌ (159).

(49) قيلَ: الإشارةُ بـ ذَلِكَ إلى جَرْيِ الشَّمسِ؛ أي: ذلك الجَرْيُ على ذلك التَّقْدير.

وممَّن قال بهذا المَعنى في الجُملةِ: ابنُ جرير، والزَّمَخْشريُّ، والبَيضاويُّ، والنَّسَفيُّ، والخازِنُ، والرَّسْعَنيُّ، وأبو السُّعود، والقاسميُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (435/19)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6035/9)، ((تفسير الزمخشري)) (16/4)، ((تفسير البيضاوي)) (268/4)، ((تفسير النسفي)) (104/3)، ((تفسير الخازن)) (8/4)، ((تفسير الرسعني)) (337/6)، ((تفسير أبي السعود)) (168/7)، ((تفسير القاسمي)) (184/8).

وقيل: الإشارةُ إلى ما ذُكِرَ مِن أمرِ اللَّيلِ والنَّهارِ والشَّمسِ.

وممَّن قال بهذا: القُرطبيُّ.

وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39).

أي: وقدَّرْنا القَمَرَ مَنازِلَ يَسيرُ فيها، ويَنزِلُ كُلَّ ليلةٍ في واحِدٍ منها، حتى يَكتَمِلَ ضَوْءُه ويَصيرَ بَدرًا، ثمَّ يَتناقَصُ شَيئًا فشَيئًا حتَّى يَعودَ هِلالًا، كعُودِ عِذْقِ النَّخلةِ اليابِسِ الأصفَرِ النَّحيلِ المتقَوِّسِ لِقِدَمِه.

كما قالَ تعالَى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ [يونس: 5].

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40).

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ.

أي: لا يُمكِنُ للشَّمسِ أن تَلحَقَ القَمَرَ؛ فهذا أمرٌ مُحالٌ ومُمتَنِعٌ.(50)

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (29/15).
ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (21/23).

(50) قال ابن جرير (١٩/ ٤٣٨): «وقوله: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه–: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها، ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ يقول –تعالى ذكره–: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلًا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك، إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه».

ثم ذكر قول ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد بن جبر من طريق ابن أبي نجيح، وقتادة، وأبي صالح باذام، والضحاك بن مزاحم من طريق عبيد.

وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ.

أي: ولا يَسبِقُ اللَّيلُ النَّهارَ.(51)

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.

وذكر ابنُ كثير (١١/ ٢٦٤) عبارات السلف في تفسير الآية، ثم علّق قائلًا: «والمعنى في هذا: أنّه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخٍ؛ لأنهما مسخَّران دائبين يتطالبان طلبًا حثيثًا».

(51) اختَلَفَت ألْفاظُ المُفسِّـرينَ في تَفْسيرِ هذه الآيةِ وإنْ كانتْ مَعانيها مُتَقارِبةً: فمِمَّن قال: إنَّ المَعنى: ولا يُدرِكُ سَوادُ اللَّيلِ ضوءَ النَّهارِ فيَغلِبَه على ضَوئِه: مُقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والسَّمَرْقَنديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/579)، ((تفسير السمرقندي)) (3/124).

وممَّن قال: إنَّ المَعنى: ولا يَدخُلُ اللَّيلُ على النَّهارِ قَبلَ انْقِضائِه: الواحديُّ، والبَغَويُّ، وجلالُ الدِّينِ المَحلِّيُّ، والسعديُّ.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (3/514)، ((تفسير البغوي)) (4/15) تفسير الجلالين (ص: 583)، ((تفسير السعدي)) (ص: 696).

وممَّن قال: إنَّ المَعنى: لا يتَّصِلُ لَيلٌ بلَيلٍ، لا يَكونُ بينَهما نَهارٌ فاصِلٌ: السَّمْعانيُّ، وابنُ جُزَيٍّ، وابنُ كَثيرٍ.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/379)، ((تفسير ابن جزي)) (2/183)، ((تفسير ابن كثير)) (6/579).

وممَّن قال: إنَّ المَعنى: لا يَسبِقُه فيَفوتَه، ولكنْ يُعاقِبُه: البَيضاويُّ، وأبو السُّعود، والشَّوكانيُّ.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (4/269)، ((تفسير أبي السعود)) (7/168)، ((تفسير الشوكاني)) (4/425).

قال ابن قتيبة: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ يقولُ: هما يَتعاقَبانِ، ولا يَسبِقُ أحدُهما الآخَرَ: فيفوته ويَذهَب قبْلَ مجيءِ صاحبِه).

((تأويل مشكل القرآن)) (ص: 193).

وقال ابنُ تيمية: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ لا يفوتُه ويَتقدَّمُ أمامَه حتى يكونَ بينهما برزخٌ؛ بل هو هو متَّصِلٌ به، لا هذا يَنفصِلُ عن هذا، ولا هذا يَنفصِلُ عن هذا).

((مجموع الفتاوى)) (6/599).

ويُنظر: ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (4/485).

وقيل: معنى قوله: وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، أي: آيةُ الليلِ آيةَ النهارِ، وممَّن اختاره: النَّسَفيُّ، وابنُ عَجيبة.

يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/105)، ((تفسير ابن عجيبة)) (4/571).

أي: وكلٌّ يَدورُ في فَلَكِ السَّماءِ.(52)

(52) قيل المراد: بـ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقمَرُ.

وممَّن قال بهذا القولِ: ابنُ جرير، وابنُ كثير، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (440/19)، ((تفسير ابن كثير)) (579/6)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 147).

لكن ذكر ابنُ جُزَيٍّ أنَّه لا يُوصَفُ اللَّيلُ والنَّهارُ بالسَّبحِ في الفلَكِ.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (21/2).

وقيل: المرادُ: الشَّمسُ والقمَرُ والنُّجومُ.

وممَّن قال بهذا: الواحديُّ، والرَّسْعني، وجلال الدِّين المحلِّي، والعُليمي، والسعدي.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (487/18)، ((تفسير الرسعني)) (339/6)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 423)، ((تفسير العليمي)) (485/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 696).

وقيل: المرادُ: الشمسُ والقمرُ.

وممَّن اختاره: مقاتِلُ بنُ سُليمان، وابنُ أبي زَمنين، والزَّمخشريُّ، وابنُ جُزي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (580/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (45/4)، ((تفسير الزمخشري)) (115/3)، ((تفسير ابن جزي)) (21/2).

قال ابنُ جُزَيٍّ: (أتى بلفظِ «كُلٌّ»، ويَسْبَحُونَ وهو جَمعٌ، مع أنَّ الشَّمسَ والقَمرَ اثْنانِ؛ لأنَّه أرادَ جِنسَ مَطالِعِها كلَّ يومٍ ولَيلةٍ، وهي كثيرةٌ.

قالَه الزَّمَخْشَريُّ).

((تفسير ابن جزي)) (21/2).

ويُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (115/3)

سورةُ يس

الآيات (41–44)

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (44)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

ذُرِّيَّتَهُمْ: الذُرِّيَّةُ: الأولادُ، وأولادُ الأولادِ، مِن (ذَرَأَ)، أي: خَلَق؛ لأنَّ الذُّرِيَّةَ خَلْقُ اللهِ، أو لأنَّ الولدَ ذُرِئَ مِن الأبِ، وقيلَ غيرُ ذلك. والذُّرِّيَّةُ أيضًا: الآباءُ؛ لأنَّ الذَّرَّ وقَع منهم، فهو مِن الأضْدادِ.

الْفُلْكِ: أي: السَّفينةِ، وواحِدُه وجمعُه بلفظٍ واحدٍ، وأصلُ (فلك): يدُلُّ على الاستِدارةِ، ولعلَّ السفينةَ تُسَمَّى فُلْكًا؛ لأنَّها تُدارُ في الماءِ.

الْمَشْحُونِ: أي: المملوءِ، وأصلُ (شحن): يدُلُّ على المَلْءِ.

صَرِيخَ: أي: مُغيثَ ومُجيرَ، ويُطلَقُ أيضًا على المستغيثِ المستنجِدِ، وهو مِن الأضدادِ، والاستِصراخُ: الإغاثةُ والاستِغاثةُ؛ وذلك أنَّ المُنْجِدَ إذا صَرَخ به المستنجِدُ صَرَخ هو مُجيبًا بما يطمئِنُّ له، وأصلُ (صرخ): يدُلُّ على صَوتٍ رَفيعٍ.

وَمَتَاعًا: أي: انتِفاعًا، والمتاعُ والمتعةُ ما يُنتفَعُ به انتفاعًا قليلًا غيرَ باقٍ، وأصلُ (متَع): يدُلُّ على المنفَعةِ، وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41).

أي: وعَلامةٌ عَظيمةٌ لهم(53) دالَّةٌ على تَوحيدِ اللهِ، وكَمالِ قُدرتِه على فِعلِ ما يَشاءُ، وعلى غيرِ ذلك: أنَّا حَمَلْنا آباءَهم(54) في السَّفينةِ المملوءةِ مِن الأَمتعةِ والحَيواناتِ: سَفينةِ نُوحٍ عليه السَّلامُ.

---

(53) قيل: المرادُ بهم: كفَّارُ مكةَ.

وممَّن قال بهذا: مقاتِل بن سُليمان، والسَّمرقندي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (580/3)، ((تفسير السمرقندي)) (124/3).

وقيل: المرادُ بهم: جميعُ النَّاسِ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ عُثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 150).

قال الشوكانيُّ: (ثُمَّ قال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فكأنَّه قال: وآيةٌ للعِبادِ أنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّاتِ العِبادِ، ولا يلزَمُ أنْ يكونَ المرادُ بأحدِ الضَّميرَيْنِ البعضَ منهم، وبالضَّميرِ الآخَرِ البعضَ الآخَرَ، وهذا قولٌ حَسَنٌ).

((تفسير الشوكاني)) (427/4).

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (283/26).

وقال الماورديُّ: (قوله عزَّ وجلَّ: وَآيَةٌ لَهُمْ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ: أحدُها: عبرةٌ لهم؛ لأنَّ في الآياتِ اعتبارًا.

الثاني: نِعمةٌ عليهم؛ لأنَّ في الآياتِ إنعامًا.

الثالث: إنذارٌ لهم؛ لأنَّ في الآياتِ إنذارًا).

((تفسير الماوردي)) (19/5).

(54) ممَّن اختار المعنى المذكورَ في الجُملة، وأنَّ المرادَ بالذُّريَّةِ هنا: الآباءُ الأقدمون الذين ركِبوا السَّفينةَ معَ نوحٍ عليه السَّلامُ: ثَعلب، وابنُ جَرير، والسَّمرقندي، والواحدي، والبَغوي، وابنُ كثير، وجلال الدِّين المحلي، والعُليمي.

يُنظر: ((مجالس ثعلب)) (ص: 157)، ((تفسير ابن جرير)) (442/19)، ((تفسير السمرقندي)) (124/3)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 900)، ((تفسير البغوي)) (15/4)، ((تفسير ابن كثير)) (579/6)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 583)، ((تفسير العليمي)) (485/5).

قال الواحديُّ: (لأنَّ مَن حُمِلَ مع نوحٍ كان هؤلاء مِن نَسْلِهم، والذُّرِّيَّةُ تَقعُ على الآباءِ كما تقعُ على الأولادِ).

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (514/3).

والسَّفينةُ على هذا القَولِ: هي سَفينةُ نوحٍ عليه السَّلامُ، ونَسَب الرَّسْعنيُّ القَولَ بذلك إلى أكثَرِ المفَسِّرين.

يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (340/6).

قال ابنُ الجوزي: (قال المفسِّرون: أراد: في سَفينةِ نوحٍ، فنَسَب الذُّرِّيَّةَ إلى المُخاطَبين؛ لأنَّهم مِن جِنسِهم، كأنَّه قال: ذُرِّيَّةَ النَّاسِ).

((تفسير ابن الجوزي)) (525/3).

وقال ابنُ جُزي: (وإنْ أراد بالفُلكِ سَفينةَ نوحٍ فيَعني بالذُّرِّيَّةِ مَن كان في السَّفينةِ، وسمَّاهم ذُرِّيَّةً؛ لأنَّهم ذُرِّيَّةُ آدمَ ونُوحٍ، فالضَّميرُ في ذُرِّيَّتَهُمْ على هذا النَّوعِ لبني آدمَ، كأنَّه يقولُ: الذُّرِّيَّةُ منهم).

((تفسير ابن جزي)) (183/2).

وقال ابنُ عُثَيمين: (والصَّوابُ أن نقولَ: حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، يعني: الذُّرِّيَّةَ التي كانوا منها؛ فالإضافةُ –كما يقولُ النَّحويونَ– لأدْنى مُلابَسةٍ، فآباؤُهم بالنِّسبةِ لِنُوحٍ ذُرِّيَّةٌ).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 209).

وقال الزمخشريُّ: (قيل: الفلكُ المشحونُ: سَفينةُ نوحٍ، ومعنى حَملِ اللهِ ذُرِّياتِهم فيها: أنَّه حمَل فيها آباءَهم الأقدمين، وفي أصلابِهم هم وذُرِّيَّاتُهم، وإنَّما ذكَرَ ذريَّاتِهم دونَهم؛ لأنَّه أبلغُ في الامتنانِ عليهم، وأدخَلُ في التعجيبِ مِن قُدرتِه في حَملِ أعقابِهم إلى يومِ القِيامةِ في سَفينةِ نوحٍ).

((تفسير الزمخشري)) (18/4).

وقال الرازيُّ: (إنْ كانَ المرادُ سـفينةَ نُوحٍ عليه السَّـلامُ ففيه وجوهٌ: الأوَّلُ: أنَّ المرادَ أنَّا حَمَلْنا أولادَكم إلى يومِ القِيامةِ في ذلك الفُلكِ، ولولا ذلك لَمَا بَقِيَ للآدميّ نَسْـلٌ ولا عَقِبٌ وعلى هذا فقولُه: حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ بدلُ قولِه: «حَمَلْنَاهم» إشارةٌ إلى كمالِ النِّعمةِ، أي: لم تَكُنِ النِّعمةُ مُقْتَصِرةً عليكم، بلْ متعدِّيَةً إلى أعقابِكم إلى يومِ القِيامةِ، هذا ما قاله الزَّمخشريُّ.

ويَحتمِلُ عِندي أنَّ يُقالَ على هذا: إنَّه تعالَى إنَّما خصَّ الذُّرِّيَّةَ بالذِّكْرِ؛ لأنَّ الموجودينَ كانوا كُفَّارًا لا فائدةَ في وُجودِهم فقال: حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ، أي: لم يَكُنِ الحملُ حَمْلًا لهم، وإنَّما كان حَمْلًا لِمَا في أصلابِهم مِن المؤمنينَ...

الثَّاني: هو أنَّ المرادَ بالذُّرِّيَّةِ الجِنسُ، معناه: حَمَلْنا أجناسَـهم؛ وذلك لأنَّ وَلَدَ الحيوانِ مِن جِنسِـه ونوعِه، والذُّرِّيَّةُ تُطلَقُ على الجنسِ...

فقولُه: أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ، أي: أمثالَهم، وآباؤُهم حينئذٍ تَدْخُلُ فيهم.

الثَّالثُ: هو أنَّ الضَّـميرَ في قولِه: وَآيَةٌ لَهُمْ عَائِدٌ إلى العِبادِ حيثُ قال: يَا حَسْـرَةً عَلَى الْعِبَادِ [يس: 30]، وقال بعدَ ذلك: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ [يس: 33]، وقال: وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ [يس: 37]، وقالَ: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ؛ إذا عُلِم هذا فكأنَّه تعالَى قال: وآيةٌ للعِبادِ أنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّاتِ العِبادِ، ولا يلزمُ أنْ يكونَ المرادُ بالضَّميرِ في الموضعَينِ أشخاصًا معيَّنِينَ...

قولُه تعالَى: وَآيَةٌ لَهُمْ، أي: آيةٌ لكلِّ بَعضٍ منهم أنَّا حَمَلْنا ذُرية كلِّ بعضٍ منهم، أو ذُرِّيَّةَ بعضٍ منهم).

((تفسير الرازي)) (283/26).

وقيل: المرادُ بقولِه: ذُرِّيَّتَهُمْ: أولادُهم.

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42).

وممَّن اختار هذا القولَ: الزمخشري، والخازن، والألوسي، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (18/4)، ((تفسير الخازن)) (8/4)، ((تفسير الألوسي)) (26/12)، ((تفسير القاسمي)) (186/8).

قال الألوسيُّ: (واستظهَرَ حَمْلَه على الأولادِ مُطلقًا أبو حيَّان، وجوَّز غيرُ واحدٍ أن يُحمَلَ على الكِبارِ؛ لأنَّهم المبعوثونَ للتِّجارة، أي: حمَلْناهم حينَ يَبعثونَهم للتِّجارة).

((تفسير الألوسي)) (26/12)، ويُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (69/9).

وقال السَّمينُ الحلَبي: (وقيل: الأبناءُ، وذلك إذا أُريدَ بالفُلكِ جِنسُ السُّفُنِ لا سَفينةُ نُوحٍ).

((عمدة الحفاظ)) (40/2).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: جِنسُ السُّفُنِ: الرازي، وابن جُزي، والألوسي.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (283/26)، ((تفسير ابن جزي)) (183/2)، ((تفسير الألوسي)) (26/12، 27).

وقال الألوسيُّ: (وإرادةُ الجِنسِ مَرويَّةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، والسُّدِّي).

((تفسير الألوسي)) (26/12).

وقال الرازيُّ: (هو أظهرُ؛ لأنَّ سَفينةَ نوحٍ لم تكُنْ بحضرَتِهم ولم يَعلَموا مَن حُمِل فيها، فأمَّا جِنسُ الفلكِ فإنَّه ظاهرٌ لكلِّ أحدٍ، وقولُه تعالَى في سفينةِ نوحٍ: وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت: 15] ، أي: بوجودِ جِنسِها ومِثلِها، ويؤَيِّدُه قولُه تعالَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ [لقمان: 31]).

((تفسير الرازي)) (283/26).

وقال ابنُ جُزي: (والأظهرُ أنَّه أراد بالفلكِ جنسُ السُّفنِ، فيعني جِنسَ بني آدمَ، وإنَّما خَصَّ ذُريتَهم بالذِّكرِ؛ لأنَّه أبلغُ في الامتِنانِ عليهم).

((تفسير ابن جزي)) (183/2).

وظاهرُ كلامِ ابنِ كثيرٍ الجمْعُ بينَ القولينِ في المرادِ بالفُلكِ، حيثُ قال: (ودَلالَةٌ لهم أيضًا على قُدرتِه تعالَى: تسخيرُه البحرَ ليحمِلَ السُّفنَ، فمِن ذلك -بل أوَّلُه- سَفينةُ نُوحٍ، عليه السَّلامُ).

((تفسير ابن كثير)) (579/6).

أي: وخلَقْنا للعِبادِ مِن مِثلِ سَفينةِ نوحٍ[55] ما يَركَبونَه مِن السُّفُنِ التي علَّمْناهم صَنعتَها.[56]

---

(55) اختلف السلف في قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ على قولين: الأول: أنه السفن.

الثاني: أنه الإبل.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٩/ ٤٤٦ - ٤٤٧) مستندًا إلى السياق، والدلالة العقلية القول الأول، فقال: «وأشبه القولين بتأويل ذلك قولُ مَن قال: عني بذلك: السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ [يس: ٤٣]، على أن ذلك كذلك، وذلك أنّ الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر».

وذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٥٠ - ٢٥١) في معنى: ﴿حملنا ذريتهم﴾ وفي معنى: ﴿من مثله﴾ احتمالين، فقال: «وأمّا معنى الآية فيحتمل تأويلين: أحدهما قاله ابن عباس وجماعة، وهو أن يريد بالذريات المحمولين: أصحاب نوح في السفينة، ويريد بقوله: ﴿مِن مِثْلِهِ﴾: السفن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة، وإيّاها أراد الله تعالى بقوله: ﴿وإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، والتأويل الثاني قاله مجاهد والسُدِّيّ، وروي عن ابن عباس أيضًا، هو أن يريد بقوله: ﴿أنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾: السفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة، ويريد بقوله: ﴿وخَلَقْنا لَهُمْ مِن مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾: الإبل وسائر ما يركب، فتكون المماثلة في أنه مركوب مُبَلِّغٌ إلى الأقطار فقط، ويعود قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ على السفن الموجودة في الناس، وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح في سفينة، وجعل ﴿من مثله﴾ في الإبل؛ فإن هذا نظرٌ فاسد يقطع به قوله تعالى: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾.

فتأمله».

(56) والقولُ بأنَّ المرادَ أنَّ الله تعالى خلَقَ لهم سُفُنًا مِن جِنسِ سَفينةِ نوحٍ نسَبه الرازي إلى الأكثرينَ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (285/26).

وقال الزَّجَّاج: (الأكثرُ في التفسيرِ أنَّ مِنْ مِثْلِهِ مِن مِثلِ سَفينةِ نوحٍ).

((معاني القرآن وإعرابه)) (288/4).

وممَّن قال بنحوِ هذا القَولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عباسٍ في رِوايةٍ عنه، وأبو مالكٍ، والحَسَنُ في روايةٍ عنه، وأبو صالحٍ، والضحَّاكُ، وقَتادةُ في رِوايةٍ عنه، وابنُ زيدٍ، والسُّدِّيُّ في رِوايةٍ عنه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (444/19)، ((تفسير ابن الجوزي)) (525/3)، ((تفسير ابن كثير)) (580/6).

قال ابنُ القيِّم: (والأصَحُّ أنَّ المِثْلَ المخلوقَ هنا هو السُّفُنُ، وقد أخبَرَ أنَّها مخلوقةٌ، وهي إنَّما صارتْ سُفُنًا بأعمالِ العِبادِ).

((بدائع الفوائد)) (152/1).

وقيل: المرادُ بقوله: مِنْ مِثْلِهِ: الإبلُ.

وممَّن اختاره: الزمخشريُّ، والنَّسَفي، والسَّمين الحلبي، والعُليمي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (18/4)، ((تفسير النسفي)) (105/3)، ((عمدة الحُفَّاظ)) للسمين الحلبي (70/4)، ((تفسير العليمي)) (485/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (28/23).

كما قال سُبحانَه: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ [الزخرف: 12].

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (43).

أي: وإنْ نشأْ نُغرِقْ مَن يَركَبونَ السُّفُنَ، في البَحرِ؛[57] فلا مُغيثَ لهم يَطلُبونَ منه النَّجدةَ، فيَمنَعُ عنهم حُدوثَ الغَرَقِ، ولا أحَدَ يُنقِذُهم فيَنتشِلُهم مِن الماءِ بعدَ غرَقِهم فيه.

قال السَّمين الحلبي: (وذلك أنَّها في حمْلِها الأشياءَ الثقيلةَ وصبرِها على عدمِ الماءِ والعلفِ كالسُّفنِ؛ ولذلك تُسمِّيها العربُ «سفنَ البرِّ»).

((عمدة الحفاظ)) (70/4).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عباسٍ في رِوايةٍ عنه، وعِكرمةُ، وعبد الله بنُ شدَّاد، ومجاهدٌ، والحسنُ في روايةٍ عنه، وقَتادةُ في روايةٍ عنه، والسُّدِّيُّ في روايةٍ عنه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (446/19)، ((تفسير ابن الجوزي)) (525/3)، ((تفسير ابن كثير)) (579/6).

وممَّن جمَع بينَ القولين: البقاعيُّ.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (134/16).

ولكنْ قال ابنُ القيِّم: (أبعَدَ مَن قال: إنَّ المِثْلَ هاهنا هو سُفُنُ البَرِّ، وهي الإبِلُ؛ لوجهَين: أحدُهما: أنَّها لا تُسمَّى مِثْلًا للسُّفُنِ لا لُغةً ولا حَقيقةً؛ فإنَّ المِثْلَين ما سَدَّ أحدُهما مَسَدَّ الآخَرِ، وحقيقةُ المماثَلةِ أنْ يكونَ بينَ فُلْكٍ وفُلْكٍ، لا بين جَمَلٍ وفُلْكٍ.

الثَّاني: أنَّ قولَه: وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ عَقِبَ ذلك: دَليلٌ على أنَّ المرادَ الفُلْكُ التي إذا رَكِبوها قَدَرْنا على إغراقِهم، فذَكَّرَهم بنِعَمِه عليهم مِن وجهَين: أحدُهما: ركوبُهم إيَّاها.

والثَّاني: أنْ يُسَلِّمَهم عندَ رُكوبِها مِنَ الغَرَقِ).

((بدائع الفوائد)) (152/1).

وقال أبو حيَّان: (قولُه: وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ: يعني الإبلَ والخيلَ والبِغالَ والحميرَ، والمماثلةُ في أنَّه مركوبٌ مُبَلِّغٌ للأوطانِ فقطْ، هذا إذا كانَ الفُلكُ جنسًا.

وأمَّا إنْ أُريدَ به سفينةُ نوحٍ، فالمماثَلةُ تكونُ في كونِها سُفُنًا مِثْلَها، وهي الموجودةُ في بني آدَمَ).

((تفسير أبي حيان)) (70/9).

(57) قيل: المرادُ بهم هنا: المشركون.

وممَّن قال بهذا: ابنُ جرير.

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (44).

أي: إلَّا أن نُنجِّيَهم نحن مِنَ الغرَقِ؛ رَحمةً مِنَّا بهم، ولِنُمتِّعَهم إلى مُنتهَى آجالِهم المعلومةِ عندَ اللهِ تعالَى.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (447/19).

وقيل: مَن يَركبون السُّفُنَ عمومًا.

وهذا اختيارُ ابنِ عطيَّة، وظاهرُ اختيار ابنِ كَثير.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (455/4)، ((تفسير ابن كثير)) (580/6).

قال الشوكانيُّ: (والضَّميرُ يَرْجِعُ إمَّا إلى أَصْحَابِ الذُّرِّيَّةِ، أَوْ إلى الذُّرِّيَّةِ، أَوْ إلى الجميعِ عَلَى اختلافِ الأقوالِ).

((تفسير الشوكاني)) (427/4).

سورةُ يس

الآيات (45–47)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47)

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45).

أي: وإذا قيلَ للمُشركينَ:[58] احْذَروا ما تَقدَّم قبْلَكم مِن نِقمِ اللهِ في الأُممِ الماضيةِ بكُفرِهم أن يُحَلَّ مِثلُه بكم، واحْذَروا ما أنتُم لاقُوه مِن عَذابِ اللهِ تعالَى إنْ هلكتُم على كُفرِكم وتكذيبِكم؛ لعلَّكم تنالونَ بذلك رحمةَ رَبِّكم- إذا قيل للمُشركينَ ذلك أعرَضوا![59]

---

(58) قال ابنُ جرير (١٩/ ٤٤٧): «قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ يقول -تعالى ذكره-: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمدًا -ﷺ-: احذروا ما مضى بين أيديكم مِن نقم الله ومثلاته بِمَن حلَّ ذلك به مِن الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم، بشرككم وتكذيبكم رسوله ﴿وما خلفكم﴾ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه».

واستدل بقول قتادة.

وذكر ابنُ جرير قول مجاهد، ثم وجهه (١٩/ ٤٤٩) بقوله: «وهذا القول قريب المعنى مِن القول الذي قلنا؛ لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب، ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم».

وذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٥١ – ٢٥٢) نحو قول مجاهد، وعزاه للحسن، ووجّهه على النحو الذي وجهه عليه ابن جرير.

وذكر ابنُ عطية (٤/ ٤٥٥) قول مقاتل وقول قتادة في معناه، ورجّحهما بقوله: «هذا هو النظر».

ولم يذكر مستندًا.

ثم ذكر قولًا عن مجاهد أنه قال: «﴿ما بين أيديهم﴾ هو الآخرة، و﴿ما خلفهم﴾ عذاب الأمم».

ثم علّق عليه قائلًا: «فجعل الترتيب كأنهم يسيرون مِن شيء إلى شيء، ولم يعتبر وجود الأشياء في الزمن».

ثم انتقده مستندًا إلى النظائر بقوله: «وهذا النظر يكسره عليه قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وآتَيْناهُ الإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وإنما المطرد أن يقاس ما بين اليد والخلف بما يسوقه الزمن، فتأمله».

(59) وممَّن ذهَب إلى أنَّ معنى: مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ما أصاب مَن قَبلَكم من العُقوباتِ، ومعنى: وَمَا خَلْفَكُمْ: عذابُ الآخِرةِ: مقاتِلُ بنُ سليمان، وابنُ جَرير، ومكيٌّ، وابنُ عطية، وجلال الدِّين المحلِّي.

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46).

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/580)، ((تفسير ابن جرير)) (19/448، 449)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (9/6043)، ((تفسير ابن عطية)) (4/455)، ((تفسير الجلالين)) للمحلي (ص: 583).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: الحسنُ، وقَتادةُ.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/811)، ((تفسير ابن جرير)) (19/448).

وقيل: المعنى: اتَّقوا ما بيْن أيديكم مِن أمْرِ الآخِرةِ؛ فاعمَلوا لها، وما خلْفَكم مِن أمْرِ الدُّنيا؛ فلا تغترُّوا بها، واحْذَروا أنْ يُعاقِبَكم اللهُ فيها.

وممَّن قال بهذا المعنى: السَّمرقندي، والواحدي، والعُليمي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/126)، ((الوسيط)) للواحدي (3/515)، ((تفسير العليمي)) (5/468)، ((تفسير السعدي)) (ص: 697).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عباسٍ، والكَلْبي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/811)، ((تفسير الثعلبي)) (8/129).

وقيل: المرادُ بما بيْن أيديهم وما خَلْفَهم: ذُنوبُهم المتقدِّمة، وذُنوبُهم المتأخِّرة التي تَصدُرُ منهم في المستقبَلِ.

وممَّن قال بهذا القول: الزَّجَّاج، وابن جُزي، وابن كثير.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (4/289)، ((تفسير ابن جزي)) (2/183)، ((تفسير ابن كثير)) (6/580).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: مجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/811)، ((تفسير الثعلبي)) (8/129).

قال الألوسيُّ بعدَ أنْ ذكَر الخِلافَ: (وحاصلُ الأمْرِ على ما قيل: اتَّقوا العذابَ، أو اتَّقوا ما يَترتَّبُ العذابُ عليه).

((تفسير الألوسي)) (12/28).

وقال ابنُ عُثَيمين بعدَ أنْ ذكَرَ الخِلافَ في الآيةِ: (الآيةُ إذا كانتْ تَحتمِلُ المعانيَ المقولةَ فيها بدونِ تعارُضٍ؛ فإنَّها تُحمَلُ على الجميعِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 160).

وقال الواحدي: (وجوابُ «إذا» محذوفٌ على تقديرِ: وإذا قيل لهم هذا أعرَضوا، يدلُّ على المحذوفِ قولُه: وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ [يس: 46] أي: عبرةٌ ودلالةٌ تدلُّ على صدقِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ).

((الوسيط)) (3/515).

ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (15/36).

أي: وما تأتي هؤلاءِ المُشركينَ علامةٌ دالَّةٌ على تَوحيدِ اللهِ تعالَى وصِدقِ رَسولِه – ﷺ –إلَّا كانوا مُعرِضينَ عنها، فلا يَكترِثون بها، ولا يَتفكَّرونَ فيها![60]

كما قال تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [يوسف: 105].

وقال سُبحانَه: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ [القمر: 1، 2].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47).

---

(60) قال ابنُ الجوزي: (وفي «الآية» قولان: أحدُهما: أنَّها الآيةُ مِن القُرآنِ.
والثاني: المعجزةُ، مثلُ انشقاقِ القمرِ).
((تفسير ابن الجوزي)) (9/2).
وقال الواحديُّ: (المرادُ بالآياتِ: الدَّلالاتُ التي يجِبُ أن يَستَدِلُّوا بها على تَوحيدِ اللهِ وصِدقِ نَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ مِن خَلْقِ السَّمَواتِ والأرضِ وما بينَهما، مع المُعجِزاتِ التي أتَى بها محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم).
((البسيط)) (16/8).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ.

أي: وإذا قِيلَ للمُشركِينَ: أنفِقوا ممَّا رزَقَكم اللهُ على غَيرِكم مِنَ المحتاجِينَ، قال أولئك المشركونَ للمُؤمِنينَ: كيف نُطعِمُ -نحْنُ- هؤلاء الذين تأمُرونَنا بالإنفاقِ عليهم ولو شاء اللهُ لأطعَمَهم هو مِن رِزقِه؟![61]

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

---

(61) قيل: لَمَّا أسْلَم المُستضعَفونَ مِن أقرباءِ الكُفَّارِ ومَوالِيهم، قطَع الكُفَّارُ عنهم ما كانوا يُواسونَهم به، وكان ذلك بمكَّةَ أوَّلًا قبلَ نزولِ آياتِ القِتالِ، فندَبَهم المؤمِنونَ إلى صِلَةِ قرابَاتِهم فقالوا: أنُطْعِمُ مَن لو يَشاءُ اللَّهُ أطْعَمه.

وقيل غير ذلك.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (9/72).

وقولُهم: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ قيل: يحتَمِلُ أنْ يكونَ استهزاءً.

وقيل: يحتَمِلُ أن يكونَ مِن بابِ الاحتجاجِ بالقَدَرِ؛ إمَّا عنادًا ومُعارَضةً للحَقّ، أو فِرارًا من العِتابِ واللَّوم.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 167-168).

وقيل: قَصَدوا بقولِهم الإنكارَ لقدرةِ اللَّهِ، أو إنكارَ جوازِ الأمرِ بالإنفاقِ معَ قُدرةِ اللَّهِ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (26/288)، ((تفسير الشوكاني)) (4/428).

أي: وقال المشركون أيضًا للمؤمنينَ:[62] ما أنتُم بأمْرِكم لنا بالإنفاقِ ممَّا رزَقَنا اللهُ على المحتاجِينَ إلَّا في ضَلالٍ واضحٍ في غايةِ الظُّهورِ![63]

---

(62) ذكر ابنُ جرير (١٩/ ٤٥٠) في قوله: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ وجهين، رجّح الأول منهما، فقال: «وفي قوله: ﴿إن أنتم إلا في ضـــلال مبين﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون مِن قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذ: ما أنتم –أيها القوم– في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم.

إلا في ذهاب عن الحق، وجَور عن الرشد، مبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال.

وهذا أولى وجهيه بتأويله.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك مِن قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم –أيها الكافرون– في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه.

إلا في ضلال مبين عن أنّ قيلكم ذلك لهم ضلال».

وبنحوه ابنُ عطية (٧/ ٢٥٣)، ولم يذكرا مستندًا.

وانتقد ابنُ كثير (١١/ ٣٦٧) الوجه الثاني من هذين الوجهين بقوله: «وفي هذا نظر».

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٥٢ – ٢٥٣) في معنى الآية احتمالين، فقال: «وقولهم يحتمل معنيين من التأويل: أحدهما يخرج على اختبارات لجهال العرب، فقد رُوِي أنّ أعرابيًا كان يرعى إبله، فيجعل السمان في الخصب، والمهازيل في المكان الجدب، فقيل له في ذلك، فقال: أُكْرِمُ ما أكرم الله، وأُهين ما أهان الله.

فيُخَرَّج قولُ قريش على هذا المعنى، كأنهم رأوا الإمساك عمن أمسك الله عنه رزقه، ومن أمثالهم: كن مع الله على المدْبِر».

والتأويل الثاني: «أن يكون كلامهم بمعنى الاستهزاء بقول محمد – ﷺ –: إن ثَمَّ إلهًا هو الرزاق.

فكأنهم قالوا: لِمَ لا يرزقك إلهك الذي تزعم؟ أي: نحن لا نطعم من لو يشاء هذا الإله الذي زعمت لأطعمه.

وهذا كما يدعي إنســـان أنه غني، ثم يحتاج إلى معونتك في مال، فتقول له على جهة الاحتجاج والهزء به: أتطلب معونتي وأنت غني؟! أي: على قولك».

(63) قال الرَّسْعني: (قَولُه تعالى: إنْ أَنْتُمْ إلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يحتَمِلُ وُجوهًا: أحدُها: أنَّه مِن تمامِ كلامِهم للمُؤمِنين.

قاله قتادةُ.

والثَّاني: أنَّه إخبارٌ مِن الله تعالى وحُكمٌ عليهم بالضَّلالِ؛ حيث ردُّوا على المؤمنينَ هذا الجوابَ.

الثَّالِثُ: أنَّه حكايةُ قَولِ المؤمنينَ).

((تفسير الرسعني)) (6/344).

سورةُ يس

الآيات (48–54)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ
وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا
وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

يَخِصِّمُونَ: أي: يَختَصِمونَ ويَتشاجَرونَ على عادِتِهم، وأصلُ (خصم): يدُلُّ على مُنازَعةٍ.

الصُّورِ: أي: القَرنِ يَنفُخُ فيه إسرافيلُ، وقيل: الصُّورُ جَمْعُ صُورةٍ يَنْفُخُ فيها رُوحَها فتَحْيَا.

الْأَجْدَاثِ: أي: القُبورِ، واحِدُها: الجَدَثُ.

يَنْسِلُونَ: أي: يُسرِعونَ، مِن النَّسَلانِ: وهو مُقارَبةُ الخَطْوِ مع الإسراعِ، وأصلُ (نسل): يَدُلُّ على انسِلالِ شَيءٍ بسُرعةٍ.

يَا وَيْلَنَا: ويل: كلمةُ دُعاءٍ بالهَلاكِ والعذابِ، وتُطلَقُ كذلِك على حُلولِ الشرِّ، وتُستعمَلُ في التَّحسُّرِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48).

أي: ويَقولُ المُشرِكونَ تَكذيبًا أو استهزاءً: متى يكونُ البَعثُ يومَ القِيامةِ إنْ كنتُم صادِقينَ في دعواكم أنَّنا نُبعَثُ بعدَ مَوتِنا أحياءً؟

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49).

أي: ما يَنتظِرونَ إلَّا صَيحةً واحِدةً حينَ يُنفَخُ في الصُّورِ عِندَ قيامِ السَّاعةِ، فتُصيبُهم وهم يختَصِمونَ في شؤونِ دُنياهم؛ فهم في غَفلتِهم لاهونَ عنها، لم تَخطُرْ على قُلوبِهم!

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((لَتقومَنَّ السَّاعةُ وقدْ نشَرَ الرَّجُلانِ ثوبَهما بيْنَهما فلا يَتبايعانِه ولا يَطويانِه! ولَتقومَنَّ السَّاعةُ وقدِ انصرَفَ الرَّجُلُ بلَبنِ لِقحتِه[64] فلا يَطعَمُه! ولَتقومَنَّ السَّاعةُ وهو يَليطُ حوضَه،[65] فلا يَسْقي فيه! ولَتقومَنَّ السَّاعةُ وقدْ رفَعَ أحدُكم أُكْلتَه إلى فيه فلا يَطعَمُها!)).[66]

---

(64) اللِّقْحةُ: النَّاقةُ التي لها لَبَنٌ يُحلَبُ.

يُنظر: ((شرح صحيح البخارى)) لابن بطال (151/7).

(65) يَليطُ حوْضَه: أي: يُصْلِحُه ويَبنِيه، ويُلْصِقُ به الطِّينَ لإصلاحِه؛ ولئلَّا يَنشَفَ ماؤُه.

يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عِياض (509/8)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3407/8).

(66) رواه البخاريُّ (6506) واللفظ له، ومسلِمٌ (2954).

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50).

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً.

أي: فلا يَستطيعونَ حِينَها أنْ يُوصُوا أحدًا بأيِّ شَيءٍ ممَّا يُريدونَ الوَصيَّةَ به، كالأموالِ وغَيرِها!

وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ.

أي: ولا يَستطيعونَ حِينَها الرُّجوعَ إلى أهليهم![67]

ثم بيَّن أنَّهم بَعدَ أنْ يَموتوا يُنفَخُ في الصُّورِ النَّفخةُ الثانيةُ؛[68] نَفخةُ البعثِ مِن القُبورِ، فقال:

---

(67) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٥٤): «وقوله تعالى: ﴿ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يحتمل تأويلات: أحدها: ولا يرجع أحد إلى منزله وأهله؛ لإعجال الأمر، بل تفيض نفسه حيثما أخذته الصيحة.

والثاني: معناه: ﴿ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ قولًا، وهذا أبلغ في الاستعجال، وخص الأهل بالذكر لأنّ القول معهم في ذلك الوقت أهم على الإنسان من الأجنبيين، وأوكد في نفوس البشر.

والثالث: تقديره: ﴿ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أبدًا، فخرج هذا عن معنى وصف الاستعجال إلى معنى ذكر انقطاعهم وانبتارهم من دنياهم».

(68) اختلَفَ العُلَماءُ في عدَدِ النَّفَخاتِ في الصُّورِ على أقْوالٍ؛ فقيلَ: هُما نَفْخَتانِ: نَفْخةُ الفزَعِ والصَّعقِ، ونَفْخةُ البَعثِ.

ممَّن ذهَبَ إلى هذا القَولِ: ابنُ جَرير، والقُرطبيُّ، والسعديُّ، وابنُ باز، وابنُ عُثَيْمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (254/20)، ((التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)) للقرطبي (ص: 490، 491)، ((تفسير السعدي)) (ص: 729)، ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (328/4)، ((شرح العقيدة السفارينية)) لابن عثيمين (467/1).

وقيل: هِي ثَلاثُ نَفَخاتٍ، وهي نفْخَة الفزعِ، ونفخَة الصَّعقِ، ونفخَة البعثِ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ تَيميَّة، وابنُ كَثير.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (260/4)، ((تفسير ابن كثير)) (116/7).

وقيل: هي أربعُ نَفَخاتٍ، وممَّن ذهَب إلى هذا: البِقاعيُّ.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (552/16–553، 558، 560).

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51).

أي: ونُفِخَ في الصُّورِ نَفخةٌ ثانيةٌ للبَعثِ يومَ القِيامةِ، فإذا هم يَخرُجونَ مِن القُبورِ مُسرِعينَ إلى رَبِّهم.

كما قال تعالَى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [الكهف: 99].

وقال سُبحانَه: يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ [القمر: 7].

وقال عزَّ وجَلَّ: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا [المعارج: 43].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ - ﷺ -، فقال: ما الصُّورُ؟ قال: قَرنٌ يُنفَخُ فيه)).[69]

قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52).

---

(69) أخرجَه أبو داود (4742)، وأحمد (6507) باختلاف يسير، والترمذي (2430)، والنسائي (11456) واللفظ لهما.
حسَّنه التِّرمذيُّ، وذكَر ثُبوتَه ابنُ كثير في ((تفسير القرآن)) (308/5)، وصحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2430)، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (550/2)، وأحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (9/10).

قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا.

أي: قال الكافِرونَ: يا وَيلَنا[70] مَن أحيانا فأيقَظَنا وأقامَنا مِن مَرقَدِنا؟![71]

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ الله – ﷺ –: ((ما بيْنَ النَّفخَتينِ أربَعون –قالوا: يا أبا هُرَيرةَ، أربعون يومًا؟ قال: أبيتُ! قالوا: أربعون شَهرًا؟ قال: أبَيتُ![72] قالوا: أربعون سَنةً؟ قال:

(70) قيل: هي كلِمةٌ يقولُها الواقِعُ في مُصيبةٍ، أو المتحَسِّرُ، أو النادِمُ.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجُملة: السعديُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عُثَيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (37/23)، ((تفسير السعدي)) (ص: 697)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 185، 189).

قال البِقاعي: (أي: ليس بحَضرتِنا اليومَ شَيءٌ يُنادِمُنا إلَّا الويلُ).

((نظم الدرر)) (142/16–143).

(71) قيل: معنى مَرْقَدِنا: رَقدتُنا ومَنامُنا.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جَرير، والسَّمرقندي، والثعلبي، والعُليمي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (456/19–457)، ((تفسير السمرقندي)) (127/3)، ((تفسير الثعلبي)) (130/8)، ((تفسير العليمي)) (489/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 697).

وقيل: موضِعُ رُقادِنا، وهو القُبورُ.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ كَثير، وابن عاشور، وابنُ عُثَيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (581/6)، ((تفسير ابن عاشور)) (37/23)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 185).

(72) معناه: أبَيْتُ أن أجزِمَ أنَّ المرادَ أربعون يومًا أو شهرًا أو سَنةً، بل الَّذي أجزِمُ به أنَّها أربعون مُجمَلةً؛ لأنَّه إنَّما سَمِعَ (أربعين) ولم يُعَيَّنْ له.

يُنظر: ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (454/3)، ((شرح النووي على مسلم)) (91/18، 92).

أَبيتُ!– ثمَّ يُنزِلُ اللهُ مِن السَّماءِ ماءً فيَنبُتونَ كما يَنبُتُ البَقلُ. قال: وليس مِن الإنسانِ شَيءٌ إلَّا يَبلَى، إلَّا عَظمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ،[73] ومنه يُركَّبُ الخَلقُ يومَ القِيامةِ)).[74]

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ.

أي: قال المؤمِنون: هذا هو البَعثُ الذي وعَدَ به الرَّحمنُ، وقد صَدَقَ رُسُلُه فيما أخبَرونا به.[75]

---

(73) عَجْبُ الذَّنَبِ: هو العَظْمُ اللطيفُ الَّذي في أسفلِ فقارِ الظَّهرِ، وأعلَى ما بينَ الأليتَينِ، وهو رأسُ العُصعُصِ.
يُنظر: ((التعليق على الموطأ)) للوقشي (268/1)، ((شرح النووي على مسلم)) (92/18)، ((طرح التثريب)) للعراقي (307/3).

(74) رواه البخاري (4935) ومسلم (2955).

(75) اختُلف في قائل هذه المقالة: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ على أقوال: الأول: أنهم المؤمنون.
الثاني: أنهم الكفار.
الثالث: أنهم الملائكة.
وقد رجّح ابنُ جرير (١٩/ ٤٥٨) مستندًا إلى الدلالة العقلية القولَ الأول، فقال: «والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأن الكفار في قيلهم: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالًا، ولذلك مِن جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا مِن غيرهم مِمَّن خالفت صفتُه صفتَهم في ذلك».
وكذا رجّح ابنُ كثير (١١/ ٣٦٨) مستندًا إلى النظائر القول الأول بقوله: «وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات: ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ [الصافات: ٢٠ – ٢١]، وقال الله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ [الروم: ٥٥ – ٥٦]».
وذكر ابنُ كثير القول الأول والثالث، وعلّق عليهما قائلًا: «ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن».

كما قال تعالَى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [الروم: 55، 56].

وقال سُبحانَه: وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [الصافات: 20، 21].

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53).

أي: ما كانَتْ تلك النَّفخةُ المذكورةُ إلَّا نَفخةً واحِدةً، فإذا هم قدْ أُحضِروا مُجتَمِعينَ لَدَيْنا دونَ أن يتخَلَّفَ منهم أحدٌ.

كما قال تعالَى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [النحل: 77].

وقال سُبحانَه: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [ق: 42].

وقال تعالى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم: 93 – 95].

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54).

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا.

أي: ففي هذا اليومِ -يومِ القِيامةِ- لا يَظلِمُ اللهُ أيَّ نَفسٍ مِن النُّفوسِ أيَّ شَيءٍ مِمَّا تَستَحقُّه.

وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

أي: ولا تُجزَونَ يومَ القِيامةِ إلَّا بحَسَبِ أعمالِكم التي كنتُم تعمَلونَها في الدُّنيا.

سورةُ يس

الآيات (55–58)

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ
مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

فَاكِهُونَ: أي: ناعِمونَ فَرِحونَ مَسرورونَ، وأصلُ (فكه): يدُلُّ على طِيبٍ واستِطابةٍ.

الْأَرَائِكِ: أي: السُّرُرِ الَّتي عليها الحِجَالُ، واحِدُها: أريكةٌ، وأصلُ (أرك) هنا: يدُلُّ على إقامةٍ.

يَدَّعُونَ: أي: يَتَمَنَّوْنَ، والعربُ تقولُ: ادَّعِ علَيَّ ما شِئتَ، أي: تَمَنَّ علَيَّ ما شِئتَ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55).

أي: إنَّ أهلَ الجنَّةِ في هذا اليَومِ مُشتَغِلونَ(76) بما هم مُنغَمِسونَ فيه مِنَ اللَّذائِذِ والنِّعَمِ، بلا هَمٍّ يُصيبُهم، ولا تعَبٍ يَلحَقُهم، وإنَّما هم مُتلَذِّذونَ فَرِحونَ مَسرورونَ.(77)

---

(76) اختلف السلف في معنى الشغل الذي وصف الله –جلَّ ثناؤه– أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة على أقوال: الأول: أنّه افتضاض العذارى.

الثاني: أنّه النعمة.

الثالث: أنهم في شغل عما فيه أهل النار.

الرابع: أنه السماع.

ولم يذكر ابنُ جرير (١٩/ ٤٦١ – ٤٦٢) غير الأقوال الثلاثة الأولى، ثم رجّح جميعها للعموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال كما قال الله –جل ثناؤه–: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ وهم أهلها ﴿في شغل فاكهون﴾ بنِعَم بأنهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو، ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار».

وكذا رجّح ابنُ عطية (٧/ ٢٥٧) العموم، فقال: «وقال مجاهد: معناه: نعيم قد شغلهم.

وهذا هو القول الصحيح، وتعيين شيء دون شيء لا قياس له».

رجح ابنُ جرير (١٩/ ٤٦٣) مستندًا إلى شهرة القراءة في قوله: ﴿فاكهون﴾ قراءة من قرأ ذلك بالألف، فقال: «والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف؛ لأن ذلك هو القراءة المعروفة».

وعلّق ابنُ عطية (٧/ ٢٥٨) عليها، فقال: «وقرأ جمهور الناس: ﴿فاكهون﴾، معناه: أصحاب فاكهة، كما يقال: تامر، ولابِن، وشاحم، ولاحِم».

(77) قال الرسعني: (والمرادُ بالشُّغُلِ: افتِضاضُ الأبكارِ؛ في قولِ ابنِ مسعودٍ، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ، والحَسَنِ، وقَتادةَ، وعامَّةِ المفسِّرينَ).

((تفسير الرسعني)) (348/6).

وقال ابنُ جرير بعدَ أن ذكَرَ الأقوالَ في الآيةِ: (وأَولى الأقوالِ في ذلك بالصَّوابِ: أن يُقالَ كما قال اللهُ جَلَّ ثناؤه: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ وهم أهلُها فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ بنِعَمٍ– بأنَّهم في شُغُلٍ، وذلك الشُّغُلُ الَّذي هم فيه: نِعمةٌ، وافتِضاضُ أبكارٍ، ولَهْوٌ، ولَذَّةٌ، وشُغُلٌ عمَّا يَلْقَى أهلُ النَّارِ).

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56).

أي: هم مع أزواجِهم[78] يتمتَّعونَ في ظِلالِ الجنَّةِ على السُّرُرِ الَّتي أُرخِيَ عليها ما يَستُرُها ويُزَيِّنُها،[79] وهم مُتَّكِئونَ عليها في راحةٍ وطُمأنينةٍ ولَذَّةٍ.

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57).

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ.

أي: لأهلِ الجنَّةِ فيها فواكِهُ كَثيرةٌ مِن جميعِ أنواعِها، يأكُلونَ منها تَلَذُّذًا.

كما قال تعالى: لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ [الزخرف: 73].

((تفسير ابن جرير)) (19/461، 462).

وقال ابنُ عطيَّة: (واختَلَف النَّاسُ في تعيينِ هذا الشُّغُلِ؛ فقال ابنُ مَسعودٍ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ المسَيِّبِ: في افتِضاضِ الأبكارِ.

وحكى النَّقَّاشُ عن ابنِ عبَّاسٍ: سماعُ الأوتارِ.

وقال مجاهِدٌ: معناه نعيمٌ قد شَغَلَهم.

وهذا هو القولُ الصَّحيحُ، وتعيينُ شَيءٍ دونَ شَيءٍ لا قياسَ له).

((تفسير ابن عطية)) (4/458).

(78) قال ابنُ عاشور: (المرادُ بأزواجِهم: الأزواجُ اللَّاتي أُعِدَّت لهم في الجنَّةِ، ومنهنَّ مَن كُنَّ أزواجًا لهم في الدُّنيا إن كنَّ غيرَ ممنوعاتٍ مِن الجنَّةِ؛ قال تعالى: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ [الرعد: 23]).

((تفسير ابن عاشور)) (23/42).

(79) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٥٨): «و﴿الأَرائِكِ﴾: السرر المفروشة، قال بعض الناس: من شروطها أن تكون عليها، حجلة وإلا فليست بأريكة، وبذلك قيدها ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة.

وقال بعضهم: الأريكة: السرير؛ كان عليه حجلة أو لم يكن».

وقال سُبحانَه: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [المرسلات: 41 - 43].

وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ.

أي: ولهم فيها ما يَطلُبونَ ويَشتَهونَ ويتَمَنَّونَ.[80]

كما قال تعالى: وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ [فصلت: 31].

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58).

أي: ولهم نَعيمٌ آخَرُ بالسَّلامِ عليهم مِن رَبٍّ رَحيمٍ بهم، يقولُه قولًا.[81]

(80) قال ابن الجوزي: (قوله تعالى: وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ قال ابنُ قُتَيْبةَ: ما يَتَمَنَّوْنَ، ومنه يقولُ النَّاسُ: هو في خَيرِ ما ادَّعى، أي: ما تَمَنَّى، والعربُ تقولُ: ادَّعِ ما شِئتَ، أي: تَمَنَّ ما شِئتَ.

وقال الزَّجَّاجُ: وهو مأخوذٌ مِن الدُّعاءِ، والمعنى: كلُّ ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم).

((تفسير ابن الجوزي)) (528/3).

ويُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 367)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (292/4).

(81) قال الماوَرْديُّ: (قولُه عزَّ وجَلَّ: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ فيه وجْهانِ؛ أحدُهما: أنَّه سلامُ الله تعالى عليهم؛ إكرامًا لهم. قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

الثَّاني: أنَّه تبشيرُ الله تعالى لهم بسَلامتِهم).

((تفسير الماوردي)) (26/5).

سورةُ يس

الآيات (59-67)

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
(65) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَلَوْ نَشَاءُ
لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

وَامْتَازُوا: أي: انفَصِلوا وانفَرِدوا، وأصلُ (ميز): يدُلُّ على انفِصالِ شَيءٍ مِن شَيءٍ.

جِبِلًّا: أي: خَلْقًا، وجماعةً، وأصلُ (جبل): يدُلُّ على تجمُّعِ الشَّيءِ في ارتفاعٍ.

اصْلَوْهَا: أي: ادخُلوها، وذُوقوا حرَّها، وأصلُ الصَّلْيِ: الإيقادُ بالنَّارِ.

نَخْتِمُ: أي: نَطبَعُ، ونمنَعُهم مِن الكلامِ، وأصلُ (ختم): يدُلُّ على بُلوغِ آخِرِ الشَّيءِ.

لَطَمَسْنَا: أي: محَوْنا وأعمَيْنا، والطَّمسُ: إزالةُ الأثَرِ بالمَحْوِ، وأصلُ (طمس): يدُلُّ على محوِ الشَّيءِ ومَسحِه.

لَمَسَخْنَاهُمْ: أي: جعَلْناهم قِرَدةً وخنازيرَ أو حِجارةً، والمَسخُ: تشويهُ الخَلقِ، وتحويلُه مِن صُورةٍ إلى صورةٍ.

مَكَانَتِهِمْ: أي: مَكانِهم، وأصلُ (مكن): يدُلُّ على الموضِعِ الحاوي للشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59).

أي: يُقالُ[82] يومَ القيامةِ: وتميَّزوا اليومَ -أيُّها الكافِرونَ- عن المؤمنينَ، واخرُجوا مِن جُملتِهم مُنفَرِدينَ عنهم في موقِفِ الحَشرِ.[83]

كما قال تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ [يونس: 28].

وقال سُبحانَه: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ [الروم: 14].

---

(82) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (432/4).

قال ابن عطية: (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ ...

فيه حَذفٌ تقديرُه: ونَقولُ للكَفَرةِ.

وهذه مُعادِلةٌ لِقَولِه لأصحابِ الجَنَّةِ: سَلَامٌ).

((تفسير ابن عطية)) (459/4).

(83) قال الواحدي: (وقال السُّدِّيُّ: كونُوا على حِدَةٍ.

وهذا قَولُ أكثَرِ المفَسِّرينَ، واختيارُ أبي إسحاقَ؛ قال: معناه: انفَرِدوا عن المؤمنينَ).

((البسيط)) (509/18).

ويُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) لأبي إسحاقَ الزَّجَّاجِ (292/4).

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60).

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ.

أي: يقولُ اللهُ تعالى:[84] ألم أُوصِكم –يا بني آدَمَ– على ألسِنةِ رُسُلي ألَّا تَعبُدوا الشَّيطانَ فتُطيعوه فيما أمَرَكم به؛ مِن الكُفرِ والشِّركِ بي، ومَعصيتي؟

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ.

أي: إنَّ الشَّيطانَ لكم عدُوٌّ ظاهِرُ العَداوةِ.

كما قال تعالى: يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ [الأعراف: 27].

وقال سُبحانَه: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف: 50].

---

(84) قال ابنُ عاشور: (إقبالٌ على جميعِ البشَرِ الَّذين جمَعَهم المحشَرُ، غيرَ أهلِ الجنَّةِ الَّذين عُجِّلوا إلى الجنَّةِ، فيَشملُ هذا جميعَ أهلِ الضَّلالةِ مِن مُشركِينَ وغيرِهم، ولعلَّه شاملٌ لأهلِ الأعرافِ).
((تفسير ابن عاشور)) (46/23).

وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61).

أي: ألم أعهَدْ إليكم –يا بني آدَمَ– بعِبادتي وَحْدي وطاعتي، بامتِثالِ ما أُمِرتُم به، واجتِنابِ ما نُهيتُم عنه؛ فإنَّ توحيدي وطاعتي ومَعصيةَ الشَّيطانِ: طَريقٌ مُستقيمٌ، وهو دينُ الإسلامِ القَويمُ؟!

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62).

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا.

أي: ولقد أضَلَّ الشَّيطانُ منكم خَلْقًا كثيرًا عن الصِّراطِ المُستَقيمِ، فصَدَّهم عن توحيدي وطاعتي.

كما قال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ [الأنعام: 128].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [سبأ: 20].

أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ.

أي: أفلم تَعقِلوا عداوةَ الشَّيطانِ لكم، وإضلالَه مَن أطاعَه مِن الأُمَمِ السَّابقةِ، وما حلَّ بهم –بسَبَبِ ذلك– مِن العذابِ والهلاكِ، فتُطيعوني، وتَترُكوا طاعةَ الشَّيطانِ؟!

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63).

أي: يُقالُ لهم: هذه جهنَّمُ الَّتي كنتم تُوعَدونَ بها في الدُّنيا.

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64).

أي: ادخُلوها اليومَ وباشِروا نارَها، وقاسُوا حَرَّها؛ بسَبَبِ كُفرِكم في الدُّنيا.

كما قال تعالى: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الطور: 13- 16].

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65).

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ.

أي: اليومَ نَطبَعُ على أفواهِهم، ونمنَعُهم مِنَ الكَلامِ![85]

كما قال تعالى: وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ [النمل: 85].

وقال سُبحانَه: هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ [المرسلات: 35].

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنَّا عندَ رَسولِ اللهِ – ﷺ –، فضَحِكَ، فقال: هل تَدرُونَ مِمَّ أضحَكُ؟ قُلْنا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: مِن مُخاطَبةِ العَبدِ رَبَّه؛ يقولُ: يا رَبِّ، ألم تُجِرْني مِنَ الظُّلمِ؟

---

(85) قال السَّمعاني: (قال أهلُ التَّفسيرِ: هذا حينَ يُنكِرُ الكُفَّارُ كُفرَهم وتَكذيبَهم رُسُلَ اللهِ، فيَختِمُ اللهُ على أفواهِهم). ((تفسير السمعاني)) (4/385).

قال: يقولُ: بلى. قال: فيقولُ: فإنِّي لا أُجيزُ على نفْسي إلَّا شاهِدًا مني. قال: فيقولُ: كفَى بنَفْسِك اليومَ عليك شهيدًا، وبالكرامِ الكاتِبينَ شُهودًا! قال: فيُختَمُ على فيه، فيُقالُ لأركانِه:[86] انطِقي! قال: فتَنطِقُ بأعمالِه! قال: ثمَّ يُخلَّى بيْنَه وبيْن الكَلامِ، فيقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا! فعنكُنَّ كنتُ أناضِلُ!)).[87]

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه في الحديثِ المرفوعِ الطَّويلِ، وفيه: أنَّه يُقالُ للمنافقِ يومَ القيامةِ: ((الآنَ نَبعَثُ شاهِدَنا عليك، ويَتفكَّرُ في نَفْسِه: مَن ذا الَّذي يَشهَدُ علَيَّ؟! فيُختَمُ على فيه، ويُقالُ لفَخِذِه ولَحمِه وعِظامِه: انطِقي، فتَنطِقُ فَخِذُه ولَحمُه وعِظامُه بعَمَلِه! وذلك لِيُعذِرَ[88] مِن نَفْسِه، وذلك المنافِقُ، وذلك الَّذي يَسخَطُ اللهُ عليه)).[89]

وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ.

أي: وتُكَلِّمُنا أيديهم بما عَمِلَته.

---

(86) المرادُ بالأركانِ هنا: الجوارحُ.

يُنظر: ((إكمال المُعْلِم)) للقاضي عياض (8/522).

(87) رواه مسلم (2969).

(88) لِيُعذِرَ: أي: لِيُزيلَ اللهُ عُذْرَ هذا المنافِقِ مِن قِبَلِ نَفْسِه، بكَثْرةِ ذُنوبِه، وشَهادةِ أعضائِه عليه؛ بحيث لم يَبْقَ له عُذرٌ يتمَسَّكُ به.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (8/3529).

(89) رواه مسلم (2968).

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

أي: وتَنطِقُ أرجُلُهم، فتَشهَدُ عليهم بما كانوا يَكسِبونَه في الدُّنيا مِن الذُّنوبِ والآثامِ.

كما قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ [فصلت: 20 – 22].

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66).

أي: ولو نَشاءُ لأذهَبْنا أعيُنَ الكُفَّارِ،(90) فلا يكونُ لها وجودٌ ولا أثَرٌ، فإذا ابتَدَروا مُسرِعينَ لسُلوكِ الطَّريقِ، فلن يُبصِروه والحالةُ هذه؛ فهم لا مَحالةَ هالِكونَ.(91)

---

(90) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا أعينهم ...﴾ الآية على قولين: الأول: أن معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة.

وهو مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومقاتل.

الثاني: أنّ معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عميًا.

وهو مروي عن الحسن، وقتادة.

وقد ذكر ابنُ جرير (١٩/ ٤٧٥) القولين، ثم قال مرجّحًا القول الثاني، ومنتقدًا القول الأول مستندًا إلى الدلالة العقلية: «وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأنّ الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يُقال وهم كفار: لو نشاء لأضللناهم.

وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم، فصيرناهم عميًا لا يبصرون طريقًا، ولا يهتدون له.

والطمس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين، كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس».

(91) وممَّن ذهب إلى أنَّه يقالُ ذلك تهديدًا لهم في الدُّنيا إن لم يَرجِعوا عن كُفرِهم، فيُفعل بهم ذلك عقوبةً لهم: ابنُ جرير، والواحديُّ، والبِقاعي، وابنُ عاشور.

يُنظر: المصادر السابقة.

ونسبَه ابنُ الجوزيّ للأكثرين.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (529/3).

قال البِقاعي: (الصِّرَاطَ أي: الطَّريقَ الواضِحَ الَّذي ألِفُوه واعتادوه، ولهم به غايةُ المعرفةِ، ولَمَّا كان الأعمى لا يمكِنُه في مِثلِ هذه الحالةِ المَشيُ بلا قائدٍ فضلًا عن المُسابَقةِ؛ سَبَّب عن ذلك قولَه مُنكِرًا: فَأَنَّى أي: كيف ومِن أين يُبْصِرُونَ أي: فلم يَهتَدوا للصِّراطِ؛ لعدَمِ إبصارِهم، بل تَصادَموا فتَساقَطوا في المهالِكِ، وتهافَتوا).

((نظم الدرر)) (159/16).

وقال السعدي: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ بأن نُذْهِبَ أبصارَهم، كما طَمَسْنا على نطقِهم.

فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ أي: فبادَروا إليه؛ لأنَّه الطَّريقُ إلى الوصولِ إلى الجَنَّةِ، فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وقد طُمِسَتْ أبصارُهم؟!).

((تفسير السعدي)) (ص: 698).

وقيل: المرادُ مِن ذلك: الطَّمسُ المعنويُّ، أي: أن يُذهِبَ اللهُ بصائرَهم، فلا يُبصِرونَ طريقَ الهدى.

كما قال تعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 20].

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67).

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ عبَّاس رَضِيَ الله عنهما.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/474).

وقال مقاتلٌ: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ نزلت فى كفَّارِ مكَّةَ، يقولُ: لو نشاءُ لحَوَّلْنا أبصارَهم مِن الضَّلالةِ إلى الهدَى فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ولو طمستُ الكفرَ لاستبقوا الصِّراطَ، يقولُ: لأبصَروا طريقَ الهدَى، ثمَّ قال جلَّ وعزَّ: فَأَنَّى يُبْصِرُونَ؛ فمِن أين يُبصِرونَ الهدَى إن لم أُعمِّ عليهم طريقَ الضَّلالةِ؟!).

((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/584).

أي: ولو نَشاءُ لَمَسَخْنا الكُفَّارَ في أماكِنِهم الَّتي هم فيها؛[92] فبدَّلْنا خِلقَتَهم، وحوَّلْنا صورَتَهم، وأبطَلْنا قوَّتَهم؛ فلا يَستَطيعونَ الذَّهابَ أمامَهم، ولا الرُّجوعَ خَلْفَهم![93]

---

(92) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ على أقوال: الأول: أن معناه: ولو نشاء لأقعدناهم في منازلهم؛ فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم.

الثاني: أن معناه: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

الثالث: أن معناه: ولو نشاء لجعلناهم حجارة.

وقد اختار ابنُ جرير (١٩/ ٤٧٧) القول الأول مستندًا لأقوال السلف.

(93) قال الشوكاني: (كرَّر التَّهديدَ لهم، فقال: وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ المَسخُ: تبديلُ الخِلقةِ إلى حَجَرٍ، أو غيرِه مِن الجَمادِ، أو بهيمةٍ).

((تفسير الشوكاني)) (4/434).

وقال ابنُ عاشور: (أي: لو نَشاءُ لَمَسَخْنا الكافرين في الدُّنيا في مكانِهم الَّذي أظهَروا فيه التَّكذيبَ بالرُّسُلِ، فما استطاعوا انصرافًا إلى ما خرَجوا إليه، ولا رُجوعًا إلى ما أتَوا منه، بل لَزِموا مكانَهم؛ لِزَوالِ العَقلِ الإنسانيّ منهم؛ بسببِ المسخ!).

((تفسير ابن عاشور)) (23/52).

وقال السعدي: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ أي: لأذْهَبْنا حركتَهم فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا إلى الأمامِ وَلَا يَرْجِعُونَ إلى ورائِهم؛ ليبعدوا عن النارِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 698).

سورةُ يس

الآيات (68–70)

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)

غَريبُ الكَلِماتِ:

نُعَمِّرْهُ: أي: نُمُدَّ له في عُمُرِه، وأصلُ (عمر): يدُلُّ على بقاءٍ وامتدادِ زَمانٍ.

نُنَكِّسْهُ: أي: نَرُدَّه إلى مِثلِ حالِه في الصِّغَرِ، وأصلُ (نكس): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ.

وَيَحِقَّ: أي: ويَجِبَ، وأصلُ (حَقق): يدُلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصِحَّتِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68).

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ.

أي: ومَن نَمُدَّ له في عُمُرِه نَرُدَّه إلى مِثلِ حالِه في صِغَرِه؛ ضَعيفًا في جَسَدِه وعَقلِه.[94]

كما قال اللهُ تعالى: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا [النحل: 70].

وقال سُبحانَه: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا [الحج: 5].

وقال عزَّ وجلَّ: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ [الروم: 54].

أَفَلَا يَعْقِلُونَ.

أي: أفلا يَعقِلونَ قُدرةَ اللهِ في تَصريفِ خَلقِه كما يَشاءُ، ومِن ذلك قُدرتُه على بَعثِهم؟!

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69).

---

(94) قال ابن كثير: (المرادُ مِن هذا -واللهُ أعلَمُ- الإخبارُ عن هذه الدَّارِ بأنَّها دارُ زَوالٍ وانتقالٍ، لا دارُ دَوامٍ واستقرارٍ). ((تفسير ابن كثير)) (6/588).

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ.

أي: وما عَلَّمْنا محمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- الشِّعرَ، وما يَنبغي له أن يكونَ شاعِرًا؛ فنَظْمُ الشِّعرِ مُمتنِعٌ عليه.[95]

(95) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٦٤) في عود الضمير من قوله: ﴿وما ينبغي له﴾ احتمالين، فقال: «والضمير في ﴿لَهُ﴾ يحتمل أن يعود على محمد، ويحتمل أن يعود على القرآن، وإن كان لم يذكر لدلالة المجاورة عليه، ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾».

ذكر ابنُ كثير (١١/ ٣٧٩ - ٣٨٠) بعض الآثار التي أفادت قول النبي - ﷺ - بعض الأشعار، ثم علّق قائلًا: «وكل هذا لا ينافي كونه - ﷺ - ما علم شعرًا ولا ينبغي له؛ فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وليس هو بشعرٍ كما زعمه طائفة مِن جهلة كفار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال.

وقد كانت سجيته - ﷺ - تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا».

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ.

أي: ما القُرآنُ[96] إلَّا ذِكرٌ للنَّاسِ،[97] وقرآنٌ واضِحٌ مُظهِرٌ للحَقِّ، مُوضِّحٌ للنَّاسِ كُلَّ ما يَحتاجون إلى بيانِه.

كما قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: 138].

---

(96) ممَّن اختار أنَّ الضَّميرَ في قولِه هُوَ المرادُ به القرآنُ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، ومكِّي، وابنُ الجوزي، والشوكاني، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/584)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (9/6066)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/531)، ((تفسير الشوكاني)) (4/436)، ((تفسير القاسمي)) (8/193).

وقيل: الضَّميرُ يعودُ على المعلَّمِ، أي: ما هذا الَّذي عَلَّمْناه، إلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ.

وممَّن اختاره: ابنُ كثير، والنسفي.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/592)، ((تفسير النسفي)) (3/111).

وقيل: الضَّميرُ يعودُ على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم.

وممَّن اختاره: ابنُ جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/480).

(97) قيل: معنى ذِكْرٌ أي: تَذكِرةٌ.

وممَّن قال بهذا المعنى: الواحديُّ، والسمعاني، والسعدي.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (3/519)، ((تفسير السمعاني)) (4/387)، ((تفسير السعدي)) (ص: 698).

وقيل: المعنى: شَرَفٌ ومَوعِظةٌ.

وممَّن قال بهذا المعنى: البِقاعي، والشربيني.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (16/167)، ((تفسير الشربيني)) (3/363).

وقيل: الذِّكرُ الَّذي وُصِفَ به القرآنُ يَتضمَّنُ عِدَّةَ مَعانٍ؛ هي: العِظةُ والتَّذكُّرُ، وأنَّه ذِكرٌ يُذكَرُ به اللهُ تعالى، وأنَّه رفعةٌ وشرَفٌ لِمَن يقومُ ويَعملُ به.

قاله ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة يس)) (ص: 248).

وقال سُبحانَه: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: 89].

وقال تبارك وتعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [ص: 87].

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70).

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا.

أي: لِيُنذِرَ الرَّسولُ بالقُرآنِ مَن كان حيَّ القَلبِ، يَفهَمُ ويَعقِلُ آياتِ اللهِ، ويَنتفِعُ بها.

كما قال تعالى: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام: 19].

وقال سُبحانَه: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [الأعراف: 2].

وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أي: ولِيَحِقَّ العَذابُ على الكافِرينَ باللهِ، المُعرِضينَ عن القُرآنِ بعدَ أن قامت به حُجَّةُ اللهِ عليهم.(98)

كما قال تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [هود: 119].

وقال سُبحانَه: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: 13].

---

(98) قال الشنقيطي: (المرادُ بالقولِ...
هو قولُه تعالَى: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، كما دلَّتْ على ذلك آياتٌ مِنْ كتابِ اللَّهِ تعالَى؛ كقولِه تعالَى في آخرِ سورةِ «هُودٍ»: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [هود: 118 – 119]، وقولِه تعالَى في «السَّجدةِ»: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: 13].
وقولِه تعالَى في أُخرياتِ «ص»: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ [ص: 84، 85]).
((أضواء البيان)) (287/6).

سورةُ يس

الآيات (71–76)

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا
رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73) وَاتَّخَذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75)
فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76)

غَريبُ الكَلِماتِ:

أَنْعَامًا: أي: بَهائِمَ مِن إبلٍ وبقَرٍ وغَنَمٍ، وأصلُ (نعم): يدُلُّ على ترفُّهٍ، وطِيبِ عَيشٍ؛ لِما فيه مِن الخَيرِ والنّعمةِ.

وَذَلَّلْنَاهَا: أي: سَخَّرْناها، وأصلُ (ذلل): يدُلُّ على خُضوعٍ.

رَكُوبُهُمْ: أي: ما يَرْكَبون، والرُّكوبُ -بالضمّ-: هو الفِعلُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71).

أي: أوَلَم يَرَ المُشرِكونَ أنَّا خلَقْنا لهم أنعامًا مِن الإبِلِ والبَقرِ والغَنَمِ، فهم يتصَرَّفونَ فيها كيف شاؤوا؟!

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72).

أي: وسَخَّرْنا هذه الأنعامَ مِن الإبِلِ والبَقرِ والغَنَمِ، وجعَلْناها مَقهورةً مُنقادةً لهم، فلا تمتَنِعُ منهم؛ فمنها ما يركَبونَ -كالإبِلِ، يُسافِرونَ عليها-، ويأكُلونَ مِن لحومِها.

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ [غافر: 79، 80].

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73).

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ.

أي: ولهم في الأنعامِ مَنافِعُ كثيرةٌ؛ فيَتَّخِذونَ منها لِباسًا وأثاثًا مِن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها، ويَنتَفِعونَ بنَسْلِها ورُكوبِها، والحَملِ عليها والحِراثةِ بها، والتَّغذِّي منها والتَّزيُّنِ بها، وبَيْعِها... وغيرِ ذلك مِن المنافِعِ، ولهم فيها أيضًا مَشارِبُ، فيَشرَبونَ مِن أنواعِ ألبانِها.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ.

أي: أفلا يَشكُرونَ اللهَ على تلك النِّعَمِ العَظيمةِ، فيَعبُدوه وحْدَه ويُطيعوه؟

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74).

أي: مع كُلِّ هذه الآياتِ والنِّعَمِ الإلهيَّةِ اتَّخذَ المُشركونَ مِن دونِ اللهِ مَعبوداتٍ؛ رَجاءَ نُصرتِها لهم!

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75).

أي: لا تَستطيعُ آلهةُ المُشرِكينَ نَصْرَ عابِديها، والحالُ أنَّ هؤلاء المشركينَ جُندٌ مُحضَرونَ لهذه الآلهةِ؛ فكيف تَنصُرُهم وهي لا تَنصُرُ نَفْسَها؟![99]

---

(99) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٦٦) في عود الضمير من قوله: ﴿يستطيعون﴾ احتمالين، وصححهما، فقال: «ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿نَصْرَهم﴾ للأصنام، ويحتمل الأمر عكس ذلك؛ لأن الوجهين صحيحان في المعنى».

اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿وهم لهم جند مجضرون﴾ على قولين: الأول: أن المعنى: وهم لهم جند محضرون يوم الحساب.

الثاني: أن المعنى: وهم لهم جند محضرون في الدنيا، يغضبون لهم ويدافعون عنهم.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٩/ ٤٨٥) مستندًا إلى الدلالة العقلية القول الثاني، وهو قول الحسن، وقتادة، والكلبي، ومقاتل، وعلَّل ذلك بقوله: «لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندًا حينئذ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم».

ووافقه ابنُ كثير (١١/ ٣٨٣) بقوله: «وهذا القول حسن».

ووجّه ابنُ عطية (٧/ ٢٦٦) المعنى على القول الأول، بأنه: «على معنى التوبيخ والنقمة، وسماهم جندًا في هذا التأويل إذ هم عُدة للنقمة منهم وتوبيخهم».

ووجّه المعنى على القول الثاني بأنه: «على معنى: وهؤلاء الكفار متجندون متحزبون لهذه الأصنام في الدنيا، لكنهم لا يستطيعون التناصر مع ذلك».

فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76).

فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ.

أي: فلا يَحزُنْك -يا محمَّدُ- قولُ هؤلاءِ المُشرِكينَ لك: إنَّك شاعِرٌ، ومجنونٌ، وكاهِنٌ -إلى غيرِ ذلك ممَّا يَقْدَحون به في نُبوَّتِك-، ولا كُفْرُهم باللهِ وباليَومِ الآخِرِ، وتكذيبُهم بآياتِ اللهِ!

إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.

أي: إنَّا نَعلَمُ جميعَ ما يُسِرُّه المُشرِكونَ، ونَعلَمُ جميعَ ما يُعلِنونَه، وسنُجازيهم على جميعِ ذلك.

كما قال تعالى: لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ [النحل: 23].

سورةُ يس

الآيات (77-83)

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ
خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
(81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ
الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

نُطْفَةٍ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي قَلَّ أو كَثُر، وقيل: الماءُ القليلُ، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ والمرأةِ، وأصلُ (نطف): يدُلُّ على نَدوةٍ وبَلَلٍ.

خَصِيمٌ: أي: مُخاصِمٌ جَدِلٌ بِالباطِلِ، وأصلُ (خصم): يدُلُّ على المُنازَعةِ.

رَمِيمٌ: أي: باليةٌ، وأصلُ (رمم): يدُلُّ على بلاءِ الشَّيءِ.

مَلَكُوتُ: أي: ملْكُ، أو هو أعظَمُ الملكِ، وهو مختصٌّ بملكِ الله تعالى، والمَلَكوتُ مَصدرٌ مِن المُلْكِ، كالرَّغَبوتِ مِنَ الرَّغبةِ، والرَّهَبوتِ مِن الرَّهبةِ؛ زِيدَتْ فيه الواوُ والتاءُ، وبُنِيَ على (فَعَلُوت)، وهو بِناءُ مُبالَغةٍ؛ وأصلُ (ملك): يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ، وصحَّةٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)﴾.

أي: أوَلم يَرَ الإنسانُ المكذِّبُ بالبَعثِ أنَّا خلَقْناه مِن مَنِيّ، ثمَّ تنقَّل في الأطوارِ شيئًا فشيئًا، حتَّى كَبِرَ، وتمَّ عقلُه، فإذا هو بالِغُ الخُصومةِ، وفي غايةِ البيانِ عَمَّا يُريدُه، حتَّى إنَّه لَيُجادِلُ مَن أعطاه العَقلَ والقُدرةَ، مُنكِرًا قُدرتَه على إحيائِه ثانيةً؟![100]

---

(100) وقد ذهب جمهورُ المفَسِّرينَ -كما قال ابنُ الجوزيّ- إلى أنَّ المرادَ بالإنسانِ هنا، وفي الآيةِ الَّتي بعدَها: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، وصحَّحه ابنُ عطيَّةَ، وذهَبَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ إلى أنَّه العاصِ بنُ وائلٍ.

والأوَّلُ أشهَرُ كما قال السَّمْعانيُّ.

يُنظر: ((سيرة ابن هشام)) (1/361)، ((تفسير ابن جرير)) (19/487)، ((تفسير السمعاني)) (4/389)، ((تفسير ابن عطية)) (4/464)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/533).

وقال ابن كثير: (وعلى كُلِّ تقديرٍ -سواءٌ كانت هذه الآياتُ قد نزلت في أُبيّ بنِ خلفٍ، أو في العاصِ بنِ وائلٍ، أو فيهما- فهي عامَّةٌ في كُلِّ مَن أنكر البَعثَ، والألِفُ واللَّامُ في قَولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ للجِنسِ؛ يعُمُّ كُلَّ مُنكِرٍ للبَعثِ).

((تفسير ابن كثير)) (6/594).

وقال الشوكاني: (والإنسانُ المذكورُ في الآيةِ المرادُ به جنسُ الإنسانِ، كما في قولِه: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، ولا وجهَ لتخصيصِه بإنسانٍ مُعَيَّنٍ).

((تفسير الشوكاني)) (4/439).

وقال الشنقيطي: (قولُه: ﴿مُبِينٌ﴾ على أنَّه اسمُ فاعلِ «أبَانَ» المُتعدِّيةِ، والمفعولُ محذوفٌ للتَّعميمِ، أي: مُبِينٌ كُلَّ ما يُريدُ بيانَه وإظهارَه بلسانِه ممَّا في ضميرِه؛ وذلك لأنَّ ربَّه علَّمَه البيانَ، وعلى أنَّه صفةٌ مُشَبَّهةٌ مِن «أبَانَ» اللَّازمةِ، وأنَّ المعنَى ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي: بَيِّنُ الخصومةِ ظاهِرُها؛ فكذلك أيضًا؛ لأنَّه ما كان بَيِّنَ الخُصومةِ إلَّا لأنَّ اللهَ علَّمه البيانَ).

((أضواء البيان)) (7/490).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: ظاهرُ الخصومةِ: السمعاني، وابنُ الجوزي، والعُليمي.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/389)، ((نفسير ابن الجوزي)) (2/550)، ((تفسير العليمي)) (5/500).

وقال البِقاعي: (بَيِّنُ القدرةِ على الخِصامِ، وموضحٌ لِما يُريدُه غايةَ الإيضاحِ).

كما قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [النحل: 4].

وقال سُبحانَه: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا [مريم: 66، 67].

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78).

أي: ومثَّلَ الكافِرُ بشَيءٍ يُريدُ به إنكارَ البَعثِ،(101) ونَسِيَ(102) ابتِداءَ خَلقِ اللهِ له مِن نُطفةٍ –فمَن قَدَر على ذلك فهو قادِرٌ على بَعثِه–؛ فقال مُستبعِدًا ذلك: مَن الَّذي يَقدِرُ على إحياءِ عِظامِ الموتى بعدَما بَلِيَت، وصارت ترابًا تَذْرُوه الرِّياحُ، فيَتلاشَى؟!

((نظم الدرر)) (107/11).

(101) ذكر ابنُ كثير (١١/ ٣٨٤) الاختلاف الوارد في نزول الآية، وفيمن عني بها، ثم قال معلّقًا: «وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف، أو في العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل مَن أنكر البعث. والألف واللام في قوله: ﴿أولم ير الإنسان﴾ للجنس، يعم كل منكر للبعث».

(102) قال البِقاعي: (النِّسيانُ هنا يحتمِلُ أن يكونَ بمعنى الذُّهولِ، وأن يكونَ بمعنى التَّركِ).

((نظم الدرر)) (178/16).

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79).

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لهذا المُنكِرِ للبَعثِ: الَّذي يُحيي العِظامَ هو الَّذي خلَقَها أوَّلَ مَرَّةٍ، ولم تكُنْ شَيئًا؛ فالَّذي قدَرَ على ابتِداءِ خَلقِها لن يَعجِزَ عن إعادتِها مرَّةً أُخرى!

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

أي: واللهُ عَليمٌ بجَميعِ خَلقِه، فيَعلَمُ كيف يُحييهم، وكيف يُميتُهم، ويَعلَمُ أين تفرَّقَت عِظامُهم، وتفَتَّت أجسادُهم، لا يخفى عليه شَيءٌ مِن خَلقِه كائنًا ما كان.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80).

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا.

أي: الَّذي يُحيي العِظامَ وهي رَميمٌ هو الَّذي خلَقَ بقُدرتِه مِن الشَّجَرِ الرَّطْبِ النَّديِّ البارِدِ نارًا يابِسةً مُحرِقةً![103]

---

(103) قيل: المرادُ أنَّ الَّذي قدَرَ على إخراجِ النَّارِ اليابسةِ مِن الشَّجَرِ الأخضَرِ الَّذي هو في غايةِ الرُّطوبةِ، مع تَضادِّهما وشِدَّةِ تخالُفِهما: فهو قادِرٌ على إخراجِ الموتى مِن قبورِهم، وإحيائِهم بعدَ موتِهم.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: القرطبيُّ، وابنُ تيميَّةَ، وابنُ القيِّم، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (59/15)، ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (132/1)، ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (110/1)، ((تفسير السعدي)) (ص: 700)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة يس)) (ص: 299، 300).

كما قال تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ [الواقعة: 71 – 73].

فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ.

أي: فإذا أنتم مِن هذا الشَّجَرِ تُوقِدونَ النَّارَ.

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81).

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ.

أي: أوَليس الَّذي خلَقَ السَّمَواتِ السَّبْعَ والأرضَ بقادِرٍ على أن يُعيدَ خَلْقَ النَّاسِ يومَ القيامةِ؟ فاللهُ الَّذي لم يَعجِزْ عن خَلقِ السَّمَواتِ والأرضِ –وهي أعظَمُ مِن خَلقِ النَّاسِ– لن يَعجزَ عن إحياءِ النَّاسِ بعدَ موتِهم!

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلفِ: قَتادةُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/489).

وقيل: المرادُ أنَّ الذي بدأ خَلْقَ هذا الشَّجرِ مِن ماءٍ حتَّى صار خَضِرًا نَضرًا ذا ثَمرٍ ويَنْعٍ، ثمَّ أعاده إلى أن صار حَطبًا يابِسًا تُوقَدُ به النَّارُ: كذلك هو فَعَّالٌ لِما يَشاءُ، قادِرٌ على ما يُريدُ، لا يَمْنَعُه شيءٌ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ كثير، والقاسميُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/595)، ((تفسير القاسمي)) (8/196).

كما قال تعالى: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [غافر: 57].

وقال سُبحانَه: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأحقاف: 33].

بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ.

أي: بلى، اللهُ الَّذي خلَقَ السَّمَواتِ والأرضَ قادِرٌ على أن يَبعَثَهم يومَ القيامةِ أحياءً، وهو الكثيرُ الخَلقِ لِما يَشاءُ خَلْقَه، الواسِعُ العِلمِ؛ فلا يَخفَى عليه شَيءٌ سُبحانَه.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82).

أي: إنَّما أمْرُ اللهِ إذا أراد إيجادَ أيِّ شَيءٍ أن يقولَ له مرَّةً واحِدةً بلا تَكرارٍ: كُنْ، فهو يكونُ في الحالِ كما أراد اللهُ، بلا تأخيرٍ؛ فإعادةُ إحياءِ الموتى أمرٌ هيِّنٌ ويَسيرٌ على اللهِ تعالى.

كما قال الله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [النحل: 40].

وقال سُبحانَه: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر: 50].

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83).

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

أي: فتنَزَّهَ اللهُ الَّذي بيَدِه مُلكُ كُلِّ شَيءٍ وخزائِنُه: عن كُلِّ عَيبٍ ونَقصٍ، وعَجزٍ وجَهلٍ؛ فهو يَتصرَّفُ في كلِّ شَيءٍ كما يَشاءُ.

كما قال تعالى: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ [المؤمنون: 88، 89].

وقال سُبحانَه: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الملك: 1].

وعن عَوفِ بنِ مالِكٍ الأشْجَعيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قُمْتُ مع رسولِ الله - ﷺ -ليلةً، فقام فقرأ سورةَ البَقَرةِ، لا يَمُرُّ بآيةِ رَحمةٍ إلَّا وقَفَ فسَألَ، ولا يمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقَفَ فتعَوَّذَ. قال: ثمَّ رَكَعَ بقَدْرِ قيامِه، يقولُ في رُكوعِه: سُبحانَ ذي الجَبَروتِ والمَلَكوتِ، والكِبرياءِ والعَظَمةِ. ثمَّ سجَدَ بقَدرِ قيامِه، ثم قال في سُجودِه مِثلَ ذلك)).(104)

---

(104) أخرجه أبو داود (873)، والنسائي (1132)، وأحمد (23980).
صححه النووي في ((المجموع)) (4/67)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (873)، وحسنه ابن حجر في ((نتائج الأفكار)) (2/74).

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

أي: وإلى اللهِ تُرَدُّونَ وتَصيرونَ بعدَ مَوتِكم، فيُجازيكم بأعمالِكم.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الصَّافَّاتِ

سُورةُ الصَّافَّاتِ

سُورةُ الصَّافَّاتِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الصَّافَّات).[105]

فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يأمُرُ بالتَّخفيفِ، ويَؤُمُّنا بالصَّافَّاتِ)).[106]

سورةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِن المفَسِّرينَ.[107]

---

(105) سُمِّيَت هذه السُّورةُ بالصَّافَّاتِ؛ لافتِتاحِها بالقَسَمِ الإلهيِّ بالصَّافَّاتِ، وهم الملائِكةُ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (393/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (81/23).

قال ابنُ عاشور: (اسمُها المشهورُ المتَّفَقُ عليه «الصَّافَّات»، وبذلك سُمِّيَتْ في كُتُبِ التَّفسيرِ، وكُتبِ السُّنَّةِ، وفي المصاحفِ كلِّها). ((تفسير ابن عاشور)) (81/23).

(106) أخرجه النسائي (826) واللفظ له، وأحمد (4796).

صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (826)، وصحَّح إسنادَه أحمدُ شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (182/9)، ، وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((مسند أحمد)) (4796).

(107) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ الجوزي، والقرطبي، والفيروزابادي.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (535/3)، ((تفسير القرطبي)) (61/15)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (393/1).

نَصَّ ابنُ عطية (٧/ ٢٧٠)، وكذا ابنُ كثير (١٢/ ٥) على مكية سورة الصافات، وقال ابن عطية: «هذه السورة مكية، وعَدُّها في المدني، والشامي، والكوفي مائة آية، وآيتان وثمانون آية».

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وعلى أنَّ البَعثَ حَقٌّ.

مَوضوعاتُ السُّورةِ:

1- القَسَمُ بتلك الطَّوائِفِ مِن الملائِكةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى.

2- ذِكرُ عَدَدٍ مِن الدَّلائِلِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى.

3- ذِكرُ استِراقِ الشَّياطينِ السَّمْعَ، ورَجمِهم بالشُّهُبِ.

4- حِكايةُ بَعضِ شُبُهاتِ المُشرِكينَ المُنكِرينَ للبَعثِ، مع الرَّدِّ عليها.

5- ذِكرُ بَعضِ مَشاهِدِ يومِ القيامةِ، ووَصْفُ حالِ المُشرِكينَ يومَ الجَزاءِ، وما أُعِدَّ لهم، وما يَجري بيْنَهم مِن تَخاصُمٍ، ووَصْفُ حُسنِ أحوالِ المُؤمِنينَ، ونَعيمِهم، والمحاوُراتِ الَّتي تَدورُ بيْنَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ.

6- ذِكرُ جوانِبَ مِن قَصَصِ الأنبياءِ: قِصَّةِ نُوحٍ، وإبراهيمَ مع قَومِه ومع ابنِه إسماعيلَ، وقِصَّةِ موسى وهارونَ، وإلياسَ، ولُوطٍ، ويُونُسَ -عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

7- بيانُ فَسادِ عَقيدةِ المُشرِكينَ وقولِهم: الملائِكةُ بناتُ اللهِ! وجَعلِهم بيْنَه وبيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا.

8- بيانُ دَرَجاتِ الملائِكةِ في مَقامِ العِبادةِ، ووَعْدُ اللهِ رَسولَه بالنَّصرِ والتَّأييدِ.

9- خَتْمُ السُّورةِ بتَنزيهِ اللهِ سُبحانَه وحَمْدِه، والتَّسليمِ على رُسُلِه.

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (1–10)

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

وَالصَّافَّاتِ: أي: الملائِكةِ المُصطفِّينَ لرَبِّهم في السَّماءِ، وأصلُ (صفف): يدُلُّ على استِواءٍ وتَساوٍ.

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا: أي: الملائكةِ تَسوقُ السَّحابَ، أو تَزجُرُ وتَنهَى عن معصيةِ اللهِ، وأصلُ (زجر): يدُلُّ على طَردٍ بصَوتٍ.

فَالتَّالِيَاتِ: أي: الملائكةِ تَتْلو كلامَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتَقرؤُه، وأصلُ (تلو): يدُلُّ على اتِّباعٍ.

مَارِدٍ: أي: عاتٍ خارجٍ عن الطَّاعةِ، مُتعَرٍّ عن الخَيرِ، وأصلُ (مرد): يدُلُّ على تجريدِ الشَّيءِ مِن قِشرِه، أو ما يَعلوه مِن شَعَرِه، ومنه الماردُ والمريدُ، كأنَّه تجَرَّد مِن الخيرِ.

الْمَلَإِ الْأَعْلَى: أي: مَلائكةِ اللهِ، وأصلُ (ملأ): يدُلُّ على المُساواةِ والكمالِ، وأصلُ (علو): يَدُلُّ على السُّمُوِّ والارتِفاعِ.

دُحُورًا: أي: إبعادًا وطَردًا، وأصلُ (دحر): يدُلُّ على طَردٍ.

وَاصِبٌ: أي: دائِمٌ مُستمِرٌّ، وأصلُ (وصب): يدُلُّ على دَوامِ الشَّيءِ.

خَطِفَ الْخَطْفَةَ: أي: اختلَسَ واستَرَقَ كلامَ الملائكةِ مُسارَقةً بسُرعةٍ وخِفَّةٍ، وأصلُ (خطف): يدُلُّ على أخْذِ الشَّيءِ بسُرعةٍ واستِلابٍ.

شِهَابٌ: أي: كَوكَبٌ أو شُعلةٌ من النَّارِ، وأصلُ (شهب): يدُلُّ على بياضٍ في شَيءٍ مِن سوادٍ.

ثَاقِبٌ: أي: خارِقٌ مُضيءٌ شديدُ الإضاءةِ، يَثقُبُ بنُورِه وإضاءتِه ما يَقَعُ عليه، وأصلُ (ثقب): يدُلُّ على نَفاذِ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1).

أي: أُقسِمُ بالملائِكةِ الَّتي تَصُفُّ في السَّماءِ لِرَبِّها صَفًّا.[108]

---

(108) ذَهَبَ ابنُ جرير (١٩/ ٤٩٢)، وكذا ابنُ كثير (١٢/ ٦) إلى أنّ الصافات: نوع من الملائكة استنادًا إلى أقوال السلف، فقال ابنُ جرير: «أما الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع صافة، فالصافات: جمع جمع، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل».

وقال في موضع لاحق (١٩/ ٤٩٤): «الله –تعالى ذكره– ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون، بإجماع من أهل التأويل».

وذَكَرَ ابنُ عطية (٧/ ٢٧٠) قولًا آخر، فقال: «قالت فرقة: أراد: كل من يصف من بني آدم في قتال في سبيل الله، أو في صلاة وطاعة، والتقدير: والجماعات الصافات».

ثم علَّقَ قائلًا: «واللفظ يحتمل أن يعم جميع هذه المذكورات».

وذَكَرَ ابنُ القيم (٢/ ٣٦٥) قولًا آخر استنادًا إلى النظائر، فقال: «الصافات: الطير، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافّاتٍ ويَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]، وقال تعالى: ﴿والطَّيْرُ صافّاتٍ﴾ [النور: ٤١]».

ثم علَّقَ قائلًا: «واللفظ يحتمل ذلك كله، وإن كان أحق مَن دخل فيه وأولى الملائكة؛ فإن الإقسام كالدليل والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد، وما ذكر مِن غير الملائكة فهو من آثار الملائكة، وبواسطتها كان».

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (492/19)، ((تفسير القرطبي)) (61/15)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 427)، ((تفسير ابن كثير)) (5/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 700)، ((تفسير ابن عاشور)) (84/23).

قال الشنقيطي: (أكثرُ أهلِ العِلمِ على أنَّ المرادَ بـ وَالصَّافَّاتِ هنا، و«الزَّاجِرَاتِ»، و«التَّالِيَاتِ»: جماعاتُ الملائِكةِ).

((أضواء البيان)) (301/6).

ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (83/23).

وحكى ابنُ جريرٍ الإجماعَ على ذلك، فقال: (...

الله تعالى ذِكرُه ابتدَأَ القَسَمَ بنوعٍ مِن الملائكةِ، وهم الصَّافُّونَ، بإجماعٍ مِن أهلِ التَّأويلِ، فلَأَن يكونَ الَّذي بَعْدَه قَسَمًا بسائِرِ أصنافِهم أشْبَهُ).

((تفسير ابن جرير)) (494/19).

ويُنظر: ((البسيط)) للواحدي (7/19).

كما قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ [الصَّافَّات: 164، 165].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر: 22].

وممَّن قال مِن السَّلفِ: إنَّ المقصودَ بالصَّافَّاتِ الملائكةُ: عبدُ الله بنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، ومَسروقٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/492)، ((تفسير ابن كثير)) (7/5).

قال الشنقيطي: (ومعنى كونِهم صافِّينَ: أن يَكونوا صُفوفًا مُتراصِّينَ بَعضُهم جَنبَ بَعضٍ في طاعةِ الله تعالى؛ مِن صلاةٍ وغيرِها.

وقيل: لأنَّهم يَصُفُّونَ أجنِحَتَهم في السَّماءِ، ينتَظِرونَ أمرَ اللهِ.

ويُؤَيِّدُ القولَ الأوَّلَ حديثُ حذيفةَ...

في صَحيحِ مُسلمٍ، وهو قَولُه صلَّى الله عليه وسلَّم: «فُضِّلْنا على النَّاسِ بثلاثٍ: جُعِلَت صُفوفُنا كصُفوفِ الملائكةِ...»).

((أضواء البيان)) (6/301).

وممَّن جمَعَ بيْن المعنيَينِ السَّابِقَينِ: ابنُ القيِّم، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 427)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصَّافَّات)) (ص: 12).

قال ابن جُزَي: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا تقديرُه: والجماعاتِ الصَّافَّاتِ، ثمَّ اختُلِفَ فيها؛ فقيل: هي الملائِكةُ الَّتي تَصُفُّ في السَّماءِ صُفوفًا لعبادةِ اللهِ.

وقيل: هو مَن يَصُفُّ مِن بني آدَمَ في الصَّلَواتِ والجِهادِ).

((تفسير ابن جزي)) (2/188).

وقال البِقاعي: (قال تعالى: وَالصَّافَّاتِ أي: الجماعاتِ مِن الملائكةِ، والمصَلِّينَ والمجاهِدينَ المُكَمِّلينَ أنفُسَهم بالاصطِفافِ في الطَّاعةِ).

((نظم الدرر)) (16/187).

وعن جابرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجَ علينا رسولُ اللهِ – ﷺ –، فقال: ألَا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الملائِكةُ عندَ رَبِّها؟ فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، وكيف تَصُفُّ الملائِكةُ عندَ ربِّها؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأُوَلَ، ويَتراصُّونَ في الصَّفِّ)).(109)

وعن حُذَيْفةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ – ﷺ –: ((فُضِّلْنا على النَّاسِ بثلاثٍ: جُعِلَت صُفوفُنا كصُفوفِ الملائِكةِ، وجُعِلَت لنا الأرضُ كُلُّها مَسجِدًا، وجُعِلت تُرْبَتُها لنا طَهورًا إذا لم نَجِدِ الماءَ)).(110)

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2).

(109) رواه مسلم (430).
(110) رواه مسلم (522).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تَزجُرُ[111] ما يأمُرُها اللهُ تعالى بزَجرِه.[112]

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تَتْلو ذِكْرَ اللهِ تعالى.[113]

---

(111) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿فالزّاجِراتِ زَجْرًا﴾ على قولين: أحدهما: أنها الملائكة التي تزجر السحاب، وغير ذلك من مخلوقات الله – عز وجل –.

وهو قول مجاهد، والسّدّيّ.

والآخر: أنها آيات القرآن المتضمنة النواهي الشرعية.

وهو قول قتادة.

ورجَّحَ ابنُ جرير (١٩/ ٤٩٤) القولَ الأولَ استنادًا إلى السياق، فقال: «الذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قاله مجاهد، ومن قال: هم الملائكة.

لأن الله –تعالى ذِكْرُه– ابتدأ القَسَمَ بنوعٍ من الملائكة، وهم الصافون، بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قَسَمًا بسائر أصنافهم أشبه».

(112) وممَّن اختار ما هو أعَمُّ مِن زَجرِ السَّحابِ، وأنَّها تزجُرُ السَّحابَ وغيرَه بأمرِ اللهِ تعالى: ابنُ جُزَي، وابن القيّم، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (188/2)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 427)، ((تفسير السعدي)) (ص: 700)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الصَّافَّات)) (ص: 12).

قال ابن عاشور: (والمرادُ به: تسخيرُ الملائكةِ المخلوقاتِ الَّتي أمَرَهم اللهُ بتسخيرِها خَلْقًا أو فِعلًا؛ كتكوينِ العناصرِ، وتصريفِ الرِّياحِ، وإزجاءِ السَّحابِ إلى الآفاقِ).

((تفسير ابن عاشور)) (84/23).

وقيل: تَزجُرُ عن المعاصي بالمواعِظِ والنَّصائحِ، أو بالذِّكرِ الَّذي تَتْلوه، أو تُلقيه إلى الأنبياءِ.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (62/15)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (301/6).

(113) قيل: المرادُ: الملائكةُ تَقرأُ كُتبَ الله تعالى وتَتْلو كلامَه.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: الزمخشريُّ، والرسعني، والنسفي، وابن القيم، والسعدي، ونسَبَه ابنُ الجوزي للجمهور.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (33/4)، ((تفسير الرسعني)) (369/6)، ((تفسير النسفي)) (116/3)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 427)، ((تفسير السعدي)) (ص: 700)، ((تفسير ابن الجوزي)) (535/3).

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4).

أي: إنَّ مَعبودَكم المُستَحِقَّ للعبادةِ واحِدٌ لا ثانِيَ له، ولا شَريكَ له؛ فأخلِصوا له العِبادةَ وَحْدَه، ولا تُشرِكوا به شَيئًا.

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5).

وقيل: الملائِكةُ الَّتي تَقرأُ القرآنَ.

وممَّن اختاره: القرطبيُّ، والشوكاني، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (62/15)، ((تفسير الشوكاني)) (443/4)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصَّافَّات)) (ص: 13، 15).

وقيل: المرادُ بالملائكةِ هنا: جبريلُ وحْدَه عليه السَّلامُ، فيُلقي الذِّكْرَ على الأنبياءِ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى في الجملةِ: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، والسمرقنديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (601/3)، ((تفسير السمرقندي)) (135/3).

قال الواحديُّ: (وعلى هذا: المرادُ جِبريلُ، وذُكِرَ بلَفظِ الجَمعِ؛ إشـــارةً إلى أنَّه كبيرُ الملائكةِ، فهو لا يخلو مِن أعوانٍ وجنودٍ له من الملائكةِ يَعرُجونَ بعُروجِه، ويَنزِلونَ بنُزولِه).

((البسيط)) (9/19).

قال الشـنقيطي: (قَولُه تعالى: فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا [المرسـلات: 5] كقَولِه تعالى هنا: فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا؛ لأنَّ الذِّكرَ الَّذي تَتْلوه تُلقيه إلى الأنبياءِ، كما كان جِبريلُ يَنزِلُ بالوَحيِ على نَبيِّنا وغيرِه مِن الأنبياءِ صَلَواتُ اللهِ وسلامُه على الجميعِ).

((أضواء البيان)) (301/6).

وقال ابنُ عاشور: (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا المُرَدِّدون لكلامِ اللهِ تعالى الَّذي يَتلقَّونَه مِن جانبِ القُدُسِ؛ لتبليغِ بَعضِهم بعضًا، أو لِتَبليغِه إلى الرُّسُـلِ، كما أشـار إليه قولُه تعالى: حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سـبأ: 23] ...

والمرادُ بـ «التَّالِيَاتِ»: ما يَتْلونَه مِن تسبيحٍ وتقديسٍ للهِ تعالى؛ لأنَّ ذلك التَّسبيحَ لَمَّا كان مُلَقَّنًا مِن لَدُنِ اللهِ تعالى كان كلامُهم بها تِلاوةً).

((تفسير ابن عاشور)) (84/23، 85).

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

أي: هو خالِقُ ومالِكُ السَّمواتِ السَّبْعِ، والأرضِ، وما بيْنَهما مِن المخلوقاتِ، وهو الرَّازِقُ والمُدَبِّرُ لذلك كُلِّه.

وَرَبُّ الْمَشَارِقِ.

أي: وهو خالِقُ ومالِكُ ومُدَبِّرُ المشارِقِ.(114)

(114) قيل: المرادُ بالمشارِقِ هنا: مشارِقُ الشَّمس.
وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جرير، والكرماني، وابن عطية، والقرطبي، وابن جُزَي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/496)، ((تفسير الكرماني)) (2/970)، ((تفسير ابن عطية)) (4/465)، ((تفسير القرطبي)) (15/63)، ((تفسير ابن جزي)) (2/188).
قال الماوَرْديُّ: (فيه [أي: المشارِق] وجْهانِ؛ الأوَّلُ: قال قَتادةُ: ثلاثُمئةٍ وسِتُّونَ مَشرِقًا، والمغارِبُ مِثلُ ذلك، تَطلُعُ الشَّمسُ كلَّ يومٍ مِن مشرقٍ، وتغرُبُ في مغربٍ.
قاله السُّدِّيُّ.
الثَّاني: أنَّها مئةٌ وثمانون مَشرقًا، تَطلُعُ كُلَّ يومٍ في مطلعٍ حتَّى تنتهيَ إلى آخِرِها، ثمَّ تعودُ في تلك المطالعِ حتَّى تَعودَ إلى أوَّلِها.
حكاه يحيى بنُ سلَّام).
((تفسير الماوردي)) (5/37).
ويُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/823)، ((تفسير عبد الرزاق)) (3/88).
وقال الألوسي: (إنِ اعتُبر ما كانت عليه وما عادت إليه واحِدًا، كانت مئةً وثمانين، وإن نُظِر إلى تغايُرِهما كانت ثلاثَمِئةٍ وستِّين، وفي هذا إسقاطُ الكَسرِ؛ فإنَّ السَّنةَ الشَّمسيَّةَ تَزيدُ على ذلك العدَدِ بنحوِ ستَّةِ أيَّامٍ).
((تفسير الألوسي)) (12/66).
ويُنظر: ((تفسير الكرماني)) (2/970)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (2/497)، ((تفسير الألوسي)) (6/68).
قال ابنُ جرير: (قولُه: وَرَبُّ الْمَشَارِقِ يقولُ: ومدبِّرُ مَشارِقِ الشَّمسِ في الشِّتاءِ والصَّيفِ، ومَغاربِها، والقَيِّمُ على ذلك ومُصلِحُه).
((تفسير ابن جرير)) (19/496).

إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6).

وقيل: كُلُّ مَوضِعٍ أشرَقَت عليه الشَّمسُ فهو مَشرِقٌ، وكُلُّ مَوضِعٍ غَرَبَت عليه فهو مَغرِبٌ، كأنَّه أراد جميعَ ما أشرَقَت عليه الشَّمسُ.

يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (370/3).

قال الرازي: (ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ مشارِقَ الكواكبِ؛ لأنَّ لكلِّ كوكبٍ مشرِقًا ومغربًا).

((تفسير الرازي)) (316/26).

ويُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/7).

واختار ابنُ عثيمينَ أنَّ المشارقَ عامَّةٌ؛ تَشملُ مَشارقَ الشَّمسِ، ومشارقَ القمرِ، ومشارقَ النُّجومِ، ومشارقَ كلِّ ما يشرقُ.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصَّافَّات)) (ص: 19، 20).

قال ابنُ القيم (٢/ ٣٦٦): «خصَّ المشارق ههنا بالذكر؛ إما لدلالتها على المغارب؛ إذ الأمران المتضايفان كل منهما يستلزم الآخر، وإما لكون المشارق مطلع الكواكب ومظاهر الأنوار، وإما توطئة لما ذكر بعدها من تزيين السماء بزينة الكواكب وجعلها حفظًا من كل شيطان، فذكر المشارق أنسب بهذا المعنى وأليق».

وبنحوه قال ابنُ جرير (١٩/ ٤٩٦)، وكذا ابنُ عطية (٧/ ٢٧١)، وابنُ كثير (١٢/ ٧).

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿بزينة الكواكب﴾ على أربعة أوجه: الأول: بتنوين ﴿بزينةٍ﴾، وخفض ﴿الكواكب﴾ على البدلية، هكذا ﴿بِزِينَةٍ الكَواكِبِ﴾، بمعنى: إنا زيَّنّا السماء الدنيا بزينةٍ هي الكواكب، كأنه قال: زيَّنّاها بالكواكب.

والثاني: بإضافة «بزينة»، إلى «الكواكب»، هكذا «بِزِينَةِ الكَواكِبِ»، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب، أي: زينتها الكواكب.

والثالث: بتنوين «زينة»، ونصب «الكواكب»، هكذا (بِزِينَةٍ الكَواكِبَ)، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب.

والرابع: بتنوين «زينة»، ورفع «الكواكب»، هكذا (بِزِينَةٍ الكَواكِبُ)، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكبُ، أي: بأن زينتها الكواكبُ.

علَّقَ ابنُ كثير (١٢/ ٧) على الوجهين الأول والثاني، بقوله: «كلاهما بمعنى واحد».

وعلَّقَ ابنُ جرير (١٩/ ٤٩٧) على هذه الأوجه بقوله: «وذلك أنّ الزِّينة مصدرٌ، فجائزٌ توجيهُها إلى أيِّ هذه الوجوه التي وُصِفَت في العربية».

ثم ذَهَبَ (١٩/ ٤٩٧) إلى صحة الوجهين الأول والثاني، مع كون وجه الخفض أعجب إليه، فقال: «أما القراءة فأعجبها إليَّ بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب؛ لصحة معنى ذلك في التأويل، والعربية، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار، وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحًا أيضًا».

وانْتَقَدَ القراءتين الثالثة والرابعة، فقال (١٩/ ٤٩٧ - ٤٩٨): «فأما النصب في» الكواكب «والرفع، فلا أستجيز القراءة بهما؛ لإجماع الحجة من القراء على خلافهما، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح».

أي: إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الأُولى القريبةَ مِن النَّاسِ بالكواكِبِ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ [الملك: 5].

وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7).

أي: وحَفِظْناها بالكواكِبِ مِن كُلِّ شيطانٍ مُتمَرِّدٍ، عاتٍ في الشَّرِّ، يريدُ استِراقَ السَّمْعِ.(115)

كما قال الله تعالى: وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ [الحجر: 17].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ [الملك: 5].

لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8).

لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى.

أي: حَفِظْنا السَّماءَ الدُّنيا مِن الشَّياطينِ، فلا يُصغُونَ إلى الملائِكةِ إذا تكَلَّموا بما يأمُرُ اللهُ به مِن شَرعٍ أو قَدَرٍ.

---

(115) قال الرسعني: (وَحِفْظًا محمولٌ على المعنى، تقديرُه: إنَّا خلَقْنا الكواكِبَ زينةً للسَّماءِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ.
وقيل: المعنى: وحَفِظْناها حِفظًا).
((تفسير الرسعني)) (24/6).
وقال ابنُ عاشور: (معنى كونِ الكواكبِ حِفظًا مِن الشَّياطينِ: أنَّ مِن جملةِ الكواكِبِ الشُّهُبَ الَّتي تُرجَمُ بها الشَّياطينُ عندَ مُحاوَلتِها استِراقَ السَّمعِ.
والمارِدُ: الخارجُ عن الطَّاعةِ، الَّذي لا يُلابِسُ الطَّاعةَ ساعةً؛ قال تعالى: وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ [التوبة: 101]).
((تفسير ابن عاشور)) (90/23، 91).

كما قال تعالى: إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [الشعراء: 212].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ الملائِكةَ تَنزِلُ في العَنانِ – وهو السَّحابُ– فتَذكُرُ الأمرَ قُضِيَ في السَّماءِ، فتَسترِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتسمَعُه، فتُوحيه إلى الكُهَّانِ، فيَكذِبونَ معها مِئةَ كَذْبةٍ مِن عندِ أنفُسِهم)).(116)

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، قال: أخبَرَني رجُلٌ مِن أصحابِ النَّبيِّ – ﷺ –مِن الأنصارِ: ((أنَّهم بَيْنَما هم جلوسٌ ليلةً مع رسولِ الله – ﷺ –رُمِيَ بنَجمٍ فاستنارَ، فقال لهم رَسولُ الله – ﷺ –: ماذا كنتُم تقولونَ في الجاهليَّةِ إذا رُمِيَ بمِثلِ هذا؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، كنَّا نقولُ: وُلِدَ اللَّيلةَ رجُلٌ عظيمٌ، ومات رجُلٌ عَظيمٌ! فقال رَسولُ الله – ﷺ –: فإنَّها لا يُرمَى بها لِمَوتِ أحدٍ ولا لحياتِه، ولكِنْ رَبُّنا تبارك وتعالى اسمُه إذا قضى أمرًا سبَّحَ حَمَلةُ العَرشِ، ثمَّ سَبَّح أهلُ السَّماءِ الَّذين يَلُونَهم، حتَّى يَبلُغَ التَّسبيحُ أهلَ هذه السَّماءِ الدُّنيا، ثمَّ قال الَّذين يَلُونَ حَمَلةَ العَرشِ لحَمَلةِ العَرشِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيُخبِرونَهم ماذا قال، فيَستخبِرُ بَعضُ أهلِ السَّمواتِ بَعضًا، حتَّى يَبلُغَ الخبَرُ هذه السَّماءَ الدُّنيا،

---

(116) رواه البخاري (3210).

فتَخطَفُ الجِنُّ السَّمْعَ فيَقذِفونَ إلى أوليائِهم، ويُرمَونَ به، فما جاؤوا به على وَجهِه فهو حَقٌّ، ولكِنَّهم يَقرِفونَ[117] فيه ويَزيدونَ)).[118]

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان الجِنُّ يَسمَعونَ الوَحيَ فيَستَمِعونَ الكَلِمةَ فيَزيدون فيها عَشْرًا، فيكونُ ما سَمِعوا حَقًّا، وما زادوه باطِلًا، وكانت النُّجومُ لا يُرمَى بها قبْلَ ذلك، فلمَّا بُعِث النَّبيُّ - ﷺ -كان أحدُهم لا يأتي مَقعَدَه إلَّا رُمِيَ بشِهابٍ يُحرِقُ ما أصاب، فشَكَوا ذلك إلى إبليسَ، فقال: ما هذا إلَّا مِن أمرٍ قد حدَث! فبَثَّ جُنودَه، فإذا هُم بالنَّبيِّ - ﷺ -يُصلِّي بيْنَ جَبَلَيْ نَخلة، فأتَوه فأخبَروه، فقال: هذا الحَدَثُ الَّذي حَدَث في الأرضِ)).[119]

---

(117) أي: يَخلِطونَ فيه الكَذِبَ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (227/14).

(118) رواه مسلم (2229).

(119) أخرجه الترمذي (3324)، وأحمد (2482) واللَّفظُ له.

قال الترمذيُّ: حسَنٌ صحيحٌ.

وصحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3324)، وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (160/4).

وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

أي: وهم يُرمَونَ رَميًا شديدًا بالشُّهُبِ مِن كُلِّ جِهةٍ مِنَ السَّماءِ.(120)

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ الجِنِّ: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [الجن: 8، 9].

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9).

دُحُورًا.

أي: يُقذَفونَ بالشُّهُبِ؛ طَرَدًا وإبعادًا لهم عن الوُصولِ إلى السَّماءِ لاستِراقِ السَّمْعِ.

---

(120)اختُلِف هل كان هذا القذفُ قبْلَ المبعثِ، أو بعدَه لأجْلِ المبعثِ؛ على قولينِ، والجَمْعُ بيْن هذَينِ القولَينِ: أنَّ الرَّمْيَ بالنُّجومِ كان موجودًا قبْلَ مبعثِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا بُعِث شُدِّد ذلك، وزِيدَ في حفظِ السَّماءِ وحراستِها؛ صَونًا لأخبارِ الغيوبِ.

وممَّن اختار هذا القولَ: الزهريُّ، وابنُ قُتَيْبَةَ، والسهيليُّ، والرازي، والقرطبيُّ ونسَبَه للأكثرينَ.

واستحسَنه ابنُ حَجرٍ.

يُنظر: ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 242)، ((الروض الأُنُف)) للسهيلي (302/2)، ((تفسير الرازي)) (319/26)، ((تفسير القرطبي)) (66/15) و(13/19)، ((فتح الباري)) (672/8).

قال السهيلي: (وإنْ وُجِدَ اليومَ كاهِنٌ فلا يُدفَعُ ذلك بما أخبَرَ اللهُ به مِن طَرْدِ الشَّياطينِ عن استِراقِ السَّمعِ؛ فإنَّ ذلك التَّغليظَ والتَّشديدَ كان زمَنَ النُّبُوَّةِ، ثمَّ بَقِيَت منه –أعني: مِن استِراقِ السَّمعِ– بقايا يسيرةٌ، بدَليلِ وُجودِهم على النُّدورِ في بعضِ الأزمِنةِ، وفي بَعضِ البِلادِ).

((الروض الأُنُف)) (302/2).

وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ.

أي: وللشَّياطينِ عَذابٌ دائِمٌ مُستمِرٌّ.(121)

(121) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿واصب﴾ على قولين: أولهما: أنّ معناه: الدائم.

والثاني: أن معناه: الموجع.

ورجَّحَ ابنُ جرير (١٩/ ٥٠٧ – ٥٠٨) القولَ الأولَ –وهو قول ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة– اســتنادًا إلى النظائر، واللغة، فقال: «أولى التأويلين في ذلك بالصــواب تأويل مَن قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله – عز وجل – قال: ﴿وله الدين واصبا﴾ [النحل: ٥٢]، فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص، ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ...

يومًا بذم الدهر أجمع واصبا

أي: دائمًا».

وجمع ابنُ كثير (١٢/ ٧) بين القولين، فقال: «في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مســـتمر، كما قال: ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ [الملك: ٥]».

قال الواحدي: (قال مقاتلٌ: يعني دائمًا إلى النَّفخةِ الأولى، فهي تَجرحُ ولا تقتُلُ.

فقد بيَّنَ مقاتلٌ أنَّ المرادَ بهذا العذابِ عذابُ الدُّنيا).

((البسيط)) (20/19).

ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (602/3) وليس فيه ذِكرٌ للنَّفخةِ الأولى.

وقيل: في الدُّنيا والآخِرةِ.

وممَّن قال بذلك: البِقاعي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (198/16)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الصَّافَّات)) (ص: 30).

قال ابن عثيمين: (يُعَذَّبون في هذه الدُّنيا بهذه الشُّهُبِ، ويُعَذَّبون في الآخرةِ بالعذابِ الدَّائمِ).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الصَّافَّات)) (ص: 30).

وقال البِقاعي: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أي: في الدُّنيا بهذا وبغيرِه، وفي الآخرةِ).

((نظم الدرر)) (198/16).

قال ابنُ الجوزي: (وفي «الواصِبِ» قولانِ: أحدُهما: أنَّه الدَّائمُ.

قاله: ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ.

والثَّاني: أنَّه المُوجِعُ.

كما قال تعالى: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا [مريم: 68 – 70].

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10).

أي: لا يَسَّمَّعُ الشَّياطينُ شيئًا مِن الملأِ الأعلى إلَّا مَن تَلَقَّف واختلَس منهم كَلِمةً واحِدةً بسُرعةٍ وخُفيةٍ، فيَتبعُه شِهابٌ مُتوقِّدٌ نافِذٌ.(122)

قاله أبو صالِحٍ، والسُّدِّيُّ.

((تفسير ابن الجوزي)) (536/3).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (383/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 369).

وعزا الشوكانيُّ القولَ الأوَّلَ إلى جمهورِ المفَسِّرينَ.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (445/4).

قال الواحدي: (قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ قالوا كلُّهم: دائِمٌ...

ومَن فَسَّر الواصِبَ بالشَّديدِ و[الموجِعِ]، فهو معنًى وليس بتفسيرٍ).

((البسيط)) (20/19).

وجمَعَ البِقاعي بيْن المعنيَينِ السَّابِقَينِ، فقال: (وَاصِبٌ أي: دائِمٌ مُرِضٌ مُوجِعٌ كثيرُ الإيجاعِ، مُواظِبٌ على ذلك ثابِتٌ عليه).

((نظم الدرر)) (198/16).

(122) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (508/19)، ((تفسير السمعاني)) (393/4)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (198/16)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701)، ((تفسير ابن عاشور)) (93/23).

قال القرطبي: (يَسترِقُ الواحِدُ منهم شيئًا ممَّا يتفاوَضُ فيه الملائِكةُ ممَّا سيَكونُ في العالَمِ قبْلَ أن يَعلَمَه أهلُ الأرضِ؛ وهذا لخفَّةِ أجسامِ الشَّياطينِ، فيُرجَمون بالشُّهُبِ حينَئذٍ).

((تفسير القرطبي)) (67/15).

وقال ابنُ كثير: (هي الكَلِمةُ يَسمَعُها مِن السَّماءِ، فيُلقيها إلى الَّذي تحتَه، ويُلقيها الآخَرُ إلى الَّذي تحتَه، فرُبَّما أدركَه الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقيَها، ورُبَّما ألقاها بقَدَرِ اللهِ قبْلَ أن يأتيَه الشِّهابُ فيُحرِقَه، فيَذهَبُ بها الآخَرُ إلى الكاهِنِ).

((تفسير ابن كثير)) (6/7، 7).

كما قال تعالى: إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 18].

وقال سُبحانه: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [الجن: 8، 9].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: إنَّ نبيَّ اللهِ – ﷺ – قال: ((إذا قضَى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت الملائِكةُ بأجنِحَتِها؛ خُضْعانًا لِقَولِه، كأنَّه سِلسلةٌ على صَفوانٍ، فإذا فُزِّعَ[123] عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العَليُّ الكبيرُ، فيَسمَعُها مُستَرِقُ السَّمعِ، ومُستَرِقُ السَّمعِ هكذا: بعضُه فوقَ بَعضٍ –ووصَفَ سُفيانُ بكَفِّه فحرَفَها، وبدَّد بيْنَ أصابِعِه– فيَسمَعُ الكَلِمةَ فيُلقيها إلى مَن تحتَه، ثمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحتَه، حتَّى يُلقِيَها على لسانِ السَّاحِرِ أو الكاهِنِ، فرُبَّما أدرك

وقال ابنُ عاشور: (الثَّاقِبُ: الخارِقُ، أي: الَّذي يَترُكُ ثَقْبًا في الجِسمِ الَّذي يُصيبُه، أي: ثاقِبٌ له.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: الشِّهابُ لا يَقتُلُ الشَّيطانَ الَّذي يُصيبُه، ولكِنَّه يَحترِقُ ويَخبِلُ، أي: يَفسُدُ قِوامُه فتَزولُ خصائِصُه، فإن لم يَضمَحِلَّ فإنَّه يُصبِحُ غيرَ قادرٍ على مُحاوَلةِ استِراقِ السَّمعِ مرَّةً أخرى، أي: إلَّا مَن تمكَّن مِن الدُّنُوِّ إلى محلٍّ يَسمَعُ فيه كلماتٍ مِن كلماتِ المَلَأِ الأعلى، فيُردَفُ بشِهابٍ يَثقُبُه فلا يَرجِعُ إلى حيثُ صدَرَ).

((تفسير ابن عاشور)) (93/23).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (198/16، 199)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الصَّافَّات)) (ص: 30، 31).

(123) الصَّفوانُ: الحَجَرُ الأملَسُ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (41/3).

الصَّفوانُ: الحَجَرُ الأملَسُ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (41/3).

الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقِيَها، وربَّما ألقاها قبْلَ أن يُدرِكَه، فيَكذِبُ معها مِئةَ كَذْبةٍ، فيُقالُ: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا، فيُصَدَّقُ بتلك الكَلِمةِ الَّتي سَمِعَ من السَّماءِ)).[124]

(124) رواه البخاري (4800).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (11–21)

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ (12) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14) وَقَالُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ
(17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَالُوا
يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

فَاسْتَفْتِهِمْ: أي: سَلْهم، واستَخبِرْهم، وأصلُ (فتي): يدُلُّ على تبيينِ حُكمٍ.

لَازِبٍ: أي: مُلتَصِقٍ ثابتٍ، وأصلُ (لزب): يدُلُّ على ثُبوتِ شَيءٍ، ولُزومِه.

يَسْتَسْخِرُونَ: أي: يُبالِغونَ في السُّخْرِيةِ، وأصلُ (سخر): يدُلُّ على احتِقارٍ واستِذلالٍ.

دَاخِرُونَ: أي: صاغِرونَ أذِلَّاءُ، وأصلُ (دخر): يدُلُّ على الذُّلِّ.

زَجْرَةٌ: أي: نَفخةٌ، والزَّجرةُ: الصَّيحةُ بشِدَّةٍ وانتهارٍ، وأصلُ (زجر): يدُلُّ على طَردٍ بصَوتٍ.

يَا وَيْلَنَا: الوَيْلُ: كَلِمةٌ تُقالُ عند الهَلَكةِ، وهي دعاءٌ بالهلاكِ والعذابِ.

الدِّينِ: أي: الجزاءِ والمحاسبةِ، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازيتُه، وأصلُ (دين): جِنْسٌ مِن الانقيادِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11).

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا.

أي: فاسألِ المُشرِكينَ المُنكِرينَ للبَعثِ -يا محمَّدُ-: أهُم أقوَى وأعظَمُ خَلقًا أم مَن خَلَقْنا سِواهم؛ كالسَّمَواتِ والأرضِ والكواكِبِ، والملائكةِ والشَّياطينِ؟![125]

---

(125) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (509/19)، ((تفسير القرطبي)) (68/15)، ((تفسير ابن كثير)) (7/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701)، ((تفسير ابن عاشور)) (94/23، 95)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (306/6).

قال الألوسي: (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أي: أقوى خِلقةً وأمْتَنُ بِنيَةً، أو أصعبُ خَلقًا وأشَقُّ إيجادًا).

((تفسير الألوسي)) (73/12).

ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المرادَ بقولِه: أَمْ مَنْ خَلَقْنَا أي: مَن عَدَدْنا خَلْقَه ممَّن تقدَّم ذِكرُه مِن الملائكةِ والشَّياطِينِ والسَّمواتِ والأرضِ إلى غيرِ ذلك مِن المخلوقاتِ العظيمةِ: ابنُ جرير، والسمرقندي، ومكِّي، والزمخشري، والرازي، والرسعني، والبيضاوي، وابن جُزَي، وابن كثير، والشوكاني، والألوسي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (509/19)، ((تفسير السمرقندي)) (137/3)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (6086/9)، ((تفسير الزمخشري)) (37/4)، ((تفسير الرازي)) (322/26)، ((تفسير الرسعني)) (374/6)، ((تفسير البيضاوي)) (6/5)، ((تفسير ابن جزي)) (189/2)، ((تفسير ابن كثير)) (7/7)، ((فتح القدير)) للشوكاني (445/4)، ((تفسير الألوسي)) (73/12).

قال ابنُ جُزَي: (ومَقصَدُ الآيةِ: إقامةُ الحُجَّةِ عليهم في إنكارِهم البَعثَ في الآخرةِ، كأنَّه يقولُ: هذه المخلوقاتُ أشَدُّ خَلقًا مِنكم، فكما قَدَرْنا على خَلْقِهم كذلك نَقدِرُ على إعادتِكم بعدَ فَنائِكم).

((تفسير ابن جزي)) (189/2).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (509/19).

وقال الرازي: (التَّقديرُ كأنَّه تعالى يقولُ: استَفْتِ يا محمَّدُ هؤلاء المُنكِرين أهُمْ أشَدُّ خَلقًا مِن خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، وخَلقِ المَشارقِ والمَغارِبِ، وخَلقِ الشَّياطينِ الَّذين يَصعَدون الفلَكَ؟! ولا شكَّ أنَّهم يَعترِفون بأنَّ خَلقَ هذا القِسْمِ أشَقُّ وأشَدُّ في العُرفِ مِن خَلقِ القِسمِ الأوَّلِ، فلمَّا ثبَت بالدَّلائلِ المذكورةِ في إثباتِ التَّوحيدِ كَوْنُه تعالى قادرًا على هذا القِسمِ الَّذي هو

كما قال تعالى: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ [النازعات: 27].

ثُمَّ بَيَّن الله تعالى أنَّهم خُلِقوا مِن شَيءٍ ضعيفٍ، فقال:

إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ.

أي: إنَّا ابتدَأْنا خَلْقَ النَّاسِ مِن طِينٍ لاصقٍ.

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12).

أشَدُّ وأصعبُ، فبِأَنْ يَكونَ قادرًا على إعادةِ الحياةِ في هذه الأجسادِ كان أَوْلى، ونظيرُ هذه الدَّلالةِ قولُه تعالى في آخرِ يس: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ [يس: 81].

((تفسير الرازي)) (322/26).

وقيل: المرادُ بقَولِه تعالى: أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أي: إيجادُهم بعدَ موتِهم أشَدُّ خَلقًا وأشَقُّ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا مِن هذه المخلوقاتِ؟ فلا بدَّ أن يُقِرُّوا أنَّ خَلقَ السَّمَواتِ والأرضِ أكبَرُ مِن خلقِ النَّاسِ؛ فيَلزَمُهم إذَن الإقرارُ بالبَعثِ.

وممَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والسعديُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (603/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701)، ((تفسير ابن عاشور)) (94/23).

وقيل: المعنى: أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا أي: مِن الأممِ الخاليةِ.

وممَّن اختاره: الثعلبيُّ.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (140/8).

والمعنى على ذلك: أهُمْ أشَدُّ خَلقًا أمْ مَن خلَقْنا مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ قَبْلَهم، وقد أهلَكْنا أولئك حينَ كذَّبوا وكَفَروا وكانوا أشَدَّ منهم قُوَّةً وأعظَمَ بَطشًا، فما ظَنُّ هؤلاء؟! يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (374/6).

قال الزمخشري: (وليس هذا القولُ بملائِم).

((تفسير الزمخشري)) (37/4) قال الطِّيبي: (لأنَّ مَنْ خَلَقْنَا مُطلَقٌ يُحمَلُ على المُقيَّدِ، ولم يَسبِقْ للأُمَمِ الماضيةِ ذِكرٌ، وقد سبق ذِكرُ الملائكةِ والسَّمواتِ وغيرِهما؛ فوجَب تقييدُه بها...

وأيضًا الفاءُ في قوله: فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا يقتضي ترتُّبَ الثَّاني على الأوَّلِ).

((حاشية الطيبي على الكشاف)) (127/13).

ويُنظر: ((تفسير الألوسي)) (74/12).

أي: بل عَجِبْتَ [126]–يا مُحَمَّدُ– مِن تَكذيبِهم بالبَعثِ بعدَ المَوتِ، وهم بخِلافِ ذلك يَسخَرونَ ممَّا تَقولُ في شأنِ البَعثِ![127]

---

(126) اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿بل عجبت﴾ على وجهين: الأول: بفتح التاء، بمعنى: بل عجبت أنت، يا محمد. وهي قراءة الجمهور.

والثاني: بضم التاء، بمعنى: بل عَظُمَ عندي وَكَبُرَ اتخاذهم لي شريكًا، وتكذيبهم تنزيلي.

وذَهَبَ ابنُ جرير (١٩/ ٤٩٧) إلى أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، ثم قال: «فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبًا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد مِن معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربُّنا مِن عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما.

فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أُمِرَ – ﷺ – أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما».

وعلَّقَ ابنُ عطية (٧/ ٢٧٤ – ٢٧٥) [وما بين المعكوفين من ط: دار الكتب العلمية (٤/ ٥٣٦)] على قراءة ضم التاء، بقوله: «ومعنى ذلك من الله أنه صفة فعل، ونحوه قول النبي – ﷺ –: «يعجب الله تعالى إلى قوم يساقون إلى الجنة في السلاسل».

وقوله: – عليه السلام –: «يعجب الله من الشاب ليست له صبوة»، فإنما هي عبارة عما يظهره تعالى في جانب [المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجبين] منه، فمعنى هذه الآية: بل عجبتُ من ضلالتهم وسوء نحلتهم، وجعلتها للناظرين فيها، وفيما اقترن معها من شرعي وهداي متعجّبًا».

وما قاله ابن عطية فيه نظر، والحق إثبات صفه العَجب لله على ما يليق بكماله وعظمته وجلاله، كما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

ينظر: الإبانة ٣/ ١٣١.

(127) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (513/19، 514)، ((تفسير الزمخشري)) (37/4)، ((تفسير القرطبي)) (69/15، 70)، ((تفسير ابن كثير)) (8/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701).

وممَّن قال بهذا المعنى المذكورِ: ابنُ كثير، والبِقاعي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (8/7)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (202/16)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701).

قال ابن عطيَّة: (أي: عَجِبتَ يا مُحمَّدُ مِن إعراضِهم عن الحقِّ، وعَماهُم عن الهُدى، وأن يَكونوا كافرين مع ما جِئتَهم به مِن عندِ الله).

((تفسير ابن عطية)) (467/4).

كما قال تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ [الرعد: 5].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ عَجِبْتُ بضَمِّ التَّاءِ، على معنى: إخبارِ اللهِ تعالى عن نَفْسِه بالعَجَبِ؛ إمَّا مِن إنكارِهم البَعثَ، أو سُخريتِهم مِنَ الرَّسولِ والقُرآنِ، وتَكذيبِهم به، أو مِن اتِّخاذِهم شَريكًا مع اللهِ تعالى، وعلى هذه القِراءةِ فالآيةُ مِن آياتِ الصِّفاتِ، والعَجَبُ صِفةٌ لله يجِبُ الإيمانُ بها على الوَجهِ الَّذي يَليقُ باللهِ سُبحانَه وتعالى.(128)

وقيل: المرادُ: عَجَبُه ممَّا نَزَل عليه مِن القُرآنِ.
وممَّن قال بهذا المعنى: الزَّجَّاجُ، والسمرقنديُ، والسمعانيُ، والقرطبيُ.
يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/299)، ((تفسير السمرقندي)) (3/137)، ((تفسير السمعاني)) (4/394)، ((تفسير القرطبي)) (15/69).
وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلَفِ: قَتادةُ.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/514).
قال القُرطبي: (وَيَسْخَرُونَ قيل: الواوُ واوُ الحالِ، أي: عَجِبتَ منهم في حالِ سُخريتِهم.
وقيل: تمَّ الكلامُ عندَ قَولِه: بَلْ عَجِبْتَ، ثمَّ استأنفَ فقال: وَيَسْخَرُونَ أي: ممَّا جِئتَ به إذا تَلَوْتَه عليهم.
وقيل: يَسخَرونَ منك إذا دعَوْتَهم).
((تفسير القرطبي)) (15/71).
(128) قرأ بها حمزةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/356).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (19/513)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 301، 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 606 - 608)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (6/308).

2- قِراءةُ عَجِبْتَ بفَتحِ التَّاءِ، خِطابٌ للنَّبيِّ - ﷺ -.[129]

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13).

أي: وإذا ذُكِّرَ المُشرِكونَ بالقُرآنِ فإنَّهم لا يَنتَفِعونَ بالتَّذكيرِ!

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14).

أي: وإذا رأَوا مُعجِزةً ظاهِرةً تَدُلُّ على صِدقِ رَسولِ اللهِ - ﷺ - يَسخَرونَ منها![130]

---

(129) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (356/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 301، 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 606، 607).

(130) قيل: معنى: يَسْتَسْخِرُونَ: يَسْخَرونَ.

وممَّن قال بهذا المعنى: أبو عُبَيدةَ، وابنُ قُتَيْبةَ، وابنُ جرير، والواحديُّ، والسعديُّ.

يُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (167/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 369)، ((تفسير ابن جرير)) (515/19)، ((الوسيط)) للواحدي (523/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: قَتادةُ، ومجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (515/19).

وقيل: المرادُ: أنَّهم يَطلُبونَ السُّخريةَ بها، بأن يَدْعُوَ بَعضُهم بعضًا لذلك؛ مِن شِدَّةِ استِهزائِهم.

وممَّن قال بذلك: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (203/16).

وقيل: المعنى: يُبالِغون في السُّخريةِ، فالسِّينُ والتَّاءُ للمُبالَغةِ.

وممَّن قال بهذا المعنى: الشوكاني، والقاسمي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (446/4)، ((تفسير القاسمي)) (205/8)، ((تفسير ابن عاشور)) (98/23).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير الزمخشري)) (38/4).

وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15).

أي: وقال المُشرِكونَ: ما هذا الَّذي جاءَنا به محمَّدٌ إلَّا سِحرٌ في غايةِ الوُضوحِ.[131]

كما قال اللهُ تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ [يونس: 76].

وقال سُبحانَه: وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [هود: 7].

أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16).

أي: قال المُشرِكونَ استِبعادًا وإنكارًا لوُقوعِ البَعثِ: أئِذا مِتْنا وصِرْنا في قُبورِنا تُرابًا وعِظامًا أئِنَّا لَمبعوثونَ أحياءً مِن بعدِ ذلك؟!

أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17).

---

(131) قيل: المرادُ أنَّ المُعجِزةَ الَّتي جاءَتهم سِحرٌ.
وممَّن قال بذلك: الرازيُّ، والقرطبيُّ.
يُنظر: ((تفسير الرازي)) (325/26)، ((تفسير القرطبي)) (71/15).
وقيل: المرادُ أنَّ دعوى إعادةِ الحياةِ بعدَ البِلى كلامُ سِحرٍ مُبينٌ، أي: كلامٌ لا يُفهَمُ، قُصِدَ به سِحرُ السَّامِعِ.
وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ عاشور.
يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (98/23).
ويُنظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (204/16).

أي: أَوَيُبعَثُ أيضًا آباؤُنا الَّذين ماتوا قَبْلَنا، وطال مُكثُهم تحتَ الأرضِ، وتلاشَت أجزاؤُهم، فلم يَبقَ لها أثَرٌ؟!

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18).

أي: قُلْ لهم -يا مُحمَّدُ-: نعَم، سيَبعثُكم اللهُ أحياءً بعدَ أن تَصيروا تُرابًا وعِظامًا، ويَبعَثُ آباءَكم الأوَّلينَ، وأنتم أذِلَّاءُ صاغِرونَ.(132)

كما قال تعالى وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ [النمل: 87].

---

(132) وممَّن قال بالمعنى المذكورِ: ابنُ جرير، والقرطبي، وابن كثير، والسعدي، وابن عاشور.

يُنظر: المصادِرُ السَّابقةُ.

قال القرطبي: (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ أي: صاغِرونَ أذِلَّاءُ؛ لأنَّهم إذا رأَوا وُقوعَ ما أنكَروه فلا محالةَ يَذِلُّونَ.

وقيل: أي: ستَقومُ القيامةُ وإن كرِهتُم، فهذا أمرٌ واقِعٌ على رَغمِكم، وإن أنكَرْتُموه اليومَ بزَعمِكم).

((تفسير القرطبي)) (72/15).

وممَّن جمَع بيْن المعنيَينِ المذكورينِ: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (205/16).

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19).

أي: فإنَّما هي صَيحةٌ واحِدةٌ بلا تَكرارٍ، فيَخرُجونَ مِن الأرضِ أحياءً يَنظُرونَ.[133]

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((... يُصعَقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسِلُ اللهُ –أو قال: يُنزِلُ اللهُ– مَطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فتَنبُتُ منه أجسادُ النَّاسِ، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قيامٌ يَنظُرونَ، ثمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمَّ إلى رَبِّكم وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)).[134]

---

(133) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٧٦): «قوله: ﴿ينظرون﴾ يحتمل أن يريد: بالأبصار، أي: ينظرون ما هم فيه، وصدق ما كانوا يكذبون به.

ويحتمل أن يكون بمعنى: ينتظرون ما يفعل بهم ويؤمرون به».

قال ابن جُزَي: (فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ يحتمِلُ أن يكونَ مِن النَّظَرِ بالأبصارِ، أو مِنَ الانتِظارِ، أي: يَنتَظِرونَ ما يُفعَلُ بهم). ((تفسير ابن جزي)) (190/2).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (468/4).

وممَّن اختار القَولَ الأوَّلَ: ابنُ جرير، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (517/19)، ((تفسير القرطبي)) (72/15)، ((تفسير ابن كثير)) (8/7)، ((تفسير الشوكاني)) (447/4).

واختلَف أصحابُ هذا القَولِ في هذا النَّظَرِ: إلى أيِّ شَيءٍ يكونُ؟ فقيل: يَنظُرونَ إلى ما كانوا يُوعَدونَه مِن قيامِ السَّاعةِ وأهوالِها، ويُعايِنونَه.

وقيل: يُبصِرونَ ما يَفعَلُ اللهُ بهم مِن العَذابِ.

وقيل: يَنظُرُ بَعضُهم إلى بعضٍ.

تُنظر: المصادِرُ السَّابقةُ.

وممَّن اختار أنَّ يَنْظُرُونَ بمعنى: يَنتَظِرونَ: السَّمعانيُّ، وهو ظاهِرُ اختيارِ العُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (395/4)، ((تفسير العليمي)) (510/5).

(134) رواه مسلم (2940).

وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20).

أي: ويَقولُ المُشرِكونَ إذا بعَثَهم اللهُ يومَ القيامةِ نادِمينَ ومُتحَسِّرينَ على تَكذيبِهم بالبَعثِ: يا وَيْلَنا، هذا يومُ الحِسابِ والجَزاءِ.

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21).

أي: فيُقالُ لهم يومَ القيامةِ: هذا يومُ حُكمِ اللهِ وقَضائِه بيْنَ عبادِه، الَّذي كنتُم في الدُّنيا تُكذِّبونَ به.[135]

كما قال تعالى: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ [المرسلات: 38، 39].

(135) قال ابنُ عطيَّة: (أجمَعوا أنَّ قولَه تعالى: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ إلى آخِرِ الآيةِ: ليس مِن قَولِ الكَفَرةِ، وإنَّما المعنى: يُقالُ لهم...). ((تفسير ابن عطية)) (468/4).

وذكر الزمخشريُّ احتمالًا أن يكونَ مِن كلامِ الكَفَرةِ بعضِهم مع بعضٍ، وجَوَّزَه ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (38/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (101/23).

واستظهره أبو حيَّانَ، قال: (والظَّاهرُ أنَّ قولَه: يَا وَيْلَنَا مِن كلامِ بعضِ الكفَّارِ لبعضٍ، إلى آخِرِ الجُملتَينِ، أقَرُّوا بأنَّه يومُ الجزاءِ، وأنَّه يومُ الفصلِ، وخاطَب بعضُهم بعضًا).

((تفسير أبي حيان)) (96/9).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (22–34)

احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ
مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ
الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ
قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32)
فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34)

غَريبُ الكَلِماتِ:

وَأَزْوَاجَهُمْ: أي: أشباهَهم وأمثالَهم ونُظَراءَهم، أو أقرانَهم المقتدينَ بهم في أفعالِهم، وأصلُ (زوج): يدُلُّ على مُقارَنةِ شَيءٍ لشَيءٍ.

الْجَحِيمِ: أي: النَّارِ، والجُحْمَةُ: شدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، ومنه: الجحيمُ، وأصْلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

وَقِفُوهُمْ: أي: احبِسُوهم، وأصلُ (وقف): يدُلُّ على تمكُّثٍ في شَيءٍ.

عَنِ الْيَمِينِ: أي: مِن قِبَلِ الدِّينِ والحَقِّ. وقيل: مِن ناحيةِ المواثيقِ والأيْمانِ. واليَمينُ في كلامِ العَرَبِ تُطلَقُ على البَرَكةِ والقُوَّةِ والقُدرةِ، وأصلُها: يمينُ اليَدِ.

سُلْطَانٍ: أي: حُجَّةٍ، وأصلُ السُّلطانِ: القُوَّةُ والقَهرُ، مِن التَّسلُّطِ؛ ولذلك سُمِّي السُّلطانُ سُلطانًا.

طَاغِينَ: أي: ضالِّينَ مُتجاوِزينَ الحَقَّ، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدِّ في العِصيانِ.

فَأَغْوَيْنَاكُمْ: أي: زَيَّنَّا لكم، وأضلَلْناكم، والغَيُّ: الجَهلُ، والانهِماكُ في الباطِلِ، وأصلُ (غوي): يدُلُّ على خِلافِ الرُّشدِ، وإظلامِ الأمرِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ....

أي: يُقالُ للمَلائِكةِ يومَ القيامةِ: اجمَعوا الظَّالِمينَ وأشباهَهم[136] الَّذين عَمِلوا بمِثلِ عَمَلِهم، واجمَعوا معهم مَعبوداتِهم الَّتي كانوا يُواظِبونَ على عبادتِها في الدُّنيا مِن دونِ اللهِ تعالى.[137]

---

(136) قال ابنُ تيمية (٥/ ٣٤٠ - ٣٤١): «ليس المراد: أنه يحشر معهم زوجاتهم مطلقًا؛ فإن المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجرًا، بل كافرًا كامرأة فرعون.

وكذلك الرجل الصالح قد تكون امرأته فاجرة، بل كافرة كامرأة نوح ولوط.

لكن إذا كانت المرأة على دين زوجها دخلت في عموم الأزواج، ولهذا قال الحسن البصري: ﴿وأزواجهم﴾: المشركات».

قال ابنُ عطية (٧/ ٢٧٧): «ما كانوا يعبدون من دون الله: مِن آدمي رَضِي بذلك، ومِن صنم ووثن توبيخًا لهم، وإظهارًا لسوء حالهم».

وقال ابن تيمية (٥/ ٣٤٢): «يخرج مِن هذا مَن عُبِدَ مع كراهته لأن يُعْبَد ويطاع في معصية الله.

فهم الذين سبقت لهم الحسنى، كالمسيح والعزير وغيرهما فأولئك مبعدون.

وأما مَن رضي بأن يُعْبَد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد، ولو لم يَأْمُر بذلك، فكيف إذا أمَر؟! وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير الله».

(137) وممَّن قال بأنَّ المرادَ بـــ (أَزْوَاجَهُمْ): أشباهُهم ونُظراؤُهم: ابنُ جرير، والسمرقندي، والسمعاني، والقرطبي، والخازن، والعُلَيمي، والشوكاني، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (519/19)، ((تفسير السمرقندي)) (139/3)، ((تفسير السمعاني)) (396/4)، ((تفسير القرطبي)) (73/15)، ((تفسير الخازن)) (17/4)، ((تفسير العليمي)) (511/5)، ((تفسير الشوكاني)) (448/4)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (309/6).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: عمرُ بنُ الخطَّاب، وابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، وقَتادةُ، وسعيدُ ابنُ جُبَيرٍ، وعِكْرِمةُ، ومجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، وأبو صالحٍ، وأبو العاليةِ، وزَيدُ بنُ أسْلَمَ، وابنُ زَيدٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (519/19)، ((تفسير ابن كثير)) (8/7).

قال الشنقيطي: (جمهورُ أهلِ العِلمِ -منهم: عُمَرُ، وابنُ عبَّاسٍ- على أنَّ المرادَ به: أشباهُهم ونُظراؤُهم؛ فعابِدُ الوَثَنِ مع عابدِ الوَثَنِ، والسَّارِقُ مع السَّارِقِ، والزَّاني مع الزَّاني، واليهوديُّ مع اليهوديِّ، والنَّصرانيُّ مع النَّصرانيِّ...

كما قال تعالى: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ [الأنبياء: 97 – 99].

... فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23).

أي: دُلُّوا الظَّالِمينَ وأشباهَهم وآلهتَهم إلى طريقِ جهنَّمَ، وسُوقوهم إليها.[138]

وهكذا.

وإطلاقُ الأزواجِ على الأصنافِ مَشهورٌ في القرآنِ، وفي كلامِ العرَبِ...).

((أضواء البيان)) (6/309).

وقال الواحدي: (وقال جماعةُ المفسِّرينَ: أشباهَهم وأمثالَهم، وأتْباعَهم ونُظراءَهم وضُرَباءَهم.

وعلى هذا القولِ يُحمَلُ الَّذين ظلَموا على القادةِ والرُّؤساءِ، وأزواجُهم أتْباعُهم).

((الوسيط)) (3/523).

وقيل: المرادُ بهم الزَّوجاتُ الموافِقاتُ لأزواجِهنَّ في الإشراكِ باللهِ تعالى.

وممَّن اختار هذا المعنى: ابنُ جُزَي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (2/190)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/101).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه –واستغربها ابنُ كثيرٍ–، ورُويَ عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ، وقاله الحسَنُ، ومجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/9)، ((تفسير الثعلبي)) (8/141)، ((تفسير القرطبي)) (15/73).

قال ابنُ تيميَّةَ: (ليس المرادُ أنَّه يُحشَرُ معهم زَوجاتُهم مُطلَقًا؛ فإنَّ المرأةَ الصَّالحةَ قد يكون زَوجُها فاجرًا بل كافِرًا، كامرأةِ فِرعَونَ، وكذلك الرَّجُلُ الصَّالحُ قد تكونُ امرأتُه فاجِرةً بل كافِرةً، كامرأةِ نُوحٍ ولُوطٍ، لكِنْ إذا كانت المرأةُ على دينِ زَوجِها دخَلَت في عُمومِ الأزواجِ).

((مجموع الفتاوى)) (7/64).

(138) قيل: المرادُ بقولِه: فَاهْدُوهُمْ: فقُودوهم وسُوقوهم.

وممَّن قال بهذا المعنى: القرطبيُّ، والسعديُّ.

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24).

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (73/15)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه.

يُنظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (84/7).

وقيل: المراد: فأَرشِدوهم ودُلُّوهم.

وممَّن قال بهذا المعنى: السمعانيُّ، وابنُ جُزَي، وابنُ كثير، والشنقيطيُّ.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (396/4)، ((تفسير ابن جزي)) (190/2)، ((تفسير ابن كثير)) (9/7)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (310/6).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، والضَّحَّاكُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (522/19)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (68/7)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (84/7).

وقال الشوكاني: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ أي: عَرِّفوا هؤلاءِ المحشورينَ طريقَ النَّارِ، وسُوقُوهم إليها).

((تفسير الشوكاني)) (448/4).

وقال ابن عثيمين: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ أي: دُلُّوهم، وهذه هدايةُ الدَّلالةِ، وهذا لا يُنافي قولَه تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا [مريم: 85، 86]؛ فإنَّ الَّذي يُساقُ يُهدَى أيضًا، أرأَيْتَ الرَّجُلَ يَسوقُ بعيرَه ويَهديها؟ هؤلاء يُساقون وفي نفْسِ الوقتِ يُقالُ: اذهَبوا مِن هنا، اذهبوا مِن هنا، حتَّى يَصِلوا إلى النَّارِ).

((تفسير ابن عثيمين- الصافات)) (ص: 58).

أي: يُقالُ للمَلائِكةِ: قِفُوهم[139] مع نُظَرائِهم وآلهتِهم حتَّى يُسألوا.[140]

---

(139) قيل: هذا يكونُ قبْلَ سَوقِهم إلى الجَحيمِ، أي: قِفوهم للحِسابِ ثمَّ سُوقوهم إلى النَّارِ.

وممَّن قال بهذا المعنى: القرطبي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (15/73، 74)، ((تفسير السعدي)) (ص: 701، 702).

وقيل: هو أمرٌ بوَقفِهم في ابتداءِ السَّيرِ بهم، أي: احبِسوهم عن السَّيرِ قليلًا؛ ليُسألوا سُؤالَ تأييسٍ وتحقيرٍ وتغليظٍ.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (23/102).

قال البغوي: (قال المفسِّرون: لَمَّا سِيقوا إلى النَّارِ حُبِسوا عندَ الصِّراطِ؛ لأنَّ السُّؤالَ عندَ الصِّراطِ، فقيل: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ). ((تفسير البغوي)) (4/29).

اختُلِف في الشيءِ الذي يُسْأَلون عنه على خمسة أقوال: الأول: عن لا إله إلا الله.

والثاني: عن أعمالهم ويوقفون على قبحها.

والثالث: هل يحبون شرب الماء البارد؟ والرابع: عما دعوا إليه من بدعة.

والخامس: عما كانوا يعبدون من دون الله.

وعلَّقَ ابنُ عطية (٧/ ٢٧٧) على القول الثاني، بقوله: «هذا قول مُتَّجه، عامٌّ في الهزء وغيره».

وعلَّقَ على القول الثالث، بقوله: «هذا على طريق الهزْء بهم».

ثم ذكر قولًا آخر محتملًا، فقال: «ويحتمل عندي أن يكون المعنى على ما فسره بقوله: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أي: تسألون عن امتناعهم عن التناصر».

(140) نقل ابنُ عَطيَّةَ عن جُمهورِ المفَسِّرينَ أنَّ المرادَ: أنَّهم يُسألونَ عن أعمالِهم، ويُوقَفونَ على قُبحِها.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/469).

وقيل: هذا السُّؤالُ هو ما ذُكِر بعدُ، وهو قولُه: مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ [الصَّافَّات: 25].

وممَّن اختاره: ابنُ عاشور، وذكره ابنُ عطيَّةَ احتمالًا.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (23/102)، ((تفسير ابن عطية)) (4/469).

وذكر مُقاتِلٌ أنَّ خَزَنةَ جهنَّمَ تَسألُهم: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ [الزمر: 71] .

يُنظر: ((تفسير مقاتل ابن سليمان)) (3/605).

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((... يُصعَقُ النَّاسُ، ثم يُرسِلُ اللهُ -أو قال: يُنزِلُ اللهُ- مَطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فتَنبُتُ منه أجسادُ النَّاسِ، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قِيامٌ يَنظُرون، ثمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمَّ إلى رَبِّكم، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)).[141]

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25).

أي: فيُقالُ لهم: ما لَكم لا يَنصُرُ بَعضُكم بَعضًا، فيَمنَعَه مِن عذابِ اللهِ، ويَدفَعَ عنه الشَّقاءَ الَّذي هو فيه؟!

كما قال تعالى: وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ [الشعراء: 92، 93].

وقال سُبحانَه: فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ [الطارق: 10].

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26).

أي: بل هم يومَ القيامةِ مُستَسلِمونَ لأمرِ اللهِ، مُنقادونَ إليه، قد أيْقَنوا بعَذابِه؛ فهم ذَليلونَ لا يَنطِقونَ.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27).

أي: وأقْبَلَ الَّذين ظَلَموا بعضُهم على بعضٍ يَتخاصَمونَ ويَتلاوَمونَ.

---

(141) رواه مسلم (2940).

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28).

أي: قال الأتْباعُ منهم للَّذين أضَلُّوهم: إنَّكم كُنتُم في الدُّنيا تَأتونَنا عن اليَمينِ، فتُضِلُّونَنا.(142)

---

(142) قال ابنُ جرير (١٩/ ٥٢٤ - ٥٢٥) مبيّنًا معنى الآية استنادًا إلى أقوال السلف، واللغة: «قالت الإنس للجن: إنكم -أيها الجن- كنتم تأتوننا مِن قِبَلِ الدِّين والحق، فتخدعوننا بأقوى الوجوه.

واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفِعَت لمجدٍ تَلَقَّاها عَرابةُ باليمينِ

يعني: بالقوة والقدرة».

وقال ابنُ عطية (٧/ ٢٧٨ - ٢٨٠ بتصرف): «اضطرب المتأولون في معنى قولهم: ﴿عن اليمين﴾، وعَبَّر ابن زيد وغيره عنه بـ: طريق الجنة والخير.

ونحو هذا من العبارات التي هي تفسير بالمعنى لا تختص باللفظة، وبعضهم نحا في تفسير الآية إلى ما يختصها، والذي يتحصل من ذلك معانٍ، منها: أن يريد بـ ﴿اليمين﴾: القوة والشدة، فكأنهم قالوا: إنكم كنتم تغووننا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدة.

فعَبَّر عن هذا المعنى بـ ﴿اليمين﴾ كما قالت العرب: بيدين ما أورد.

وكما قالوا: اليد -في غير موضع- عن القوة، وقد ذهب بعض الناس ببيت الشماخ هذا المذهب، وهو قوله:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فقالوا: معناه: بقوة وعزيمة، وإلا فكل أحد يتلقاها بيمينه، لو كانت الجارحة، وأيضًا فلما استعار الراية للمجد فكذلك لم يرد باليمين الجارحة.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي يحسّنها تمويهكم وإغواؤكم، ويظهر فيها أنها جهة الرشد والصواب، فتصير عندنا كاليمين التي نتيمَّن بالسانح الذي يجيؤنا من قِبَلِها ...

فكأنهم شبهوا أقوال هؤلاء المغوين بالسوانح التي هي عندهم محمودة، كأن التمويه في هذه الغوايات قد أظهر فيها ما يوشك أن يُحمد به.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تأتوننا -أي: تقطعون بنا- عن أخبار الخير واليمن.

فعَبَّر عنها بـ ﴿اليمين﴾؛ إذ اليمين هي الجهة التي يتيمن بكل ما كان منها وفيها.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تجيئوننا من جهة الشهوات وعدم النظر، والجهة الثقيلة من الإنسان وهي جهة اليمين منه؛ لأن كبده فيها، وجهة شماله فيها قلبه، وهي أخف، وهذا معنى قول الشاعر:

تركنا لهم شق الشمال

كما قال تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا [الأحزاب: 67، 68].

وقال سُبحانه: وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا [سبأ: 33].

قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29).

أي: قال المَتْبوعونَ لأتْباعِهم: ليس الأمرُ كما تَقولونَ مِن أنَّا أضلَلْناكم عن الحَقِّ، ولكِنْ أنتم أضلَلْتُم أنفُسَكم بالكفرِ، فلمْ تَكونوا مُؤمِنينَ باللهِ مِن قَبْلُ، ولم تَقْبَلوا الإيمانَ؛ فالكُفرُ مُتأصِّلٌ في طَبعِكم؛ فلذا تابَعتُمونا فيما أمَرْناكم به، فلا تَلومونا ولُوموا أنفُسَكم!

أي: نزلنا لهم عن موضع الهروب؛ لأن المنهزم إنما يرجع على شقه الأيسر؛ إذ هو أخف شقيه، وإذ قلب الإنسان في شماله، وثم نظره، فكأن هؤلاء كانوا يأتون من جهة الشهوات والثقل ...

وأكثر ما يتمكن هذا التأويل مع إغواء الشياطين، وهو قَلِقٌ مع إغواء بني آدم.

وقيل: المعنى: تحلفون لنا، وتأتوننا إتيان من إذا حلف صدقناه ...

فاليمين على هذا: القَسَم «.

ثم بيَّن أن بعض الناس ذهبوا في ذكر إبليس جهات بني آدم في قوله: ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ومِن خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] إلى ما ذكره من جهة الشهوات، فقالوا: ما بين يديه هي مغالطته فيما يراه، وما خلفه هو ما يسارق فيه الخفاء، وعن يمينه هو جانب شهواته، وعن شماله هو موضع نظره بقلبه وتحرزه، فقد يغلبه الشيطان فيه، ثم علَّق بقوله:»

وهذا فيمن جعل هذا في جهات ابن آدم الخاصة بيديه، ومِن الناس مَن جعلها في جهات أموره وشؤونه؛ فيتسع التأويل على هذا».

كما قال تعالى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [إبراهيم: 22].

وقال سُبحانَه: قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ [سبأ: 32].

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30).

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ.

أي: وما كان لنا أيُّ سُلطانٍ[143] على ما نَدْعوكم إليه مِن الضَّلالِ؛ لِنَصُدَّكم به عن اتِّباعِ الحَقِّ.

---

(143) قيل: السُّلطانُ هنا بمعنى الحُجَّةِ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والقرطبيُّ، وابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/526)، ((تفسير القرطبي)) (15/75)، ((تفسير ابن كثير)) (7/11).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: السُّدِّيُّ في روايةٍ عنه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/526).

وقيل: هو بمعنى القَهرِ والغَلَبةِ.

وممَّن قال بذلك: السعدي، وابنُ عاشور، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 702)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/105)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصَّافَّات)) (ص: 69).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: السُّدِّيُّ في روايةٍ عنه.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/829).

بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ.

أي: وإنَّما كان الطُّغيانُ في طَبعِكم أنتم، فكُنتُم قومًا مُتجاوِزينَ الحَدَّ، مُتكبِّرينَ عن قَبولِ الحَقِّ، غالِينَ في الكُفرِ، مُسرفِينَ في المعاصي؛ فاستَجبتُم لنا وترَكْتُم الحقَّ الَّذي جاءَتْكم به الأنبياءُ.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31).

أي: فوَجَب وثَبَت علينا جميعًا ما وعَدَنا به ربُّنا مِن عذابِ النَّارِ؛ فإنَّا وإيَّاكم لَذائِقوه.

كما قال تعالى: قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ [الأعراف: 18].

فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32).

أي: فأضْلَلْناكم عن الهدَى، ودَعَوْناكم إلى ما كنَّا عليه، إنَّا كنَّا ضالِّينَ.

كما قال تعالى: قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ [القصص: 63].

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33).

أي: فإنَّ جميعَ الأتْباعِ والمتّبوعينَ الضَّالّينَ مِن الإنسِ والجِنِّ مُشتَرِكونَ في أصلِ العذابِ يومَ القيامةِ، كما اشتَرَكوا في الدُّنيا في سَبَبِه، وإن تَفاوَتَ مِقدارُ عذابِ كُلٍّ منهم، كما تَفاوَتوا في مِقدارِ كُفرِهم وعِصيانِهم لرَبِّهم.

إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34).

أي: إنَّا نُجازي بمِثلِ هذا الجَزاءِ كُلَّ مُتَّصِفٍ بالإجرامِ، يَكتَسِبُ الذُّنوبَ والآثامَ، ويَختارُ الكُفرَ على الإيمانِ.

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (35–49)

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَجْنُونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38)
وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ
(41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ
عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)

غَريبُ الكَلِماتِ:

مَعِينٍ: أي: ماءٍ ظاهِرٍ جارٍ، وأصلُ (معن): يدُلُّ على سُهولةٍ في جَرَيانٍ أو غيرِ ذلك.

غَوْلٌ: الغولُ: اسمٌ عامٌّ في الأذَى والضَّيرِ، فمنه صُداعُ الرَّأسِ، ومنه وجعُ البطنِ إلى غيرِ ذلك، والغَولُ: فَسادٌ يَلحَقُ في خَفاءٍ، وأصلُه: يدُلُّ على أخذٍ مِن حيثُ لا يُدرَى.

يُنْزَفُونَ: أي: لا يَسكَرونَ، ولا تَذْهَبُ عُقولُهم، والنَّزيفُ: السَّكرانُ، وأصلُ (نزف): يدُلُّ على نَفادِ شَيءٍ وانقِطاعٍ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: أي: حابِساتُ الأبصارِ على أزواجِهِنَّ، وأصلُ (قصر): يدُلُّ على الحَبسِ.

عِينٌ: أي: واسِعاتُ العُيونِ، الواحِدةُ عَيناءُ، وأصلُ (عين): يدُلُّ على حاسَّةِ البَصَرِ.

بَيْضٌ مَكْنُونٌ: أي: بَيضٌ مَصونٌ، شُبِّهْنَ ببَيضِ النَّعامِ، تَكُنُّه النَّعامةُ بالرِّيشِ مِن الرِّيحِ والغُبارِ، والعَرَبُ تُشَبِّهُ المرأةَ النَّاعِمةَ في ضِيائِها وحُسنِها وصَفوةِ النِّعمةِ عليها بالبَيضةِ، وأصلُ (كنن): يدُلُّ على سَترٍ وصَونٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35).

أي: إنَّ المُشرِكينَ كانوا دائِمًا إذا قِيلَ لهم في الدُّنيا: قُولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، يتكبَّرونَ عن قَولِ ذلك، ولا يَستَجيبونَ لِمَن دعاهم إليه.

كما قال تعالى: ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا [غافر: 12].

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36).

أي: ويَقولونَ: أنقولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ونَترُكُ عِبادةَ آلهتِنا؛ اتِّباعًا لِقَولِ شاعرٍ مجنونٍ؟!

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37).

أي: ليس الأمرُ كما يَزعُمونَ مِن أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم شاعِرٌ مَجنونٌ، وإنَّما هو نَبيٌّ جاء بالقُرآنِ مِن عندِ اللهِ، وفيه الأمرُ بتوحيدِ اللهِ؛ وأنَّه صَدَّقَ المُرسَلينَ الَّذين كانوا قَبْلَه، وأخبَروا بمَجيئِه، فكانت بَعثتُه تَصديقًا لهم، وشَهِدَ هو بنُبوَّتِهم، وأخبَرَ بمِثلِ ما أَخبَروا به مِنَ التَّوحيدِ وغيرِه من الحَقِّ.

كما قال تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ [آل عمران: 3].

وقال سُبحانَه: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: 81].

إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38).

أي: إنَّكم لَذائِقو العذابِ المُؤلِمِ المُوجعِ؛ بسَبَبِ شِركِكم وتَكذيبِكم.

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39).

أي: وما تُجزَونَ إلَّا الَّذي كُنتُم تعمَلونَه في الدُّنيا، فلا يَظلِمُكم اللهُ بتعذيبِكم على ما لم تعمَلوا.

كما قال تعالى: وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النمل: 90].

وقال سُبحانَه: فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [يس: 54].

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40).

أي: لكِنْ عِبادُ اللهِ الَّذين أخلَصَهم اللهُ لطاعتِه، واختارَهم لخاصَّةِ رَحمتِه؛ فإنَّهم لا يَذوقونَ العَذابَ، ويَتجاوَزُ اللهُ تعالى عن سيِّئاتِهم إن كان لهم سيِّئاتٌ، ويُثيبُهم اللهُ تعالى بأعمالِهم الصَّالحةِ أضعافًا مُضاعَفةً.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ الْمُخْلَصِينَ بفَتحِ اللَّامِ، اسمُ مَفعولٍ مِن أخلَصَ، بمعنى: أنَّ اللهَ تعالى أخلَصَهم، فصاروا مُخلَصينَ.(144)

2- قِراءةُ الْمُخْلِصِينَ بكَسرِ اللَّامِ، اسمُ فاعلٍ مِن أخلَصَ، بمعنى: أنَّهم أخلَصوا لله دِينَهم وأعمالَهم مِنَ الشِّركِ والرِّياءِ.(145)

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41).

أي: أولئك المخلَصونَ مِن عبادِ اللهِ: لهم عَطاءٌ غيرُ مجهولٍ.

كما قال تعالى: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا [البقرة: 25].

لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى أنَّ للمُؤمِنينَ رِزقًا؛ بيَّن ذلك الرِّزقَ ما هو، فقال:

---

(144) قرأ بها نافِعٌ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وخلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (14/68)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 359).

(145) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (14/68)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 358).

فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42).

أي: لهم فَواكِهُ مُتنوِّعةٌ يَتنعَّمونَ بها ويَتلذَّذونَ، وهم مع ما أعطاهم اللهُ مِنَ الرِّزقِ يُكرَمونَ دائِمًا بأنواعِ الكَراماتِ، فيُعَظَّمونَ ولا يُحتقَرونَ ولا يُهانُونَ.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43).

أي: يُنعَّمُ عِبادُ اللهِ ويُكرَمونَ في جَنَّاتٍ ليس فيها إلَّا النَّعيمُ الحِسِّيُّ والمَعنويُّ؛ فلا بُؤسَ فيها ولا شَقاءَ.

لَمَّا كان التَّلَذُّذُ لا يَكمُلُ إلَّا مع الأحبابِ، وكانت عادةُ الملوكِ الاختِصاصَ بالمَحَلِّ الأعلى؛ بيَّنَ أنَّهم كُلَّهم مُلوكٌ، فقال:

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44).

هم على السُّرُرِ في غايةِ الرَّاحةِ والطُّمأنينةِ وصَفاءِ القُلوبِ، يَتحابُّونَ فيما بيْنَهم، ويَأنَسونَ باجتِماعِهم، ويُنَعَّمونَ بنَظَرِ بَعضِهم إلى بَعضٍ.

كما قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (46) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [الحجر: 45 – 47].

وقال سُبحانَه: مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ [الطور: 20].

وقال عزَّ وجلَّ: فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ [الغاشية: 13].

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45).

أي: تُدارُ عليهم في مجالِسِهم خمرٌ مِن أنهارِ الخَمرِ الجاريةِ.[146]

كما قال تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ [الواقعة: 17، 18].

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46).

أي: بَيضاءِ اللَّونِ،[147] طَعمُها طَيِّبٌ يَتلذَّذُ بها شارِبوها.

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47).

---

(146) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٨٢): «وذهب بعض الناس إلى أن الكأس آنية مخصوصة في الأواني، وهو: كل ما اتسع فمه، ولم يكن له مقبض.

ولا يراعى في ذلك كونه بخمرٍ أم لا».

«وقوله تعالى: ﴿مِن مَعِينٍ﴾ يريد: مِن جارٍ مطرد، فالميم فيه أصلية؛ لأنه من الماء المعين.

ويحتمل أن يكون من العين، فتكون الميم زائدة، أي: مما يعيّن بالعين غير مستور ولا في خزن».

(147) ذكر ابنُ عطية (٤/ ٤٧٢ ط: دار الكتب العلمية) أن قوله: ﴿بَيْضَاءَ﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يعود على الكأس.

الثاني: أن يعود على الخمر.

ورجَّحه بقوله: «وهو الأظهر».

ثم أورد قول الحسن.

لَا فِيهَا غَوْلٌ.

أي: ليس في خَمرِ الجنَّةِ أيُّ أذًى أو فَسادٌ يُصيبُ شارِبيها؛ مِن وَجعِ بَطنٍ، وصُداعِ رأسٍ، أو غيرِ ذلك مِن الأمراضِ والآلامِ.(148)

(148) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾ على خمسة أقوال: الأول: ليس فيها وجع البطن.

والثاني: ليس فيها صداع.

والثالث: ليس فيها ما يغتال العقل.

والرابع: ليس فيها إثم.

والخامس: ليس فيها أذى ولا مكروه.

ذهب ابنُ كثير (١٢/ ١٧) إلى القول الأول، ونصَّ على أنه «الصحيح».

وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

وذهب ابنُ جرير (١٩/ ٥٣٤ - ٥٣٥)، وكذا ابنُ عطية (٧/ ٢٨٣) إلى أنّ اسم «الغول» يعُمّ كلّ تلك الأقوال، استنادًا إلى اللغة والعموم، فقال ابنُ جرير: «ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجهٌ، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به.

فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانًا غول.

فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه؛ كلهم قد غالته غول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله -تعالى ذِكْرُه- قد نفى عن شراب الجنَّة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال -جل ثناؤه-: ﴿لا فيها غول﴾ فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها، ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك».

وقال ابنُ عطية: «والاسم أعم من هذا كله، فنفى عن خمر الجنة جميع أنواع الأذى؛ إذ هي موجودة في خمر الدنيا، نحا إلى هذا العموم سعيد بن جبير».

قال ابنُ عطية (٧/ ٢٨٤ - ٢٨٥ بتصرف): «﴿يُنْزَفُون﴾ من أنزَفَ بمعنيين: أحدهما: سَكِرَ، ومنه قول الأبيرد الرياحي ...

والثاني: بَعُدَ شرابُه، يقال: أنزف الرجل: إذا تم شرابه.

فهذا كله منفي عن أهل الجنة».

كما قال تعالى: لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا [الواقعة: 19].

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ.

أي: ولا تزولُ عُقولُ أهلِ الجنَّةِ؛ بسَبَبِ شُربِهم الخَمرَ، فهم لا يَسكَرونَ بشُربِها.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ يُنْزِفُونَ بكَسرِ الزَّايِ، قيل: بمعنى: لا يَنفَدُ شَرابُهم. وقيل: لا يَسكَرونَ.[149]

2- قِراءةُ يُنْزَفُونَ بفَتحِ الزَّايِ، أي: لا تَزولُ عُقولُهم إذا شَرِبوها.[150]

---

(149) قرأ بها حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/357).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/318)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 608).

(150) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/357).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/318)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 609).

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48).

أي: وعندَ عِبادِ اللهِ المُخلَصينَ في الجنَّةِ نِساءٌ قد قصَرْنَ أطرافَهنَّ على أزواجِهنَّ؛ فلا يَنظُرْنَ إلى غَيرِهم مِنَ الرِّجالِ، ولا يُرِدْنَ غيرَ أزواجِهنَّ، ومِن صِفاتِهِنَّ أنَّ عُيونَهنَّ حِسانٌ واسِعاتٌ.(151)

كما قال اللهُ تعالى: فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ [الرحمن: 56].

(151) قال ابنُ كثير (١٢/ ١٨): «﴿عِين﴾ أي: حِسان الأعين.
وقيل: ضِخام الأعين.
وهو يرجع إلى الأول، وهي: النجلاء العيناء».

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49).

أي: كأنَّ نِساءَ أهلِ الجنَّةِ كالبَيضِ المَصونِ المَحفوظِ.[152]

(152) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنهن شُبِّهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء.

وهذا قول سعيد بن جبير، والسديّ، وقتادة.

والثاني: أنهن شُبّهن بالبيض الذي يحضنه النعام، في بياض قشره الذي قد خالطته صفرة حسنة.

وهذا قول ابن زيد.

والثالث: أنهن شُبِّهن باللؤلؤ المكنون في بياضه ونقائه.

وهذا قول ابن عباس.

وزاد ابنُ عطية (٧/ ٢٨٦) قولًا رابعًا، فقال: «وقالت فرقة: إنما شبههن تعالى بالبيض المكنون تشبيهًا عامًّا؛ جملة المرأة بجملة البيضة، وأراد بذلك تناسب أجزاء المرأة، وأن كل جزء منها نسبته في الجودة إلى نوعه نسبة الآخر من أجزائه إلى نوعه، فنسبة شعرها إلى عينها مستوية؛ إذ هما غاية في نوعهما، والبيضة أشد الأشياء تناسب أجزاء؛ لأنك من حيث جئتها فالنظر فيها واحد».

ورجَّح ابنُ جرير (١٩/ ٥٤١ - ٥٤٢ بتصرف) القولَ الأولَ لدلالة اللغة، والعقل، وأقوال السلف، وانتَقَدَ الثاني، فقال: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول مَن قال: شبههن في بياضهن وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة المُلْبَسةُ المحَّ قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العُليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها.

والعرب تقول لكل مصون: مكنون ما كان ذلك الشيء؛ لؤلؤًا كان أو بيضًا أو متاعًا ...

وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكننته، فهو مُكَنٌّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله - ﷺ - ...

عن أم سلمة، قلت: يا رسول الله، أخبِرني عن قوله ﴿كأنهن بيض مكنون﴾.

قال: «رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشر» وهي الغِرْقيء».

وانتَقَدَ ابنُ عطية (٧/ ٢٨٦) القول الثالث، فقال: «هذا لا يصح عندي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -؛ لأنه تردُّه اللفظة من الآية».

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (50–61)

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ
أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)

غَريبُ الكَلِماتِ:

قَرِينٌ: أي: صاحِبٌ وصَديقٌ مُلازِمٌ، والاقتِرانُ: الازدِواجُ واجتِماعُ شَيئينِ أو أشياءَ في معنًى مِنَ المعاني، وأصلُ (قرن): يدُلُّ على جَمعِ شَيءٍ إلى شَيءٍ.

لَمَدِينُونَ: أي: لَمَجزيُّونَ، ومُحاسَبونَ، وأصلُ (دين): يدُلُّ على جِنسٍ مِنَ الانقيادِ.

سَوَاءِ الْجَحِيمِ: أي: وَسَطِ النَّارِ، وأصلُ (سوي): يدُلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بيْنَ شيئينِ، وأصلُ (جحم): يدُلُّ على عِظَمِ الحَرارةِ وشِدَّتِها.

لَتُرْدِينِ: أي: لَتُهلِكُني، والرَّدَى: الهلاكُ، والتَّرَدِّي: التَّعَرُّضُ للهَلاكِ، وأصلُ (ردي): يدُلُّ على رَميٍ أو تَرامٍ وما أشْبَهَ ذلك.

الْمُحْضَرِينَ: أي: المُعَذَّبينَ في النَّارِ، وأصلُ (حضر): يدُلُّ على وُرودٍ ومُشاهَدةٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50).

أي: فأقبَلَ بَعضُ أهلِ الجنَّةِ على بَعضٍ يَتساءَلونَ فيما بيْنَهم.[153]

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51).

أي: قال قائلٌ مِن أهلِ الجنَّةِ لجُلَسائِه: إنِّي كان لي قَرينٌ في الدُّنيا.[154]

---

(153) قال ابنُ كثير: (ذلك مِن حديثِهم على شَرابِهم، واجتِماعِهم في تَنادُمِهم، وعِشرتِهم في مَجالِسِهم، وهم جلوسٌ على السُّرُرِ، والخَدَمُ بيْن أيديهم يَسعَونَ ويَجيئونَ بكُلِّ خَيرٍ عَظيمٍ).

((تفسير ابن كثير)) (15/7).

وقال الألوسي: (وتساؤلُهم عن المعارفِ والفضائلِ، وما جرَى لهم وعليهم في الدُّنيا، وما أحلَى تذكُّرَ ما فاتَ عندَ رفاهيةِ الحالِ، وفراغِ البالِ).

((تفسير الألوسي)) (88/12).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير البيضاوي)) (13/5)، ((تفسير أبي السعود)) (192/7).

(154) قيل: المرادُ به: شَيطانٌ مِن الجِنِّ.

وممَّن رُوِيَ عنه هذا القَولُ: مجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (543/19).

وقيل: المرادُ به: صَديقٌ مُلازِمٌ مِن الإنسِ.

وممَّن ذهب إلى هذا القَولِ في الجملةِ: ابنُ عطيَّة، والبِقاعي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (473/4)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (234/16)، ((تفسير ابن عاشور)) (115/23).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (543/19).

وممَّن ذهب إلى إمكانِ حَملِ الآيةِ على كِلا القولينِ: ابنُ كثير، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (15/7)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الصَّافَّات)) (ص: 115).

يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52).

أي: كان القَرينُ يقولُ لي: أئِنَّك لَمِنَ المُصَدِّقِينَ بوُقوعِ البَعثِ والحِسابِ والجَزاءِ بعدَ الموتِ؟!

أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53).

أي: أئِذا مِتْنا وصِرْنا تُرابًا وعِظامًا أئِنَّا لَمُحاسَبونَ ومَجزيُّونَ على أعمالِنا؟!

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54).

أي: قال الرَّجُلُ المؤمِنُ لأصحابِه في الجَنَّةِ: هل أنتم مُطَّلِعونَ على النَّارِ وأهلِها، فنَنظُرَ حالَ هذا القَرينِ المكَذِّبِ بالبَعثِ؟[155]

قال ابنُ كثير: (كَانَ لِي قَرِينٌ قال مجاهِدٌ: يعني شيطانًا.
وقال العَوْفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ: هو الرَّجُلُ المشركُ يكونُ له صاحِبٌ مِن أهلِ الإيمانِ في الدُّنيا.
ولا تَنافِيَ بيْن كلامِ مُجاهِدٍ وابنِ عبَّاسٍ؛ فإنَّ الشَّيطانَ يكونُ مِن الجِنِّ، فيُوسوِسُ في النَّفْسِ، ويكونُ مِن الإنسِ فيَقولُ كلامًا تَسمَعُه الأُذُنانِ، وكِلاهما مُتعاوِنانِ).
((تفسير ابن كثير)) (15/7).
وقيل: المرادُ به صاحِبُ الجنَّتينِ الَّذي قصَّ اللهُ خبرَه في سورةِ الكَهفِ.
وممَّن قال بهذا المعنى: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والواحديُّ، والقُرطبيُّ.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (607/3)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 909)، ((تفسير القرطبي)) (82/15).
(155) اختلف في قائل: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنه قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه.
والثاني: أنه قول الملائكة لأهل الجنة.
والثالث: أنه قول الله – عز وجل – لأهل الجنة.
وذَهَبَ ابنُ القيم (٢/ ٣٦٨) إلى أنّ القول الأول هو الصحيح وأظهر الأقوال؛ لدلالة السياق.
وبيَّن ابنُ عطية (٧/ ٢٨٧) أن القول الأول يحتمل أن يكون المخاطَب بـ ﴿أنتم﴾ فيه: الملائكة، أو رفقاؤه في الجنة، أو خَدَمَته.

فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55).

أي: فاطَّلعَ المؤمِنُ في النَّارِ فرأى قَرينه الكافِرَ يُعذَّبُ في وَسَطِ الجَحيمِ.

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56).

أي: قال المؤمِنُ لَمَّا رأى قَرينَه الكافِرَ في النَّارِ: تاللهِ لقد أوشَكْتَ أن تُهلِكَني بمُحاوَلةِ صَرفِك لي عن الإيمانِ بالبَعثِ والجَزاءِ.

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57).

أي: ولولا أنَّ رَبِّي أنعَمَ علَيَّ بالهدايةِ إلى الحَقِّ والثَّباتِ عليه، لَكُنتُ مِنَ المُحضَرينَ معك في النَّارِ!

أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59).

أي: قال المُؤمِنُ لأهلِ الجنَّةِ مُغتَبِطًا مَسرورًا بنِعمةِ اللهِ عليهم بالخُلودِ فيها أبدًا: ألَنْ نموتَ مَوتةً أُخرى غيرَ مَوتَتِنا الأُولى الَّتي كانت في الدُّنيا، ولن نكونَ مِن المُعَذَّبينَ في النَّارِ؟!

كما قال تعالى: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [الدخان: 56، 57].

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60).

أي: إنَّ الخُلودَ في الجنَّةِ والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ لَهُوَ الفوزُ العَظيمُ.(156)

كما قال تعالى: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61).

أي: فلْيَعمَلِ العامِلونَ في الدُّنيا مِنَ الصَّالحاتِ؛ لِيَنالوا مِثلَ هذا النَّعيمِ، والفَوزِ العَظيمِ.(157)

(156) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٨٩): «قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إلى قوله: ﴿فليعمل العاملون﴾ يحتمل أن يكون من خطاب المؤمن لقرينه.

وإليه ذهب قتادة.

ويحتمل أن يكون من خطاب الله تعالى لمحمد – ﷺ – وأمته، ويَقْوى هذا؛ لأن قول المؤمن: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾، والآخرة ليست بدار عمل يُقْلِقُ إلا على تجوُّز، كأنه يقول: لمثل هذا كان ينبغي أن يعمل العاملون».

(157) قال القرطبي: (يحتمِلُ أن يكونَ مِن كلامِ المؤمِنِ...

ويحتمِلُ أن يكونَ مِن قَولِ الملائكةِ.

وقيل: هو مِن قَولِ الله عزَّ وجلَّ لأهلِ الدُّنيا).

((تفسير القرطبي)) (84/15).

ويُنظر: ((تفسير الألوسي)) (91/12).

وممَّن قال بأنَّه مِن كلامِ الله تعالى: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والفَرَّاءُ، وابنُ جرير، والواحديُّ، والبغوي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (608/3، 609)، ((معاني القرآن)) للفراء (385/2)، ((تفسير ابن جرير)) (551/19)، ((الوسيط)) للواحدي (526/3)، ((تفسير البغوي)) (32/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (120/23).

وممَّن قال بأنَّه مِن كلامِ المؤمِنِ: الزمخشريُّ، والشوكانيُّ.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (45/4)، ((تفسير الشوكاني)) (456/4).

كما قال تعالى: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [الكهف: 46].

وقال سُبحانَه: وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [المطففين: 26].

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (62–74)

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ
فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ
مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ
(68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ
أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ
(73) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

نُزُلًا: النُّزُلُ: ما يُعَدُّ للنَّازِلِ مِن ضَيفٍ وغيرِه، ومعناه في الأصلِ: الطَّعامُ الَّذي يَصلُحُ أن يَنزِلوا معه ويُقيموا فيه، والنُّزُلُ: الرِّزقُ الَّذي له سَعةٌ، وأصلُ (نزل): يدُلُّ على هُبوطِ شَيءٍ ووُقوعِه.

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ: الزَّقُّومُ: قيل: هو ثَمَرُ شَجرةٍ مُرَّةِ الطَّعمِ جِدًّا، يُكرَهُ أهلُ النَّارِ على تَناوُلِه، مِن قَولِهم: تَزقَّمَ هذا الطَّعامَ: إذا تَناوَلَه على تَكَرُّهٍ ومَشَقَّةٍ شَديدةٍ، وقيل: زَقُّومٌ: فَعُّولٌ مِنَ الزَّقْمِ، أي: اللَّقْمِ الشَّدِيدِ، والشُّربِ المُفْرِطِ، وأصلُ (زقم): يدُلُّ على جِنسٍ مِن الأكلِ.

فِتْنَةً: الفِتنةُ تُطلَقُ على العذابِ، وعلى الاختبارِ والامتحانِ، وتُطلَقُ أيضًا على الضَّلالِ والشِّرْكِ والكُفرِ، وأصْلُ (فتن): يدُلُّ على اختِبارٍ وابتِلاءٍ، مأخوذةٌ مِن الفَتْنِ: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لِتَظهَرَ جَودتُه مِن رداءتِه.

أَصْلِ الجَحِيمِ: أي: قَعْرِ النَّارِ، وأصلُ (أصل): يدُلُّ على أساسِ الشَّيءِ.

طَلْعُهَا: أي: ما يَطلُعُ منها، وهو الثَّمَرُ، وسُمِّي طَلْعُ النَّخلةِ طَلْعًا؛ لطُلوعِه كُلَّ سَنةٍ، وأصلُ (طلع): يدُلُّ على ظُهورٍ وبُروزٍ.

لَشَوْبًا: أي: لَخَلْطًا ومِزاجًا، والشَّوبُ: الخَلطُ العامُّ في كُلِّ شَيءٍ، وكُلُّ شَيءٍ خلَطْتَه بشَيءٍ فقد شِبتَه به، وأصلُ (شوب): يدُلُّ على خَلطٍ.

حَمِيمٍ: الحَميمُ: الماءُ الشَّديدُ الحَرارةِ، وأصلُ (حمم): يدُلُّ على حَرارةٍ.

أَلْفَوْا: أي: وَجَدوا، وأصل (لفا): يَدُلُّ على انكشافِ شَيءٍ وكَشْفِه.

آثَارِهِمْ: أي: سُنَّتِهم وطَريقتِهم، وأثَرُ الشَّيءِ: حُصولُ ما يدُلُّ على وُجودِه، وأصلُ (أثر): يدُلُّ على رَسمِ الشَّيءِ الباقي.

يُهْرَعُونَ: أي: يُسرِعونَ، وأصلُ (هرع): يدُلُّ على حَرَكةٍ واضطِرابٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62).

أي: أذَلِك النَّعيمُ الَّذي أُعِدَّ للمُؤمنينَ في الجنَّةِ مِن المآكِلِ والمشارِبِ والمَلاذِّ: خَيرٌ ضِيافةً وفَضلًا أم ما أُعِدَّ لأهلِ النَّارِ مِن شَجَرةِ الزَّقُّومِ؟![158]

كما قال تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ [الدخان: 43 - 46].

---

(158) قال السمعاني: (اختلفوا في هذه الشَّجَرةِ؛ فالأكثَرونَ أنَّها شَجَرةٌ لا يُعرَفُ لها مِثلٌ في الدُّنيا.
وقال قُطْرُبٌ: هي شَجَرةٌ مُرَّةٌ خبيثةٌ تكونُ بتِهامةَ).
((تفسير السمعاني)) (4/401).
وقال ابنُ عطيَّة: (في بَعضِ البلادِ الجَدْبةِ المجاورةِ للصَّحارى شَجَرةٌ مُرَّةٌ مَسمومةٌ لها لَبَنٌ إنْ مَسَّ جِسمَ أحدٍ تورَّم، ومات منه في أغلَبِ الأمرِ؛ تُسمَّى شَجَرةَ الزَّقُّومِ، والتَّزَقُّمُ في كلامِ العَرَبِ: البَلعُ على شِدَّةٍ وجَهدٍ...
اختلَفَ النَّاسُ في معناه؛ فقالت فِرقةٌ: شُبِّه بثَمَرِ شَجرةٍ مَعروفةٍ يُقالُ لها: رؤوسُ الشَّياطينِ، وهي بناحيةِ اليَمَنِ يقالُ لها: الأَسْتَنُ).
((تفسير ابن عطية)) (4/475).
وقال ابنُ كثير: (يحتمِلُ أن يكونَ المرادُ بذلك شَجرةً واحدةً مُعَيَّنةً، كما قال بعضُهم من أنَّها شَجرةٌ تمتدُّ فُروعُها إلى جميعِ محالِّ جهنَّم...
وقد يحتمِلُ أن يكونَ المرادُ بذلك جِنسَ شَجرٍ يُقالُ له: الزَّقُّومُ، كقَولِه تعالى: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ [المؤمنون: 20]، يعني: الزَّيتونةَ، ويُؤيِّدُ ذلك قولُه تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ [الواقعة: 51، 52]).
((تفسير ابن كثير)) (7/18).

وقال اللهُ سُبحانَه وتعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ [الواقعة: 51 – 56].

إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63).

أي: إنَّا جعَلْنا تلك الشَّجَرةَ عذابًا في الآخرةِ للظَّالِمينَ أنفُسَهم بالشِّرْكِ والتَّكذيبِ، وابتلاءً لهم في الدنيا.

كما قال تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا [الإسراء: 60].

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64).

أي: إنَّ شَجَرةَ الزَّقُّومِ شَجَرةٌ تَنشَأُ وتُوجَدُ في قَعرِ النَّارِ.

طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65).

أي: ثَمَرُ هذه الشَّجَرةِ يُشبِهُ في القُبحِ والبَشاعةِ رُؤوسَ الشَّياطينِ.(159)

---

(159) اختُلِف في معنى قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: شُبِّهَ طلعها بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها، وإن كانت لم تُرَ.

والثاني: شُبِّهَ طلعها بنوع من الحيّات رؤُوسها بشعة المنظر.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها في حديثِ سِحرِ لَبيدِ بنِ الأعصَمِ النَّبيَّ - ﷺ -في مُشْطٍ ومُشاقَةٍ،[160] وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ،[161] في بِئرِ ذَرْوانَ، فخرَج إليها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثمَّ رَجَع، فقالَ لعائشةَ حينَ رجَع: ((نَخْلُها كأنَّه رُؤوسُ الشَّياطينِ))، ثمَّ دُفِنَت البِئرُ.[162]

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66).

أي: سيأكُلُ المُشرِكونَ مُضطَرِّينَ مُكرَهينَ مِن تلك الشَّجَرةِ رغْمَ خُبثِها وقُبحِها، فيَملؤونَ منها بُطونَهم.

كما قال تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ [الواقعة: 51 - 53].

والثالث: شُبِّهَ طلعها بجنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة.

ذكر الأقوال الثلاثة ابنُ جرير (١٩/ ٥٥٣)، وابنُ عطية (٧/ ٢٩٠ - ٢٩٢)، وكذلك ابنُ كثير (١٢/ ٢٦) لكنه استَدْرَكَ على القولين الثاني والثالث، بقوله: «وفي هذين الاحتمالين نظر».

ثم اختارالقول الأول، فقال: «والأول أقوى وأولى».

ولم يذكر مستندًا.

(160) المُشطُ: واحِدُ الأمشاطِ؛ وهو الآلةُ الَّتي يُمشَطُ بها الشَّعرُ.

والمُشاقَةُ: ما يُستخرَجُ مِن الكَتَّانِ عندَ تسريحِه.

وفي روايةٍ: «ومُشاطَةٍ»، وهي ما يُمشطُ مِن الشَّعرِ ويخرجُ في المُشطِ منه.

وقيل: المُشاقةُ بمعنى المُشاطة.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (188/1)، ((شرح القسطلاني)) (291/5).

(161) هو: وِعاءُ طَلعِ النَّخلِ وغِشاؤُه إذا جَفَّ.

وأراد بالذَّكَرِ فَحْلَ النَّخلِ.

يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (291/5)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3795/9).

(162) رواه البخاري (3268).

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67).

أي: ثمَّ إنَّ لهم على ما يَأكُلونَ مِن شَجَرةِ الزَّقُّومِ لَخَلْطًا مِن شَرابٍ في غايةِ الحَرارةِ.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ [يونس: 4].

وقال سُبحانَه: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ [محمد: 15].

وقال تبارك وتعالى: فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ [الواقعة: 54، 55].

ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68).

أي: ثمَّ إنَّ مَرجِعَ المُشرِكِينَ بعدَ الأكلِ مِن الزَّقُّومِ وشُربِ الحَميمِ لَإِلَى الجَحيمِ.(163)

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69).

أي: إنَّهم وَجَدوا آباءَهم ضالِّينَ عن الحَقِّ.

فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70).

---

(163) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٩٢): «قوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم﴾ يحتمل أن يكون لهم انتقال أجساد في وقت الأكل والشرب، ثم يرجعون إلى معظم الجحيم وكثرته، ذكره الرماني وشبَّهه بقوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ [الرحمن: ٤٤].

ويحتمل أن يكون الرجوع إنما هو من حال ذلك الأكل المعذب إلى حال الاحتراق دون أكل.

وبكل احتمالٍ قيل».

أي: فهم مَدفوعونَ للإسراعِ والمُبادَرةِ بقُوَّةٍ في الاقتِداءِ بهم، واتِّباعِ ضَلالِهم بغيرِ دَليلٍ ولا بُرهانٍ؛ فلذا استَحَقُّوا ذلك العَذابَ.

كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ [الزخرف: 23، 24].

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71).

أي: ولقد ضَلَّ عن الحَقِّ قبْلَ مُشْرِكي قُرَيشٍ أكثَرُ الأُمَمِ الماضيةِ، فعَبَدوا غيرَ اللهِ.

كما قال تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ [يس: 60 – 62].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72).

أي: ولقد أرسَلْنا في الأُمَمِ الماضيةِ رُسُلًا يُنذِرونَهم عذابَ اللهِ على كُفرِهم.

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73).

أي: فانظُرْ(164) كيف كان آخِرُ أمرِ مُشرِكي الأُمَمِ الماضيةِ الَّذين كَفَروا وكَذَّبوا برُسُلِهم، ولم ينتَفِعوا بإنذارِهم؟(165)

كما قال تعالى: كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [يونس: 39].

وقال سُبحانَه: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [الزخرف: 25].

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74).

---

(164) قال ابنُ عادل: (هذا الخِطابُ وإن كان ظاهِرُه مع الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلَّا أنَّ المقصودَ منه خِطابُ الكُفَّارِ؛ لأنَّهم سَمِعوا بالأخبارِ ما جَرى على قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثمودَ وغَيرِهم مِن أنواعِ العَذابِ؛ فإنْ لم يَعلَموا ذلك فلا أقَلَّ مِن ظنٍّ وخَوفٍ يحتمِلُ أن يكونَ زاجِرًا لهم عن كُفرِهم).

((تفسير ابن عادل)) (317/16).

وأصله عند ((تفسير الرازي)) (338/26).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (128/23).

(165) قال ابنُ عاشور: (فالمعنى: فانظُرْ كيف كان عاقِبةُ الضَّالِّينَ الَّذين أنذَرْناهم فلم يَنتَذِروا، كما فَعَل هؤلاء الَّذين ألْفَوْا آباءَهم ضالِّينَ فاتَّبَعوهم؛ فقد تحقَّق اشتِراكُ هؤلاء وأولئك في الضَّلالِ؛ فلا جَرَمَ أن تكونَ عاقِبةُ هؤلاء كعاقبةِ أولئك).

((تفسير ابن عاشور)) (129/23).

وقال ابن عثيمين: (قال: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ، ولم يقل: «ماذا كان»، أي: انظُرْ إلى الكيفيَّةِ وإلى الغاية... لِتَستفيدَ بهذا النَّظَرِ شِدَّةَ العقوبةِ ومُلاءمتَها للذَّنبِ؛ لأنَّ اللهَ قال: فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ... [العنكبوت: 40]، أي: إنَّ عُقوبتَه مُلائِمةٌ لذَنْبِه).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 166).

أي: إلَّا عبادَ اللهِ الَّذين أخلَصَهم اللهُ تعالى له، واستَخلَصَهم مِنَ الكُفرِ، واختارَهم لرَحمتِه، فآمَنوا باللهِ ورُسُلِه، وأخلَصوا له أعمالَهم؛ فإنَّهم نَجَوا مِنَ الهلاكِ والعذابِ الَّذي حلَّ بقومِهم المُنذَرين.

كما قال تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ [الأعراف: 64].

وقال سُـــبحانَه: وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ [هود: 58].

وقال عزَّ وجَلَّ: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـــالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ [هود: 66].

وقال تبارك وتعالى: وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا [هود: 94].

وقال جلَّ جَلالُه: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ [القمر: 33 – 35].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ الْمُخْلِصِينَ بكَسرِ اللَّامِ: اسمُ فاعِلٍ مِن (أخلَصَ)، بمعنى: أنَّهم أخلَصوا لله دينَهم وأعمالَهم مِنَ الشِّركِ والرِّياءِ؛ فصارت لله تعالى وَحْدَه دونَ ما سِواه.[166]

2- قراءةُ الْمُخْلَصِينَ بفَتحِ اللَّامِ: اسمُ مَفعولٍ مِن (أخلَصَ)، بمعنى: أنَّ الله أخلَصَهم؛ فصاروا مُخلَصينَ.[167]

(166) قرأ بها ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (14/68)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 358).

(167) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (14/68)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 359).

وقد ذكَر ابنُ عثيمينَ أنَّ إخلاصَهم هم، وإخلاصَ الله لهم متلازمانِ.

((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 169).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (75–82)

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79)
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75).

أي: ولقد دعانا نوحٌ أن نُهلِكَ قَومَه المُشرِكينَ، فأجَبْنا دُعاءَه فأهلَكْناهم؛ فلَنِعْمَ المجيبونَ نحنُ!

كما قال تعالى: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ... [الأنبياء: 76].

وقال سُبحانَه: قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ [المؤمنون: 26].

وقال جلَّ جلالُه: فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ [القمر: 10].

وقال تبارك وتعالى: وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا [نوح: 26 – 28].

وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76).

أي: ونجَّيْنا نوحًا وأهلَه المُؤمنينَ مِن الغَمِّ الشَّديدِ العَظيمِ.

كما قال تعالى: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [الأنبياء: 76، 77].

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77).

أي: وجعَلْنا ذُرِّيَّةَ نُوحٍ بعدَ إغراقِ قَومِه هم الباقِينَ في الأرضِ؛ فجَميعُ الأُمَمِ مِن نَسْلِه.(168)

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78).

أي: وأثنَيْنا على نُوحٍ، وأنعَمْنا عليه بالذِّكرِ الجَميلِ، والثَّناءِ الباقي في الَّذين يأتُونَ مِن بَعدِه.

سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79).

أي: سلامٌ على نوحٍ وثناءٌ حسَنٌ ثابتٌ في العالَمينَ، فلا يُذكَرُ بسُوءٍ، بل يُثْنونَ عليه ثناءً حسَنًا، ويُسلِّمون عليه، ويَدْعون له.

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80).

أي: مِثلَ هذا الجزاءِ الَّذي جازَيْنا به نُوحًا -لأنَّه كان مِنَ المُحسِنينَ- نَجزي كلَّ مَن كان مُحسِنًا.

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81).

أي: إنَّ نُوحًا مِن عِبادِنا المؤمِنينَ باللهِ، فوحَّدُوا اللهَ تعالى، وأخلِصوا في عبادتِه وَحْدَه لا شَريكَ له.

---

(168) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح، وهو ما ذكره ابنُ عطية (٧/ ٢٩٣ – ٢٩٤)، ثم نقل أنّ فرقة قالت: إن الله تعالى أبقى ذرية نوح، ومد نسله، وبارك فيه، وليس الأمرُ أنّ أهل الأرض انحصروا إلى نسله، بل في الأمم من لا يرجع إليه.
ثم قال: «والأول أشهر عند علماء الأمة، وقالوا: نوحٌ هو آدم الأصغر».

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ (82).

أي: ثمَّ أغرَقْنا قومَ نُوحٍ الكافِرينَ.(169)

(169) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٩٥) أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ يقتضـــي أنّه أغرق قومَ نوح وأُمَّته ومُكَذِّبيه، وأنه ليس في ذلك نصٌّ على أنّ الغرق عمَّ جميعَ أهل الأرض، ثم قال: «ولكن قد قال به جماعة من العلماء، وأُسـندت به أحاديث أنه لم يبق إلا مَن كان معه في الســفينة، وعلى هذا يترتب القول بأن الناس اليوم من ذريته، وقالوا: لم يكن الناس حينئذ بهذه الكثرة؛ لأن عهد آدم -عليه السـلام- كان قريبًا، وكانت دعوة نوح -عليه السـلام- ونبوءته قد بلغت جميعَهم لطول المدة واللّبث فيهم، فكان الجميعُ كفرةً عبَدَة أوثان، لم ينسبهم الحق إلى نفسه، فلذلك أغرق جميعهم».

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (83–98)

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا
تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ
نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا
إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا
ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)

غَريبُ الكَلِماتِ:

شِيعَتِهِ: أي: أتْباعِه وأهلِ مِلَّتِه ودِينِه ومِنهاجِه، مأخوذٌ مِن الشَّياعِ: وهو الانتِشارُ والتَّقْوِيةُ، وأصلُ (شيع): يَدُلُّ على مُعاضَدةٍ.

أَئِفْكًا: أي: كَذِبًا، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ وصَرفِه عن جِهتِه.

سَقِيمٌ: أي: وَجِعٌ مَريضٌ، وأصلُ (سقم): يدُلُّ على مَرَضٍ.

فَرَاغَ: أي: مال في خُفيةٍ، وأصلُ (روغ): يدُلُّ على مَيلٍ.

يَزِفُّونَ: أي: يُسرِعونَ، وأصلُ (زفف): يدُلُّ على خِفَّةٍ في كُلِّ شَيءٍ.

تَنْحِتُونَ: أي: تَصنَعونَ، والنَّحتُ: النَّجْرُ والبَرْيُ، وأصل (نحت): يدُلُّ على نَجرِ شَيءٍ وتَسويته.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83).

أي: وإنَّ مِن أتْباعِ نُوحٍ وأهلِ دينِه، وعلى طريقتِه ومِنهاجِه: إبراهيمَ –عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ.(170)

إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84).

أي: حينَ جاء إبراهيمُ ربَّه –الَّذي أحسَنَ تَربيتَه(171) – بقَلبٍ مُخلِصٍ لله، سَليمٍ مِنَ الشِّركِ والشَّكِّ، والشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ، ومَساوي الأخلاقِ؛ كالغِلِّ، والحِقدِ، والحَسَدِ.(172)

---

(170) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٩٥): «قال الطبريُّ وغيرُه عن الفراء: الضمير عائد على محمد – ﷺ –، والإشارة إليه.
وذلك كله محتمل؛ لأن الشيعة معناها: الصنف الشائع الذي يشبه بعضه بعضًا.
والشِّيَع: الفرق.
وإن كان الأعرف أن المتأخر في الزمن هو شيعة للمتقدم، ولكن قد يجيء من الكلام عكس ذلك».

(171) قيل: يحتمِلُ مجيئُه إلى رَبِّه وجهَينِ؛ أحدُهما: عندَ دعائِه إلى توحيدِه وطاعتِه.
الثَّاني: عندَ إلقائِه في النَّارِ.
يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (91/15).
ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عثيمين– سورة الصافات)) (ص: 192).
قال ابن جزي: (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ عبارةٌ عن إخلاصِه وإقبالِه بكلِّيتِه على الله تعالى، وليس المرادُ المجيءُ بالجسدِ).
((تفسير ابن جزي)) (193/2).

(172) قال الزَّمخشـري: (فإنْ قُلتَ: بمَ تعلَّق الظَّرفُ؟ قُلتُ: بما في الشِّـيعةِ مِن معنى المُشـايَعةِ، يعني: وإنَّ ممَّن شـايَعَه على دينِه وتَقْواه حينَ جاء رَبَّه بقَلبٍ سليمٍ: لَإبراهيمَ.
أو بمحذوفٍ، وهو: اذكُرْ).
((تفسير الزمخشري)) (48/4).
وممَّن اختار نحوَ القولِ الأوَّلِ: الرَّازي، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير الرازي)) (340/26)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (252/16).

كما قال اللهُ تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: 88، 89].

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85).

أي: حينَ قال إبراهيمُ لأبيه وقومِه الَّذين يَعبُدونَ الأصنامَ: ما هذا الَّذي أنتم تُواظِبون على عبادتِه؟!

كما قال اللهُ تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الأنبياء: 52 – 54].

وقال عزَّ وجلَّ: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ [الشعراء: 70 – 77].

وممَّن رجَّح القولَ الثَّانيَ -وهو أنَّ إذْ مُتعلِّقةٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: اذكُرْ-: الشوكانيُّ، والألوسي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (460/4)، ((تفسير الألوسي)) (97/12)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 191، 192).

أَئِفْكًا آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86).

أي: أتُريدونَ صَرْفَ الحَقِّ عن وَجهِه الصَّحيحِ، باتِّخاذِكم مَعبودًا مِن دونِ اللهِ، الَّذي لا يَستَحِقُّ العبادةَ أحَدٌ سِواه؟!

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الأنعام: 74].

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87).

أي: قال إبراهيمُ لِقَومِه: فما الَّذي تَظُنُّونَ أنَّ اللهَ فاعِلٌ بكم إذا لَقِيتُموه وقد عَبدتُم غَيرَه؟! وما الَّذي ظَنَنتُم به مِنَ السُّوءِ والنَّقصِ حتَّى أحوَجَكم ذلك إلى أنْ تجعَلوا له شُرَكاءَ مِن خَلْقِه؟!

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88).

أي: فنَظَرَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ نَظرةً في النُّجومِ؛ موهِمًا لقومِه -وكانوا أهلَ تَنجيمٍ- أنَّه يَعتمِدُ عليها، ومُظهِرًا لهم أنَّه يَستدِلُّ بها على شَيءٍ.

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89).

أي: فقال إبراهيمُ لِقَومِه بعدَ أنْ نظَرَ نَظرةً في النُّجومِ: إِنِّي مريضٌ؛ لِيَتركوه وَحْدَه، فيَتِمَّ له تنفيذُ ما أراد مِن الكَيدِ لأصنامِهم.(173)

---

(173) اختُلِف في قوله: ﴿إني سقيم﴾ على قولين: الأول: أنها كذبة في ذات الله.

وعلى هذا التأويل يأتي حديث النبي - ﷺ -: «ما كذب إبراهيم غير ثلاث كذبات».

والثاني: أنها مِن المعاريض، ولا يجوز الكذب عليه.

وعلى هذا قيل: أراد إني سقيم النفس، أي: من أموركم وكفركم، فظهر لهم من كلامه أنه أراد سقمًا بالجسد حاضرًا، وهكذا هي المعاريض.

واختار ابنُ جرير (١٩/ ٥٦٩) القولَ الأول، واسْتَدْرَكَ على الثاني بقوله: «الخبر عن رسول الله - ﷺ - بخلاف هذا القول، وقول رسول الله - ﷺ - هو الحق دون غيره».

واختار ابنُ تيمية (٥/ ٣٤٨) الثاني، حيث علَّقَ على مقالات إبراهيم - عليه السلام - الثلاث الواردة في الحديث بقوله: «وهذه الثلاثة معاريض».

والظاهر مِن كلام ابن عطية (٧/ ٢٩٧) أنه يميل إلى الثاني، حيث قال مُعَلِّقًا مستندًا إلى الدلالة العقلية: «وهذا التأويل لا يرده الحديث وذكر الكذبات؛ لأنه قد يقال لها: كذب.

على الاتساع بحسب اعتقاد المخبر، والكذب الذي هو قصد قول الباطل، والإخبار بضد ما في النفس بغير منفعة شرعية، هو الذي لا يجوز على الأنبياء».

وبنحوه قال ابنُ كثير (١٢/ ٣٣ - ٣٤)، ولم يذكر مستندًا.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -قال: ((لم يَكذِبْ إبراهيمُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ قَطُّ إلَّا ثلاثَ كَذَباتٍ:[174] ثِنتينَ في ذاتِ اللهِ؛ قَولُه: إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات: 89]، وقَولُه: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا [الأنبياء: 63]، وواحِدةً في شأنِ سارةَ)).[175]

---

(174) اختُلِف في قولِه: إِنِّي سَقِيمٌ؛ فقيل: أي: سأسْقَمُ.

وممَّن اختاره: ابنُ قُتَيبةَ، والسمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي، وجلال الدين المحلي.

يُنظر: ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 202)، ((تفسير السمرقندي)) (3/145)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 911)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: 321)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 593).

قال القرطبي: (فالمعنى: إنِّي سَقيمٌ فيما أستقبِلُ، فتَوَهَّموا هم أنَّه سقيمٌ السَّاعة، وهذا مِن معاريضِ الكلامِ).

((تفسير القرطبي)) (15/93).

واسمُ الفاعلِ يُستعمَلُ بمعنَى المُستقبَلِ كثيرًا، قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ [الزمر: 30] أي: ستَمُوتُ، ولقد صَدَق عليه السَّلامُ؛ فإنَّ كُلَّ إنسانٍ لا بُدَّ أن يَسقَمَ.

يُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (8/573)، ((فتح الباري)) لابن حجر (6/391).

وقيل: أراد أنَّه سَقيمُ القَلبِ لِكُفرِهم، فظهَرَ لهم مِن كلامِه أنَّه أراد سقمًا بالجسدِ حاضرًا، فهذا مِن المَعاريضِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/478).

قال البِقاعي: (أوْهَمَ أنَّ مُرادَه أنَّه مريضُ الجسَدِ، وأراد أنَّه مريضُ القلبِ بسببِ آلهتِهم، مُقسَّمُ الفِكرِ في أمرِهم؛ لأنَّه يريدُ أمرًا عظيمًا، وهو كَسْرُها).

((نظم الدرر)) (16/254).

قال ابنُ جُزَي بعدَ ذِكرِ هذَينِ القولَينِ -أي: أنَّه سقيمٌ فيما يُستقبَلُ، أو أنَّه سقيمُ النَّفْسِ-: (وهذان التَّأويلانِ أَوْلى؛ لأنَّ نَفيَ الكذِبِ بالجملةِ مُعارِضٌ للحديث، والكذبَ الصُّراحَ لا يجوزُ على الأنبياءِ عندَ أهلِ التَّحقيقِ، أمَّا المَعاريضُ فهي جائزةٌ).

((تفسير ابن جزي)) (2/194).

وقيل: أوهَمَهم أنَّه مطعونٌ، أي: به مرضُ الطَّاعونِ، فخافوا منه، وتَباعَدوا عنه.

وممَّن اختار هذا القولَ: الفَرَّاءُ، وابنُ جرير، والزَّجَّاجُ، ونسَبَه الواحديُّ لأكثَرِ المفسِّرينَ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (2/388)، ((تفسير ابن جرير)) (19/566)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/308)، ((البسيط)) للواحدي (19/71).

وقيل غيرُ ذلك.

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90).

أي: فانصَرَف قَومُ إبراهيمَ عنه وخَلَّفوه وراءَ ظُهورِهم، بحيثُ لا يَرَونَه.(176)

يُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (8/573)، ((تفسير الماوردي)) (5/56)، ((فتح الباري)) لابن حجر (6/391)، ((تفسير الألوسي)) (12/98).

قال الواحدي: (قال المفسِّرون: كانوا يَتعاطَون عِلمَ النُّجومِ، فعامَلَهم مِن حيث كانوا؛ لئلَّا يُنكِروا عليه؛ وذلك أنَّه أراد أن يُكايدَهم في أصنامِهم ليُلزِمَهم الحُجَّةَ في أنَّها غيرُ معبودةٍ، وكان لهم مِن الغَدِ يومٌ يَخرُجون إليه، فأراد أن يَتخلَّفَ عنهم، فاعتلَّ بالسَّقَمِ).

((الوسيط)) (3/528).

قال الألوسي: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ...

أوهَمهم أنَّه تفكَّر في أحوالِها مِن الاتِّصالِ والتَّقابُلِ ونَحوِهما مِن الأوضاعِ الَّتي تدُلُّ بزَعمِهم على الحوادِثِ؛ لِيُرتِّبَ عليه ما يَتوصَّلُ به إلى غرَضِه الَّذي يكونُ وَسيلةً الى إنقاذِهم ممَّا هم فيه، والظَّاهِرُ بعدَ اعتبارِ الإيهامِ أنَّه إيهامُ التَّفكُّرِ في إحكامِ طالعِ ولادتِه عليه السَّلامُ، وما يدُلُّ عليه بزَعمِهم ما تجدَّد له مِن الأوضاعِ في ذلك الوَقتِ، وهذا مِن معاريضِ الأفعالِ نَظيرُ ما وقَعَ في قصَّةِ يوسُفَ عليه السَّلامُ مِن تفتيشِ أوعيةِ إخوتِه بني عَلَّاتِه قبْلَ وِعاءِ شَقيقِه؛ فإنَّ المُفتِّشَ بدأ بأوعيتِهم مع عِلمِه أنَّ الصَّاعَ ليس فيها، وأخَّرَ تفتيشَ وِعاءِ أخيه مع عِلمِه بأنَّه فيها؛ تعريضًا بأنَّه لا يَعرِفُ في أيِّ وِعاءٍ هو، ونَفْيًا للتُّهمةِ عنه لو بدأ بوعاءِ الأخِ).

((تفسير الألوسي)) (12/98).

وقال ابنُ عاشور: (لم يكُنْ في لُغةِ قَومِ إبراهيمَ التَّشبيهُ البليغُ، ولا المَجازُ، ولا التَّهكُّمُ؛ فكان ذلك عندَ قومِه كَذِبًا، وأنَّ اللهَ أذِنَ له فِعْلَ ذلك، وأعلَمَه بتأويلِه، كما أذِنَ لأيُّوبَ أن يأخُذَ ضِغثًا مِن عِصِيٍّ، فيَضرِبَ به ضَربةً واحِدةً لِيُبِرَّ قَسَمَه؛ إذ لم تكُنِ الكَفَّارةُ مَشروعةً في دينِ أيُّوبَ عليه السَّلامُ).

((تفسير ابن عاشور)) (23/143).

(175) رواه البخاري (3358)، ومسلم (2371) واللَّفظُ له.

(176) وذهب ابنُ جريرٍ إلى أنَّهم تَوَلَّوا عن إبراهيمَ مُدبِرين عنه؛ خَوفًا مِن أن يُعدِيَهم السَّقَمُ الَّذي ذَكَرَ أنَّه به.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/569).

وقيل: صِيغةُ التَّفَعُّلِ في قَولِه تعالى: فَتَوَلَّوْا تدُلُّ على استِبعادِهم مَرَضَه، إلَّا أنَّهم تركوه.

وممَّن قال بهذا المعنى: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (16/256).

فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91).

فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ.

أي: فحاد إبراهيمُ عن الخُروجِ مع قَومِه مُتوجِّهًا إلى أصنامِهم في سُرعةٍ وخُفيةٍ، بنَشاطٍ وهِمَّةٍ وخِفَّةٍ.(177)

كما قال اللهُ تعالى حاكيًا قَولَ إبراهيمَ: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ [الأنبياء: 57].

فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ.

أي: فقال مُخاطِبًا الأصنامَ: ألَا تأكُلونَ هذا الطَّعامَ الموضوعَ بينَ أيديكم؟!

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92).

أي: ما الَّذي يَمنَعُكم مِن أن تَنطِقوا؟!

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93).

---

(177) قال ابنُ جرير (١٩/ ٥٧٠) في بيان معنى ﴿فراغ﴾: «أرى أن أصل ذلك مِن قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلهتهم، كما قال عدي بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ ...
فع إلا المصادق النحرير.

يعني بقوله: «لا ينفع الرواغ»: الحياد.

أما أهل التأويل فإنهم فسروه بمعنى: فمال».

أي: فأقْبَلَ إبراهيمُ على الأصنامِ بسُرعةٍ ونَشاطٍ وهِمَّةٍ، يَضرِبُها بيَدِه اليُمنى بقُوَّةٍ وشِدَّةٍ.(178)

كما قال تعالى: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ [الأنبياء: 58].

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94).

أي: فأقْبَلَ قَومُ إبراهيمَ إليه وهم يُسرِعونَ في رَكضِهم.(179)

كما قال تعالى: قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ [الأنبياء: 59 – 62].

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95).

أي: قال إبراهيمُ لهم: أتَعبُدونَ أشياءَ أنتم تَنحِتونَها بأيديكم؟!

(178) قال ابنُ عطية (٧/ ٢٩٨): «اختُلِف في معنى قوله: ﴿باليمين﴾، فقال ابن عباس: أراد: يمنى يديه.
وقيل: أراد: بقوته؛ لأنه كان يجمع يديه معًا بالفأس.
وقيل: أراد: يمين القسم، في قوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ [الأنبياء: ٥٧]».
وبنحوه قال ابنُ جرير (١٩/ ٥٧١ – ٥٧٢).

(179) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٢٩٩) أن فرقة ذهبت إلى أن ﴿يَزِفُّونَ﴾ معناه: يتمهلون في مشيهم كزفاف العروس.
وعلَّق عليه بقوله: «والمعنى: أنهم كانوا على طمأنينة مِن أن ينال أحدٌ آلهتَهم بسوء؛ لعزتهم، فكانوا لذلك متمهلين».
ثم قال: «وزفّ بمعنى: أسرع.
هو المعروف».

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96).

أي: والحالُ أنَّ اللهَ خلَقَكم وخَلَقَ الَّذي تَعمَلونَه مِن أصنامِكم، فكيف تَعبُدونَها وهي مخلوقةٌ لا خالِقةٌ؟![180]

(180) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿وما تعملون﴾ على قولين: الأول: أنّ «ما» مصدرية، والمعنى: والله خلقكم وعملَكم.
والثاني: أنّ «ما» موصولة، والمعنى: والله خلقكم والذي تعملونه.
وزاد ابنُ عطية (٧/ ٢٩٩) قولين آخرين، وهما: الثالث: أنّ «ما» نافية، والمعنى: والله خلقكم وأنتم لا تعملون شـــيئًا في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيء.
والرابع: أنّ «ما» استفهاميّة.
وعلَّقَ ابنُ عطية (٧/ ٢٩٩) على القول الأول –وهو قول جماعة من المفســـرين–، فقال: «هذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وذلك موافق لمذهب أهل السنة في ذلك».
وعلَّقَ ابنُ جرير (١٩/ ٥٧٥) على القول الثاني بقوله: «معنى الكلام عند ذلك: واللهُ خلقكم والذي تعملونه، أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب، والنحاس، والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم، وهذا المعنى الثاني قصد –إن شاء الله– قتادة بقوله: ...
بأيديكم».
وبيَّن ابنُ كثير (١٢/ ٣٦ بتصرف) أنّ القولين الأول والثاني متلازمان، ولكنه مال إلى الأول، فقال: «كلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد ...
عن حذيفة مرفوعًا، قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته»».
ورجَّحَ ابنُ القيم (٢/ ٣٧٠ – ٣٧٣) القولَ الثانيَ اســـتنادًا إلى الســـياق، ونظائرها في القرآن، والدلالة العقلية، وانتَقَدَ القولَ الأولَ، قال ابنُ القيم: «ظن كثير من الناس أن قوله تعالى: ﴿واللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ﴾ أنها مصـــدرية، واحتجوا بها على خلق الأعمال، وليســـت مصـدرية، وإنما هي موصـــولة، والمعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه وتنحتونه من الأصــنام، فكيف تعبدونه وهو مخلوق لله، ولو كانت مصدرية لكان الكلام إلى أن يكون حجة لهم أقرب من أن يكون حجة عليهم؛ إذ يكون المعنى: أتعبدون ما تنحتون والله خلق عبادتكم لها؟ فأي معنى في هذا، وأي حجة عليهم؟ والمقصـود أنه كثيرًا ما تدخل إحداهما على الأخرى ويحتملها الكلام سواء.
والصواب أنها موصولة، وأنها لا تدل على صحة مذهب القدرية بل هي حجة عليهم مع كونها موصولة ...

فالله سبحانه أنكر عليهم عبادتهم الأصنام، وبين أنها لا تستحق العبادة، ولم يكن سياق الكلام في معرض الإنكار عليهم ترْك عبادته، وأن ما هو في معرض الإنكار عبادةُ من لا يستحق العبادة.

فلو أنه قال: لا تعبدون الله وقد خلقكم وما تعملون.

لتعينت المصدرية قطعًا، ولم يحسن أن يكون بمعنى: الذي؛ إذ يكون المعنى: كيف لا تعبدونه وهو الذي أوجدكم وأوجد أعمالكم، فهو المنعم عليكم بنوعي الإيجاد والخلق.

فهذا وِزان ما قرروه مِن كونها مصدرية.

فأما سياق الآية فإنه في معرض إنكاره عليهم عبادةَ مَن لا يستحق العبادة، فلا بُدَّ أن يبين فيه معنًى ينافي كونه معبودًا، فبيَّن هذا المعنى بكونه مخلوقًا له، ومَن كان مخلوقًا مِن بعض مخلوقاته فإنه لا ينبغي أن يُعْبَد ولا تليق به العبادة، وتأمل مطابقة هذا المعنى لقوله: ﴿والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] كيف أنكر عليهم عبادة آلهة مخلوقة له سبحانه وهي غير خالقة، فهذا يبين المراد من قوله: ﴿واللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ﴾، ونظيره قوله في سورة الأعراف [١٩٤]: ﴿إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أمْثالُكُمْ﴾ أي: هم عباد مخلوقون كما أنتم كذلك فكيف تعبدون المخلوق.

وتأمل طريقة القرآن لو أراد المعنى الذي ذكروه مِن حسن صفاته وانفراده بالخلق كقول صاحب يس: ﴿وما لِيَ لا أعبد الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢] فهنا لما كان المقصود إخبارهم بحسن عبادته واستحقاقه لها ذكر الموجب لذلك، وهي كونه خالقًا لعابده فاطرًا له، وهذا إنعام منه عليه؛ فكيف يترك عبادته؟! ولو كان هذا هو المراد من قوله: ﴿واللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ﴾ كان يقتضي أن يقال: ألا يعبدون الله وهو خالقهم وخالق أعمالهم.

فتأمله فإنه واضح».

ثم بيَّن كيف يستدل بالآية على خلق الله لأعمال العباد، فقال: «ووجه الاستدلال بها على هذا التقدير: أنّ الله سبحانه أخبر أنه خالقهم وخالق الأصنام التي عملوها، وهي إنما صارت أصنامًا بأعمالهم، فلا يقع عليها ذلك الاسم إلا بعد عملهم، فإذا كان سبحانه هو الخالقُ اقتضى صِحَّة هذا الإطلاق أن يكون خالقها بجملتها، أعني: مادتها وصورتها، فإذا كانت صورتها مخلوقة لله كما أنّ مادتها كذلك لزم أن يكون خالقًا لنفس عملهم الذي حصلت به الصورة؛ لأنه متولد عن نفس حركاتهم، فإذا كان الله خالقها كانت أعمالهم التي تولد عنها ما هو مخلوق لله مخلوقة له، وهذا أحسن استدلالًا وألطف من جعل» ما «مصدرية، ونظيره من الاستدلال سواء قوله: ﴿وآيَةٌ لَهُمْ أنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ وخَلَقْنا لَهُمْ مِن مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١ – ٤٢]، والأصح أن المثل المخلوق هنا هو السفن، وقد أخبر أنها مخلوقة، وهي إنما صارت سفنًا بأعمال العباد، ونظير هذا الاستدلال أيضًا قوله تعالى: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ ظِلالًا وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانًا وجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١] والسرابيل التي يلبسونها وهي مصنوعة لهم، وقد أخبر بأنه سبحانه هو جاعلها، وإنما صارت سرابيل بعملهم، ونظيره: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وجَعَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ الأنْعامِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٨٠] والبيوت التي من جلود الأنعام هي الخيام، وإنما صارت بيوتًا بعملهم.

فإن قلت: المراد من هذا كله المادة لا الصورة.

عن حُذيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((إنَّ اللهَ خلَقَ كُلَّ صانِعٍ وصَنْعته)).[181]

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97).

أي: قال قَومُ إبراهيمَ: ابنُوا له بُنيانًا[182] وأوقِدوا نارًا حتَّى تَشتَدَّ، فارمُوا إبراهيمَ فيها؛ جزاءً له على ما فَعَل بآلِهتِهم.

كما قال اللهُ تعالى: قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [الأنبياء: 68].

قلت: المادة لا تستحق هذه الأسماء التي أطلق الخلق عليها، وإنما تستحق هذه الأسماء بعد عملها وقيام صورها بها، وقد أخبر أنها مخلوقة له في هذه الحال.

والله أعلم.

فالأولى أن تكون» ما «موصولة، أي: والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم، فهي مخلوقة له، لا آلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معمولهم، وقد حله عملهم وصنعهم، ولا يقال:» المراد مادته «فإن مادته غير معمولة لهم، وإنما يصير معمولًا بعد عملهم».

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٥/ ٣٤٨ - ٣٥١)، وضعَّفَ القول الأول جدًّا، بل غلَّطه.

(181) أخرجه البزَّار (2837)، والحاكم (86)، والبيهقي في ((شُعَب الإيمان)) (187) واللَّفظُ له.

صحَّحه الحاكِمُ على شَرطِ مُسلمٍ، وصحَّحه أيضًا ابنُ عساكر في ((معجم الشيوخ)) (114/1)، وابنُ حجرٍ في ((فتح الباري)) (13/ 498)، والألبانيُّ في تخريج كتاب ((السنة)) (357)، ويُنظر: ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (1637).

وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (200/7): رجالُه رجالُ الصَّحيح.

(182) قيل: بُنْيَانًا عاليًا مُرتَفِعًا، وأوْقَدوا فيه النارَ، والمفسِّرونَ يَذْكرونَ مِن شدَّتِها وارتفاعِ لهبِها، وكثرةِ حطبِها شيئًا هائلًا.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 705)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (163/4).

وقيل: بنَوا له بُنيانًا يُشبِهُ التَّنُّورَ، ثمَّ نقلوا إليه الحطب، وأوْقَدوا عليه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (575/19).

وقيل: بل كان البُنيانُ للمَنْجَنِيقِ، الَّذي رُمِيَ عنه.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (195/2).

وقال سُبحانَه: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ [العنكبوت: 24].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: ((«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وقالها مُحمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم حينَ قالوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران: 173])).[183]

فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98).

أي: فأراد قَومُ إبراهيمَ أن يَمكُروا به، بتدبيرِ ما فيه هلاكُه، وبُطلانُ أمْرِه، وعلُوُّ أمْرِهم، وذلك بإحراقِه بالنَّارِ؛ فأنقذَه اللهُ تعالى منها، وأبطَلَ كَيْدَ قَومِه، وجعَلَهم هم الأذَلِّينَ المغلوبينَ.

كما قال تعالى: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ [الأنبياء: 69، 70].

(183) رواه البخاري (4563).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (99-113)

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا
وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ
وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)

غَريبُ الكَلِماتِ:

السَّعْيَ: أي: العَمَلَ والتَّصَرُّفَ وعَوْنَ أبيه، وأصلُ (سعي): يدُلُّ على المَشيِ السَّريعِ.

أَسْلَمَا: أي: استَسْلَما وفَوَّضا الأمرَ للهِ، وأصلُ (سلم): يدُلُّ على انقيادٍ.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ: أي: أضجَعَه على جَنْبِه على الأرضِ، والجَبينُ: جانِبُ الجَبهةِ، وللوَجهِ جبينانِ، والجَبهةُ بيْنَهما، فالجَبينُ غيرُ الجَبهةِ، والتَّلُّ هنا: الدَّفعُ والصَّرْعُ.

الْبَلَاءُ الْمُبِينُ: أي: الاختبارُ الظاهِرُ، وأصلُ البلاءِ: الاختبارُ والامتحانُ، وأصلُ (بين): انكِشافُ الشيءِ، يُقالُ: بانَ الشَّيءُ وأبانَ، إذا اتَّضح وانكشَف.

بِذِبْحٍ: أي: بكَبشٍ، والذِّبْحُ: اسمُ ما ذُبِحَ، فِعلٌ بمعنى مَفعولٍ، وأصلُ (ذبح): يدُلُّ على شَقِّ حَلقِ الحَيَواناتِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99).

أي: وقال إبراهيمُ لَمَّا نجَّاه اللهُ تعالى مِن كَيدِ قَومِه: إنِّي مُفارِقٌ قَومي وما هم عليه مِنَ الشِّركِ، إلى رَبِّي الَّذي خلَقَني، وهو المحسِنُ إلَيَّ، ومُدبِّرُ أمري، وهو سيَهديني إلى طَريقِ الصَّوابِ والخَيرِ والصَّلاحِ.(184)

كما قال اللهُ تبارك وتعالى: وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا [مريم: 48 – 50].

وقال سُبحانَه: إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: 26، 27].

---

(184) قال ابنُ جرير (١٩/ ٥٧٦ – ٥٧٧): «قال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم: ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ حين أرادوا أن يلقوه في النار».

وذكر أثر سليمان بن صرد السابق، ثم اختار القول الأول أنه قال ذلك حين أراد الهجرة مستندًا إلى النظائر، وقال: «إنما اخترت القول الذي قلت في ذلك لأن الله؟ ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه قال: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ [العنكبوت: ٢٦] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾؛ لأنه كقوله: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾».

وذَهَبَ إلى الأول أيضًا ابنُ عطية (٧/ ٣٠٠) مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «الأول أظهر في نمط الآية عما بعده؛ لأن الهداية معه تترتب، والدعاء في الولد كذلك، ولا يصح مع ذهاب الفناء».

وإلى ذلك أيضًا ذهب ابنُ كثير (١٢/ ٣٧).

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100).

أي: وقال إبراهيمُ: رَبِّ ارزُقْني صالِحِينَ مِن جملةِ الَّذين يُصلِحونَ في الأرضِ بطاعَتِك ولا يَعصُونَك؛ عِوَضًا عن قَومي الكافِرينَ الَّذين فارَقْتُهم.

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101).

أي: فبَشَّرْنا إبراهيمَ بأنَّه سيُولَدُ له ولَدٌ ذَكَرٌ، لا يَعْجَلُ بالعقوبةِ مع القدرةِ، فهو في غايةِ الرَّزانةِ والثَّباتِ.(185)

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102).

---

(185) اختُلِف في المراد بقوله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ على قولين: الأول: أنها البشارة المعروفة بإسحاق – عليه السلام –، وهو الذبيح على قول.

والثاني: أنها البشارة بإسماعيل – عليه السلام –، وهو الذبيح.

وسيأتي بيان كلام الأئمة، عند قوله تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ.

أي: فوُهِبَ له الغُلامُ المُبشَّرُ به -وهو إسماعيلُ عليه السَّلامُ-، فكَبِرَ وترَعْرَعَ حتَّى بلَغَ مع والِدِه السَّعيَ.(186)

قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ.

أي: قال إبراهيمُ لابنِه إسماعيلَ: يا بُنيَّ، إنِّي أرَى في النَّومِ أنَّني أذبَحُك؛ أمْرًا مِنَ اللهِ تعالى!(187)

فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى.

أي: فما الَّذي تَراه في شأنِ هذه الرُّؤيا الَّتي أخبَرْتُك بها؟

قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ.

أي: قال إسماعيلُ لأبيه إبراهيمَ: امتَثِلْ يا أبَتِ ما أمَرَك اللهُ به؛ طاعةً له، وانقيادًا إليه.

---

(186) ذكر ابنُ عطية (٧٨/ ٣٠١) أن «السَّعْيَ» في هذه الآية: العمل والعبادة والمعونة.
ثم قال: «هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد».
وساق القول بأن المراد: السعي على القدم.
الذي قال به قتادة، وما في معناه، وعلَّق عليه بقوله: «يريد: سعيًا متمكنًا.
وهذا في المعنى نحو الأول».
(187) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٠١) أن قوله: ﴿إِنِّي أرى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون رأى ذلك بعينه، ورؤيا الأنبياء وحي، وعُيّن له وقت الامتثال.
الثاني: أن يكون أُمر في نومه بذبحه، فعبر هو عن ذلك، أي: إني رأيت في المنام ما يوجب أن أذبحك.

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

أي: ستَجِدُني -إن شاء اللهُ- صابِرًا مِن جُملةِ الصَّابِرينَ على حُكمِ اللهِ وبَلائِه، فأحتَسِبُ أجْري عندَ اللهِ، ولا أجزَعُ مِن الذَّبحِ.

كما قال تعالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ [مريم: 54].

وقال اللهُ سُبحانَه: وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ [الأنبياء: 85].

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103).

فَلَمَّا أَسْلَمَا.

أي: فلَمَّا أسلَمَ إبراهيمُ وابنُه أمْرَهما إلى اللهِ تعالى، وانْقادَا لحُكمِه، ورَضِيَا بقَضائِه، واستعَدَّا لِتَنفيذِه.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ.

أي: ووضَعَ إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ بقوَّةٍ على الأرضِ على جانبِ جَبْهتِه -على هيئةِ ما يُرادُ ذبحُه-؛ لِيَذبَحَه.(188)

(188) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٠٥): «روي أن صفحة نحاس اعترضته بحرفها، والله أعلم كيف كان، فقد كثَّر الناس في القصص بما صحته معدومة».

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٠٣) أن قوله: ﴿لِلْجَبِينِ﴾ معناه: لتلك الجهة وعليها، كما يقولون في المثل: لليدين والفم، وكما تقول: سقط لشقه الأيسر، وأورد بيْت ساعدة بن جؤية:

وظل تليلًا للجَبِينَيْن

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105).

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا....

أي: ونادَيناه فقُلْنا له: يا إبراهيمُ، قد حقَّقتَ الرُّؤيا، فصدَّقتَ الأمرَ فيها، وعَمِلْتَ به حينَ أضجَعْتَ ابنَك لِذَبحِه.(189)

كما قال تعالى: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى [النجم: 37].

... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

أي: إنَّا كما جَزَينا إبراهيمَ ففرَّجْنا عنه كَرْبَه، كذلك نَجزي كُلَّ مَن كان مُحسِنًا، فنُنَجِّيه ممَّا هو فيه مِنَ الكُرَبِ والشَّدائِدِ.

ثم قال: «والجبينان: ما اكتنف الجبهة من هنا وهنا».
وانتقد ما جاء في بعض الآثار مِن أنّ التل للجبين معناه: ردّ الوجه نحو الأرض.
مستندًا إلى اللغة، فقال: «والتل للجبين ليس يقتضي أن الوجه نحو الأرض، بل هي هيئة مَن ذُبح للقبلة على جنبه».

(189) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٠٣ – ٣٠٤) أن قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يريد: بقلبك، على معنى: كانت عندك رؤياك صادقة وحقًّا من الله، فعملت بحسبها حين آمنت بها واعتقدت صدقها.
الثاني: أن يريد: صدقت بعملك ما حصل عن الرؤيا في نفسك، كأنه قال: قد وفيتها حقها من العمل.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106).

أي: إنَّ أمْرَنا إبراهيمَ بذَبحِ ابنِه لَهُوَ الاختِبارُ الشَّديدُ والمِحنةُ العَظيمةُ الَّتي تَبيَّنَ بها استِسلامُه لأمرِ اللهِ تعالى.(190)

كما قال تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ [البقرة: 124].

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107).

أي: وفَدَيْنا إسماعيلَ بكَبشٍ عَظيمٍ.(191)

---

(190) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٠٤ بتصرف): «قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ يحتمل أن يشير إلى ما في القصة مِن امتحان واختبار بالشدة، ويحتمل أن يشير إلى ما في القصة من سرور بالفدية، وإنقاذ من تلك الشدة في إنفاذ الذبح، فيكون البلاء بمعنى: النعمة ...

وإلى كل احتمال قد أشارت فرقةٌ من المفسرين».

وقال ابنُ كثير (١٢/ ٤٣): «استدل بهذه الآية والقصة جماعةٌ مِن علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن مِن الفعل، خلافًا لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة؛ لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله تعالى منقادًا لطاعته، ولهذا قال تعالى: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ [النجم: ٣٧]».

وبنحوه ابنُ عطية (٧/ ٣٠٥).

(191) قال ابن كثير (١٢/ ٤٠): «عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في تسمية الذبيح روايتان، والأظهر عنه إسماعيل».

اسْتَدْرَكَ ابنُ تيمية (٥/ ٣٥٣ بتصرف)، وابنُ كثير (١٢/ ٣٧) على هذا، فقال ابن تيمية: «بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام، وهذا افتراء؛ فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعُرِف ذلك الجبل، وربما جعل منسكًا كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر».

وقال ابنُ كثير: «قد ذهب جماعةٌ مِن أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأُخذ ذلك مُسَلَّمًا من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل».

اختُلِف في الذبيح المفْدِيّ من ولد إبراهيم، المُبَشَّر به في قوله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ على قولين: الأول: أنه إسحاق – عليه السلام –.

والثاني: أنه إسماعيل – عليه السلام –.

ورجَّحَ ابنُ جرير (١٩/ ٥٩٨ – ٥٩٩) القولَ الأولَ استنادًا إلى دلالة القرآن، ونظائره، والدلالة العقلية، فقال: «هو إسحاق؛ لأن الله قال: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ فإذ كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله –تبارك اسمه– قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال –جل ثناؤه–: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنيّ به إسحاق، كان بيّنًا أن تبشيره إياه بقوله: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن».

ورجَّحَ ابنُ عطية (٤/ ٦١١، ٧/ ٣٠١)، وكذا ابنُ تيمية (٥/ ٣٥٢ – ٣٥٣)، ومثلهما ابنُ كثير (٧/ ٤٥٣، ١٢/ ٣٧ – ٣٨) القولَ الثانيَ استنادًا إلى القرآن، والسنة، والدلالة العقلية، وانتَقَدَ الأخيران القول الأول بكلام طويل، ملخصه ما يلي:

١ – أنه بشره بالذبيح وذكر قصته أولًا، فلما استوفى ذلك قال: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين*وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ فبين أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق، وهذا بيّنٌ.

٢ – أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة، ولم يذكر أنّه الذبيح، ثم لَمّا ذكر البشارتين جميعًا: البشارة بالذبيح، والبشارة بإسحاق بعده كان هذا مِن الأدلة على أنّ إسحاق ليس هو الذبيح.

٣ – أنه ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع، والحلم مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾، وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ [الأنبياء: ٨٥].

٤ – أنّ البشارة بإسحاق كانت مشتركة بين إبراهيم وامرأته، أما البشارة بالذبيح فكانت لإبراهيم – عليه السلام –، وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة به، وهذ يوافق الأخبار الواردة في الصحيح وغيره أن سارة غارت لما ولدت هاجر إسماعيل، فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة، وهناك أُمِر بالذبح.

٥ – أن قرن الكبش كان معلقًا بالكعبة، ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة.

٦ – أن الله تعالى قال: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود: ٧١]، والبشارة بيعقوب تقتضي أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أنّ قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم – عليه السلام – وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب.

ورَدَّ ابنُ جرير (١٩/ ٥٩٩ - ٦٠٠) عللًا مِمّا احتج بها مَن يقول: إن الذبيح هو إسماعيل - عليه السلام -، فقال: «أما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابنُ ابنٍ، فلم يكن جائزًا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم.

فإنّ الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير منكر أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟!

وأما اعتلال مَن اعتل بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا﴾ ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد وبلغ معه السعي.

فإنّ البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة مِن الله له على صبره لأمرِ ربه فيما امتحنه به مِن الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمَّن قال ذلك.

وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقًا في الكعبة.

فغير مستحيل أن يكون حُمِل مِن الشام إلى مكة، وقد روي عن جماعة من أهل العلم أنّ إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه».

وتعقَّب ابنُ كثير (١٢/ ٥١ - ٥٢ بتصرف) ذلك، فقال: «إنما عوَّل ابنُ جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾، فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله تعالى: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم، بل هو بعيد جدًّا، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى».

اختُلِف في الذِّبْح الذي فُدِيَ به الذبيح على قولين: الأول: أنه كان كبشًا.

والثاني: أنه كان وعِلًا.

وذَهَبَ ابنُ كثير (١٢/ ٤٥) إلى القول الأول، فقال: «الصحيح الذي عليه الأكثرون: أنه فُدِيَ بكبش».

قال ابنُ عطية (٧/ ٣٠٥): «من قال: إن الذبيح هو إسماعيل.

جعل هذه البشارة بولادة إسحاق، وهي البشارة المترددة في غير ما سورة.

ومَن جعل الذبيح إسحاق جعل هذه البشارة بنفس النبوءة فقط».

اختُلِف في سبب وصفه ﴿بذبح عظيم﴾ على خمسة أقوال: الأول: أنه رعى في الجنة.

والثاني: أنه ذبح متقبل.

والثالث: أنه ذبح بالحق.

والرابع: أنه لم يكن عن نسل، بل عن التكوين.

والخامس: أنه جرت السُّنة به، وصار دينًا باقيًا آخر الدهر.

وذَهَبَ ابنُ جرير (١٩/ ٦٠٥) إلى العموم، فقال: «لا قول في ذلك أصح مما قال الله -جل ثناؤه-، وهو أن يقال: فداه الله بذبح عظيم، وذلك أن الله عمَّ وصفه إياه بالعِظَم دون تخصيصه، فهو كما عمّه به».

عن صَفيَّةَ بنتِ شَيْبةَ، قالت: أخبرَتْني امرأةٌ مِن بني سُلَيمٍ وَلَّدت عامَّةَ أهلِ دارِنا، أنَّها سألت عُثمانَ بنَ طَلْحةَ: لِمَ دعاك النَّبيُّ – ﷺ –؟ قال: ((إنِّي كُنتُ رأيْتُ قَرْنَيِ الكَبشِ حينَ دَخلْتُ البيتَ، فنَسِيتُ أن آمُرَكَ أن تُخَمِّرَها،[192] فخَمِّرْهما؛ فإنَّه لا يَنبغي أن يكونَ في البَيتِ شَيءٌ يَشغَلُ المُصَلِّي)). قال سُفْيانُ –هو ابنُ عُيينةَ، أحدُ رواةِ الحديثِ–: لم تَزَلْ قَرْنَا الكَبشِ في البَيتِ حتَّى احترَقَ البَيْتُ، فاحترَقَا.[193]

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108).

أي: وأثنَيْنا على إبراهيمَ، وأنعَمْنا عليه بالذِّكرِ الجَميلِ، والثَّناءِ الباقي في الَّذين يأتونَ مِن بَعدِه.

سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109).

(192) أي: تغطيهما.

والتَّخميرُ: التَّغطيةُ، يُقالُ: خَمِّرْ إناءَك.

يُنظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: 97).

(193) أخرجه أبو داود (2030) مختصرًا، وأحمد (16637) واللَّفظُ له.

حسَّن إسنادَه الذَّهبيُّ في ((المهذب)) (2/866)، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (2030).

قال ابنُ كثير: (هذا دليلٌ مُستقِلٌّ على أنَّه [يعني: الذَّبيحَ] إسماعيلُ عليه السَّلامُ؛ فإنَّ قُريشًا توارَثوا قَرْنَيِ الكَبشِ الَّذي فدى به إبراهيمُ خَلَفًا عن سَلَفٍ، وجيلًا بعدَ جيلٍ، إلى أنْ بَعَثَ اللهُ رَسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم).

((تفسير ابن كثير)) (7/32).

وقال أيضًا: (وهذا وحدَه دليلٌ على أنَّ الذَّبيحَ إسماعيلُ؛ لأنَّه كان هو المقيمَ بمكَّةَ، وإسحاقُ لا نعلمُ أنَّه قدِمها في حالِ صغرِه، واللهُ أعلمُ).

((البداية والنهاية)) (1/366).

أي: سلامٌ على إبْراهيمَ وثَناءٌ حسنٌ، فلا يُذْكَرُ بسوءٍ.

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110).

أي: مِثلَ هذا الجزاءِ الَّذين جزَيْنا به إبراهيمَ لأنَّه كان مِن المُحسنينَ، نَجْزي به أيضًا كلَّ مَن كان محسنًا.

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111).

أي: إنَّ إبراهيمَ مِن عبادِنا المُؤمنينَ باللهِ؛ فوَحّدوا اللهَ وأخلِصوا في عبادتِه له وَحْدَه لا شريكَ له.

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112).

أي: وبَشَّرنا إبراهيمَ بوِلادةِ ابنِه إسحاقَ، وأنَّه يكونُ نبيًّا مِن جُملةِ الصَّالِحينَ.

كما قال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [هود: 71].

وقال سُبحانَه: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ [الأنبياء: 72].

وقال تعالى: فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا [مريم: 49].

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113).

وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحاقَ.

أي: وأحَلَّ اللهُ بَرَكَتَه على إبراهيمَ وعلى إسحاقَ.

كما قال تعالى: وَجعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ [الأنبياء: 73].

وقال سُبحانَه: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: 27].

وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ.

أي: ومِن ذُرِّيَّتِهما مُحسِنٌ في طاعةِ الرَّحمنِ، ومنهم ظالِمٌ لِنَفْسِه ظُلمًا بَيِّنًا بالكُفرانِ والعِصيانِ.

كما قال تعالى: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: 124].

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (114-122)

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115)
وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ
(120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122)

غَريبُ الكَلِماتِ:

مَنَنَّا: أي: تَفضَّلْنا وأنعَمْنا، وأصلُ (منن): يَدُلُّ على النِّعمةِ.

الْمُسْتَبِينَ: أي: البَيِّنَ الواضِحَ، وأصلُ (بين): يدُلُّ على الانكِشافِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114).

أي: ولقد مَنَنَّا بنِعمَتِنا على موسى وهارونَ.

كما قال تعالى: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى [طه: 36، 37].

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115).

أي: ونَجَّيْنا موسَى وهارونَ وقَومَهما بني إسرائيلَ مِن الغَمِّ الشَّديدِ العَظيمِ الَّذي أصابَهم؛ بسبَبِ الخَوفِ مِن الغرَقِ، ومِن فِرعَونَ وقَومِه.

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116).

أي: ونصَرْناهم على فِرعَونَ وقَومِه حينَ أغرَقَهم اللهُ، فكانوا هم الغالِبينَ لهم.[194]

كما قال تعالى: قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ [القصص: 35].

---

(194) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٠٦) أن الضمير في قوله: ﴿نَصَرْنَاهُمْ﴾ عائد على الجماعة المتقدم ذكرها، وهم موسى وهارون وقومهما، ثم أورد قولًا آخر، فقال: «وقال قوم: أراد: موسى وهارون، ولكن أخرج ضميرهما مخرج الجمع تفخيمًا، وهذا مما تفعله العرب، تكني عمَّن تُعظِّم بكناية الجمع».

وقال تعالى: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ [البقرة: 49، 50].

وَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117).

أي: وآتَيْنا موسى وهارونَ الكِتابَ الواضِحَ الجَليَّ، وهو التَّوراةُ الَّتي جَعَل اللهُ فيها المواعِظَ والأحكامَ، وفصَّل فيها كُلَّ شَيءٍ يحتاجُ إليه بنو إسرائيلَ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ [الأنبياء: 48].

وقال سُبحانَه: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ [الأعراف: 145].

وقال عزَّ وجلَّ: ثُمَّ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [الأنعام: 154].

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118).

أي: وهدَيْنا موسى وهارونَ الطَّريقَ المُستقيمَ الَّذي لا اعوِجاجَ فيه، الموصِلَ إلى اللهِ تعالى، وهو دينُ الإسلامِ الحَقُّ الَّذي بَعَث اللهُ به أنبياءَه، وشرَعَه لعِبادِه.

كما قال تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشورى: 13].

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (119).

أي: وأثنَيْنا على موسى وهارونَ، وأنعَمْنا عليهما بالذِّكرِ الجميلِ، والثَّناءِ الباقي في الَّذين يأتُونَ مِن بَعدِهما.

سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120).

أي: سلامٌ على موسَى وهارُونَ وثَناءٌ حسَنُ، فلا يُذْكَرانِ بسُوءٍ.

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121).

أي: مِثلَ هذا الجزاءِ الَّذي جزَيْنا به موسى وهارونَ -لأنَّهما كانا مِنَ المُحسِنينَ- نَجْزي أيضًا كلَّ مَن كان مُحسِنًا.

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122).

أي: إنَّ موسى وهارونَ مِن عِبادِنا المُؤمنينَ بالله؛ فوَحِّدوا اللهَ، وأخلِصوا العبادةَ له وَحْدَه لا شَريكَ له.

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (123–132)

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ
(127) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ
يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

بَعْلًا: أي: رَبًّا، أو: هو اسمُ صنمٍ، والبَعْلُ: المالِكُ والسَّيِّدُ والرَّبُّ، ومنه سُمِّيَ الزَّوجُ بَعلًا، وأصلُ (بعل) هنا: يدُلُّ على الصَّاحِبِ.

وَتَذَرُونَ: أي: تَترُكونَ، وتَدَعُونَ، يُقالُ: فُلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذِفُه؛ لِقلَّةِ اعتِدادِه به.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123).

أي: وإنَّ إلياسَ لَرَسولٌ مِن جُملةِ رُسُلِ الله تعالى.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124).

أي: حينَ قال لِقَومِه: ألا تجعَلونَ بيْنَكم وبيْنَ سَخَطِ اللهِ وعَذابِه حاجِزًا، بعبادتِه وَحْدَه لا شريكَ له؟!

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125).

أَتَدْعُونَ بَعْلًا.

أي: أتَعْبُدون صنمًا مِن دونِ الله، وتجعلونه رَبًّا؟!

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

أي: وتتركونَ عِبادةَ اللهِ أحسَنِ الخالِقينَ، المُستَحِقّ للعِبادةِ وَحْدَه لا شَريكَ له؟!

اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126).

أي: أتتركونَ عِبادةَ رَبّكم المحسِنِ إليكم، وربِّ آبائِكم الَّذين مِن قبلِكم؟!

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127).

أي: فكذَّب قَومُ إلياسَ رَسولَهم، فهم مُحضَرونَ في العَذابِ قَهرًا وكَرهًا.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128).

أي: إلَّا عِبادَ اللهِ مِن قَومِ إلياسَ ممَّن أخلَصَهم اللهُ له، واستخلَصَهم مِنَ الكُفرِ، واختارَهم لخاصَّةِ رَحمتِه، فآمَنوا باللهِ ورَسولِه، وأخلَصوا له أعمالَهم؛ فإنَّهم مُنجَّونَ مِن العَذابِ.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129).

أي: وأثنَيْنا على إلياسَ وأنعَمْنا عليه بالذِّكرِ الجَميلِ والثَّناءِ الباقي في الَّذين يَأتُونَ مِن بَعدِه.

سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130).

أي: سلامٌ على إلْ ياسينَ وثَناءٌ حسنٌ، فلا يُذكَرُ بسُوءٍ.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ آلِ يَاسِينَ بفَتحِ الهَمزةِ ومَدِّها، وبَعْدَها لامٌ مَكسورةٌ، فتكونُ (آل) كَلِمةً مضافةً إلى (ياسين)، والمرادُ آلُ إلياسَ: وهم أتْباعُه. وقيل: أهلُه. وهو داخلٌ فيهم.[195]

---

(195) قرأ بها نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويَعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (360/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (322/2)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 610)، ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: 208)، ((تفسير ابن عاشور)) (170/23).

وقيل: المرادُ بآلِ ياسينَ: آلُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم.

2- قِراءةُ إِلْ يَاسِينَ بكَسرِ الهَمزةِ، وبعدَها لامٌ ساكِنةٌ. قيل: هو اسمُ إلياسَ، كان يُسمَّى باسمَينِ: إلياسَ، وإلياسينَ، مِثلُ: إبراهيمَ، وإبراهامَ، وميكالَ وميكائيلَ. وقيل: هو جمْعُ إلياسَ، والمرادُ: إلياسُ وأمَّتُه المؤمنونَ.(196)

وقد ردَّ هذا القولَ وضَعَّفه: ابنُ جرير، والسُّهَيليُّ، وابنُ القيِّم، والفيروزابادي، وغيرُهم.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (621/19)، ((غوامض الأسماء المبهمة)) للسهيلي (ص: 158)، ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: 208)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (78/6).

فالرَّجُلُ حيثُ أُضيفَ إلى آلِه دخَل فيه هو، كقولِه تعالى: أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: 46]، وقولِه تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [آل عمران: 33]، وقولِه تعالى: إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ [القمر: 34]، وقولِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((اللَّهُمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى)).

وهذا إذا لم يُذكَرْ معه مَن أُضيفَ إليه الآلُ.

يُنظر: ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: 204).

قال ابنُ عاشور: (والأظهرُ أنَّ المرادَ بـ إِلْ يَاسِينَ أنصارُه الذين اتَّبعوه وأعانوه...

فيكون المعنى: سلامٌ على ياسينَ وآلِه؛ لأنَّه إذا حصَلت لهم الكرامةُ؛ لأنَّهم آلُه فهو بالكرامةِ أولَى).

((تفسير ابن عاشور)) (170/23).

(196) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (360/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (619/19)، ((معاني القراءات)) للأزهري (322/2)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 611)، ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: 207)، ((تفسير ابن عاشور)) (170/23).

قال ابن القيِّم: (والصَّوابُ -واللهُ أعلَمُ- في ذلك: أنَّ أصلَ الكَلِمةِ (آل ياسين) كآلِ إبراهيمَ، فحُذِفَت الألفُ واللَّامُ من أوَّلِه؛ لاجتماعِ الأمثالِ، ودَلالةِ الاسمِ على موضِعِ المحذوفِ، وهذا كثيرٌ في كلامِهم: إذا اجتمَعَت الأمثالُ كَرِهوا النُّطقَ بها كُلِّها، فحذَفوا منها ما لا إلباسَ في حَذفِه، وإن كانوا لا يَحذِفونه في موضعٍ لا تجتمِعُ فيه الأمثالُ...

ولا سيَّما عادةُ العربِ في استِعمالِها للاسمِ الأعجميِّ، وتغييرُها له؛ فيقولون مرَّةً: إلياسينَ، ومرةً إلياسَ، ومرَّةً ياسين، ورُبَّما قالوا: ياس، ويكونُ على إحدى القراءتَينِ قد وقَع على المُسَلَّمِ عليه، وعلى القراءةِ الأُخرى على آلِه).

((جلاء الأفهام)) (ص: 208).

وقال ابن كثير: (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ أي: سلامٌ على إلياسَ، والعربُ تُلحِقُ النُّونَ في أسماءٍ كثيرةٍ، وتُبدِلُها من غيرِها، كما قالوا: إسماعيلُ وإسماعينُ، وإسرائيلُ وإسرائينُ، وإلياسُ وإلياسينُ).

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131).

أي: مِثلَ هذا الجزاءِ الَّذي جزَيْنا به إلْ ياسينَ نَجزي أيضًا كُلَّ مَن كان مُحسِنًا.

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132).

أي: إنَّ إلياسَ مِن عِبادِنا المُؤمِنينَ باللهِ؛ الموحِّدينَ الَّذين أخْلَصوا العِبادةَ لله وَحْدَه لا شَريكَ له.

((البداية والنهاية)) (278/2).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (133–138)

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْغَابِرِينَ: أي: الباقِينَ في العَذابِ، وقيل: الماضينَ الَّذين قد هلَكوا، والغابرُ مِن الأضْدادِ؛ يكونُ بمعنَى الماضي، وبمعنَى الباقي، وأصلُ (غبر): يدُلُّ على البَقاءِ.

مُصْبِحِينَ: أي: داخِلينَ في وَقتِ الصَّباحِ، وأصلُ (صبح): لونٌ مِن الألوانِ، وهو الحُمرةُ، وسُمِّيَ الصُّبحُ صُبحًا لِحُمرتِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133).

أي: وإنَّ لُوطًا لَرَسولٌ مِن جُملةِ رُسُلِ اللهِ تعالى.

إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134).

أي: اذكُرْ -يا محمَّدُ- حينَ نجَّيْناه وأهلَه المُؤمنينَ مِن العذابِ الَّذي أصاب قومَه.[197]

كما قال تعالى: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الذاريات: 35، 36].

---

(197) قيل: إذْ ظَرفٌ لفِعلٍ محذوفٍ، تقديرُه: اذكُرْ.

وممَّن قال بهذا: الواحديُّ، وابن الجوزي، والرسعني، وجلال الدين المحلي، والشوكانيُّ، وابن عثيمين.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (532/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (551/3)، ((تفسير الرسعني)) (422/6)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 595)، ((تفسير الشوكاني)) (470/4)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 287، 288).

قال الشوكاني: (الظَّرفُ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ هو اذكُرْ، ولا يصِحُّ تعلُّقُه بالمرسَلينَ؛ لأنَّه لم يُرسَلْ وقتَ تَنجيتِه). ((تفسير الشوكاني)) (470/4).

ويُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (532/3).

وقيل: إذْ ظَرفٌ مُتعلِّقٌ بـ الْمُرْسَلِينَ، أي: إنَّه في حينِ إنجاءِ اللهِ إيَّاه، وإهلاكِ اللهِ قَومَه: كان قائمًا بالرِّسالةِ عن اللهِ تعالى، ناطِقًا بما أمَرَه اللهُ.

وممَّن قال بهذا: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (171/23).

وقال سُبحانَه: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ [القمر: 34، 35].

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135).

أي: إلَّا زَوجتَه العَجوزَ لم نُنَجِّها؛ فكانت مع القَومِ الباقينَ في العَذابِ.

كما قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [الأعراف: 83].

وقال سُبحانَه: إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ [الحجر: 59، 60].

وقال عزَّ وجلَّ: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ [التحريم: 10].

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136).

أي: ثمَّ أهلَكْنا قَومَ لُوطٍ جميعًا، فلم يَبقَ منهم أحَدٌ.

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (137).

أي: وإنَّكم[198] لَتمُرُّونَ أثناءَ سَفَرِكم على الموضِعِ الَّذي كان فيه قَومُ لُوطٍ، وأنتم داخِلونَ في وَقتِ الصَّباحِ في أوَّلِ النَّهارِ.

كما قال تعالى: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ [الحجر: 76].

وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138).

وَبِاللَّيْلِ.

أي: وتَمُرُّونَ عليهم باللَّيلِ أيضًا.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

أي: أفلَيسَتْ لديكم عُقولٌ تَتفكَّرونَ بها، فتَعتَبِروا وتتَّعِظوا، وتَخافوا أن يُصيبَكم اللهُ بعَذابِه كما أصابَ قَومَ لوطٍ الَّذين كذَّبوا رَسولَه وخالَفوه؟!

---

(198) قيل: الخِطابُ لكُفَّارِ قُرَيشٍ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والبِقاعي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/623)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (16/289، 290)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/171).

وقيل: يُمكِنُ أن يكونَ الخِطابُ عامًّا لكُلِّ مَن يَمُرُّ بِقُراهم إلى يومِ القيامةِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 289).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (139-148)

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا
فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)

غَريبُ الكَلِماتِ:

أَبَقَ: أي: هَرَب وفَرَّ، وأصلُ (أبق): يدُلُّ على التَّباعُدِ.

الْفُلْكِ: أي: السُّفنِ، وواحدُه وجمْعُه بلفظٍ واحدٍ، وأصلُ الفلكِ: الاستدارةُ في الشَّيءِ، ولعلَّ السُّفنَ سُمِّيتْ فُلْكًا؛ لأنَّها تُدارُ في الماءِ.

الْمَشْحُونِ: أي: المملوءِ، وأصلُ (شحن): يدُلُّ على الملءِ.

فَسَاهَمَ: أي: قارَعَ، والسَّهمُ: ما يُرمَى به وما يُضرَبُ به مِن القِداحِ، وأصلُه: يدُلُّ على الحَظِّ والنَّصيبِ.

الْمُدْحَضِينَ: أي: المَغلُوبينَ في القُرعةِ، وأصلُ (دحض): يدُلُّ على زَوالٍ وزَلَقٍ.

فَالْتَقَمَهُ: أي: فابتَلَعَه، وهو افتِعالٌ مِن اللَّقْمِ، وأصلُ (لقم): يدُلُّ على تناوُلٍ.

الْحُوتُ: الحوتُ: العظيمُ مِن السَّمكِ، أو: السَّمكُ كلُّه، وأصلُ (حوت): مِن الاضْطِرابِ والرَّوَغانِ، والحوتُ مُضطرِبٌ أبدًا غيرُ مستقرٍّ.

مُلِيمٌ: أي: مُسيءٌ مُذنِبٌ آتٍ بما يُلامُ عليه، وأصلُ (لوم): يدُلُّ على عَتْبٍ.

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ: أي: فألقَيْناه وقذَفْناه بمَكانٍ خالٍ لا يَتوارى فيه بشَجَرٍ ولا غَيرِه، وأصلُ (نبذ): يدُلُّ على الطَّرحِ والإلقاءِ، وأصلُ (عري) هنا: يدُلُّ على خُلُوٍّ ومُفارَقةٍ.

يَقْطِينٍ: اليَقطينُ: الدُّبَّاءُ (القرعُ). وقيل: هو كُلُّ شَجَرٍ لا يَقومُ على ساقٍ؛ مِثلُ: القَرعِ، والبِطِّيخِ، ونَحوِهما.

حِينٍ: أي: مُنتهى آجالِهم، وأصلُ (حين): يدُلُّ على زَمانٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139).

أي: وإنَّ يُونُسَ لَرَسولٌ مِن جُملةِ رُسُلِ اللهِ تعالى.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - أنَّه قال: يعني: اللهَ تبارك وتعالى: ((لا ينبغي لعبدٍ لي أن يَقولَ: أنا خَيرٌ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى عليه السَّلامُ)).[199]

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((ما يَنبغي لأحَدٍ أن يقولَ: أنا خيرٌ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى))[200]. [201]

إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140).

أي: حينَ هَرَب إلى السَّفينةِ المَملوءةِ.

---

(199) رواه البخاري (3416)، ومسلم (2376) واللَّفظُ له.

(200) يحتمِلُ أن يكونَ المرادُ أنَّ العبدَ القائلَ هو الَّذي لا يَنبغي له أن يقولَ ذلك، أي: ليس لأحدٍ أن يُفضِّلَ نفسَه على يونسَ عليه السلامُ.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ بقولِه: ((أنا)) رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقاله تواضعًا، أي: ليس لأحدٍ أنْ يُفضِّلَني عليه، ودلَّ حديثُ أبي هريرة السابقُ على أنَّ الاحتمالَ الأوَّلَ أوْلَى.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (267/8)، ((عمدة القاري)) للعيني (293/15).

(201) رواه البخاري (4603).

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141).

أي: فقارَعَ يُونُسُ مع ركَّابِ السَّفينةِ؛ لِيَختاروا مَن يُلقونَه في البَحرِ؛ لِتَخِفَّ بهم السَّفينةُ حينَ خافوا الغرَقَ، فكان يُونُسُ مِن جُملةِ المغلوبينَ الَّذين أُلقُوا في البَحرِ.

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142).

أي: فابتَلَعَه الحوتُ، والحالُ أنَّه قد فعَلَ ما يُلامُ عليه.

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143).

أي: فلولا أنَّ يُونُسَ كان مِنَ المُسَبِّحينَ اللهَ تعالى.

كما قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء: 87].

لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144).

أي: لَبقِيَ في بَطنِ الحُوتِ إلى اليَومِ الَّذي يُبعَثُ فيه العِبادُ.

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145).

أي: فألقَيْنا يُونُسَ في مَكانٍ مُقفِرٍ خالٍ مِنَ الشَّجَرِ والبناءِ، وهو مَريضٌ.

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146).

أي: وأنبَتْنا عليه شَجَرةَ يَقطينٍ؛ لِيَقتاتَ منها، ويَنتفِعَ بها.(202)

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147).

أي: وأرسَلْنا يُونُسَ إلى مِئةِ ألْفِ شَخصٍ أو(203) يَزيدونَ عليهم.

---

(202) اختلف في المراد بشجرة اليقطين على أقوال: الأول: أنها شجرة لا نعرفها، سماها الله: يقطينًا، وليس بالقرع.

وهو قول ابن جبير من طريق هلال بن خباب.

الثاني: أن اليقطين: كل ما لا يقوم على ساق مِن عود؛ كالبقول، والقرع، والبطيخ، ونحوه مما يموت مِن عامِه.

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد.

الثالث: أنه القرع خاصة.

وهو قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس من طريق علي، ومجاهد من طريق منصور، والضحاك من طريق عبيد، ومن وافقهم.

وعلَّق ابنُ عطية (٧/ ٣١٢) على القولين الأخيرين بقوله: «وعلى هذين القولين فإما أن يكون قوله: ﴿شَجَرَةً﴾ تجوّزًا، وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرقًا للعادة؛ لأن الشجرة في كلام العرب إنما يقال لما كان على ساق من عود».

ثم قال: «وحكى بعضُ الناس: أنها كانت قرعة، وهي تجمع خصالًا: برد الظل، والملمس، وعِظَم الورق، وأنّ الذباب لا يقربها.

وحكى النقاش: أنّ ماء ورق القرعة إذا رش بمكان لم يقربه ذباب.

ومشهور اللغة أن اليقطين: القرع».

(203) قيل: أَوْ هنا بمعنى: بَلْ؛ فهي تُثبِتُ وُجودَ زيادةٍ في العدَدِ على مِئةِ ألْفٍ.

وممَّن قال بهذا: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والفرَّاءُ، وأبو عُبَيْدةَ، والسَّمَرْقَنْديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (621/3)، ((معاني القرآن)) للفراء (393/2)، ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (175/2)، ((تفسير السمرقندي)) (153/3).

وقيل: هي بمعنى الواوِ.

وممَّن قال بهذا: ابنُ قُتَيْبةَ، والخازنُ، ونسَبه البَغَويُّ للأكثَرينَ.

يُنظر: ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 290، 291)، ((تفسير الخازن)) (28/4)، ((تفسير البغوي)) (48/4).

وممَّن قال مِن السَّلفِ: إنَّ المعنى أنَّهم يَزيدون على مِئةِ ألْفٍ -وإنِ اختَلفوا في مِقدارِ الزِّيادةِ-: ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والحسَنُ، والربيعُ، ومقاتلُ بنُ حَيَّانَ، ومكحولٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (637/19)، ((تفسير الثعلبي)) (171/8)، ((تفسير ابن كثير)) (41/7).

وقيل: هي على أصلِها، والمعنى: أو يَزيدونَ في تَقديرِكم إذا رآهم الرَّائي منكم.

وممَّن قال بهذا القولِ في الجملةِ: الأخفَشُ، والزمخشريُّ، والنَّسَفي، وأبو السعود.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للأخفش (491/2)، ((تفسير الزمخشري)) (62/4)، ((تفسير النسفي)) (137/3)، ((تفسير أبي السعود)) (206/7).

ويُنظر أيضًا: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزَّجَّاج (314/4).

ومِن قواعدِ التَّفسيرِ: أنَّه قد يَرِدُ الخِطابُ بالشَّيءِ في القرآنِ على اعتقادِ المُخاطَبِ دُونَ ما في نفْسِ الأمرِ.

يُنظر: ((قواعد التفسير)) للسبت (284/1، 285).

وقيل: المرادُ بها التَّحقيقُ والتَّأكيدُ، أي: إنَّ عدَدَهم مِئةُ ألْفٍ لا يَنقُصونَ.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ القيِّم.

يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 250)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (326/1) و (302/3).

قال البِقاعي: (لَمَّا كان العددُ الكثيرُ لا يُمكِنُ ناظِرَه الوُقوعُ فيه على حقيقةِ عدَدِه، بل يَصيرُ -وإن كان أثبتَ النَّاسِ نظرًا- يقولُ: هم كذا، يَزيدونَ قليلًا أو يَنقُصونَه، وتارةً يَجزِمُ بأنَّهم لا يَنقُصونَ عن كذا وأمَّا الزِّيادةُ فمُمكِنةٌ، وتارةً يَغلِبُ على ظَنِّه الزِّيادةُ، وهو المرادُ هنا؛ قال: أَوْ يَزِيدُونَ؛ لأنَّ التَّرجيةَ في كثرةِ الأتْباعِ أقَرُّ لِلْعَينِ، وأسَرُّ للقَلبِ).

((نظم الدرر)) (296/16).

ومِن معاني (أو): الشَّكُّ بالنسبةِ إلى المخاطبين، أي: إن الرائي يَشُكُّ عندَ رؤيتِهم.

ومِن معانيها: الإبهامُ بالنسبةِ إلى أنَّ اللهَ تعالى أبْهَم أمْرَهم.

ومِن معانيها: الإباحةُ أي: أنَّ الناظرَ إليهم يُباحُ له أن يَخْزِرَهم بهذا القَدْرِ، أو بهذا القَدْرِ.

ومن معانيها: التخييرُ أي: هو مُخَيَّرٌ بين أَنْ يَخْزِرَهم كذا أو كذا.

يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (167/1) و (332/9)، ((تفسير الألوسي)) (141/12).

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (637/19، 638)، ((تفسير الزمخشري)) (62/4)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (326/1) و(302/3)، ((تفسير الشوكاني)) (472/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 708).

قال الزمخشري: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ المرادُ به ما سَبَق مِن إرسالِه إلى قَومِه، وهم أهلُ نِينَوَى.

وقيل: هو إرسالٌ ثانٍ بعدَ ما جرى عليه إلى الأوَّلِينَ، أو إلى غيرِهم.

وقيل: أسلَموا فسألوه أن يَرجِعَ إليهم فأبى؛ لأنَّ النَّبيَّ إذا هاجَرَ عن قومِه لم يرجِعْ إليهم مُقيمًا فيهم، وقال لهم: إنَّ اللهَ باعِثٌ إليكم نَبيًّا).

((تفسير الزمخشري)) (62/4).

فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148).

أي: فآمَنوا كُلُّهم بما جاءَهم به يُونُسُ، ووحَّدوا اللهَ، فلم يُعَذِّبْهم، ومتَّعَهم في الدُّنيا إلى حينِ بُلوغِ آجالِهم.

كما قال تعالى: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ [يونس: 98].

وقال البِقاعي: (لَمَّا لم يَتعلَّقِ الغَرَضُ بتَعيينِ المُرسَلِ إليهم، وهل هم الَّذين أبَقَ عنهم أوْ لا؟ قال: إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ، والجُمهورُ على أنَّهم الَّذين أُرسِلَ إليهم أوَّلًا).

((نظم الدرر)) (16/295، 296).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/487).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (149–163)

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ
(150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى
الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162) إِلَّا
مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163)

تَفسيرُ الآياتِ:

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149)

فَاسْتَفْتِهِمْ.

أي: فاسأَلْ –يا محمَّدُ– مُشرِكي قَومِك الذين يَزعُمونَ أنَّ الملائِكةَ بَناتُ اللهِ.

أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ.

أي: اسألْهم أيجعَلونَ لِرَبِّك ما يَكرَهونَ مِنَ البَناتِ، ويجعَلونَ لأنفُسِهم ما يَرغَبونَ مِن البَنينَ؟!

كما قال اللهُ تعالَى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ... إلى قولِه تعالَى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ [النحل: 57 – 62].

وقال تعالَى: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى [النجم: 21، 22].

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150)

أي: أمْ خلَقَ اللهُ الملائِكةَ إناثًا وقدْ حضَر المُشرِكونَ خَلْقَه لهم، فأخبَروا أنَّهم بَناتُ اللهِ عن عِلمٍ ومُشاهَدةٍ؟!

كما قال تعالَى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [الزخرف: 19].

أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ....

أي: أَلَا إنَّ هؤلاءِ المُشركِينَ لَيقولونَ –مِن قَلْبِهم للحقائقِ، وصَرْفِها عن وَجهِها الصَّحيحِ–: ولدَ اللهُ، حِينَ زعَموا أنَّ الملائكةَ بَناتُه!

... وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152).

أي: وإنَّهم في قَولِهم هذا لَمُخبِرونَ بخِلافِ الحَقِّ والصِّدقِ المُطابِقِ للواقِعِ.

كما قال تعالَى: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ [المؤمنون: 90، 91].

وقال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا [مريم: 88 – 92].

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153).

أي: أَخْتارَ اللهُ تعالى لِنَفسِه البناتِ اللَّاتي يَستَنكِفُ المُشرِكونَ مِن إلحاقِهِنَّ بهم، دونَ البنينَ؟!

كما قال تعالَى: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا [الإسراء: 40].

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قولِه تعالَى: أَصْطَفَى قِراءتان:

1- قراءة اصْطَفَى بوصْلِ الهَمزةِ على لفْظِ الخَبرِ، وفيه وجهانِ:

أحدُهما: أنَّه على نِيَّةِ الاستفهامِ، وإنَّما حُذِفَ للعِلمِ به. والثاني: أنَّ هذه الجُملةَ بدَلٌ مِن الجُملةِ المحكيَّةِ بالقولِ، وهي وَلَدَ اللَّهُ، أي: يقولون كذا، ويقولون: اصْطَفَى هذا الجِنسَ على هذا الجِنسِ. ويجوزُ أنْ يكونَ المعنى: وإنَّهم لكاذبون؛ قالوا: اصطفَى البناتِ، فحذف (قالوا).(204)

2- قِراءة أَصْطَفَى بقَطْعِ الألفِ على الاستفهامِ، على طريقةِ الإنكارِ والاستبعادِ.(205)

---

(204) قرأ بها أبو جعفر.

يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (360/2).

ويُنظر لمعنى القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (323/2)، ((تفسير أبي حيان)) (126/9)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (333/9).

(205) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (360/2).

ويُنظر لمعنى القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (323/2)، ((تفسير الرسعني)) (434/6)، ((تفسير أبي حيان)) (126/9)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (333/9).

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154).

أي: ما لكُم، كيف تحكُمونَ هذا الحُكمَ الجائِرَ؛ إذ جعَلْتُم لِرَبِّكم ما لا تَرضَونَه لأنفُسِكم، واستَأثَرتُم دونَه بما تُحِبُّونَ؟!

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155).

أي: أفلا تتذَكَّرونَ، فتُدرِكونَ بُطلانَ قَولِكم؟

أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156).

أي: أمْ لكُم حُجَّةٌ واضِحةٌ تُبَيِّنُ صِحَّةَ دَعواكم؟!

فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157).

أي: فأْتُوا بكِتابٍ مِن عِندِ اللهِ فيه بيانُ حُجَّتِكم على ما تَقولونَ، إنْ كُنتُم صادِقينَ في دَعواكم.

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158).

وَجعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا.

أي: وجعَلَ المُشرِكونَ بيْنَ اللهِ تعالى وبيْنَ الجِنّ نَسَبًا.(206)

وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ.

أي: ولقد عَلِمَ الجِنُّ أنَّهم محضَرونَ يومَ القِيامةِ.(207)

---

(206) قال ابنُ عطية (٧/ ٣١٥ بتصرف): «﴿الجنة﴾ على هذا القول تقع على الملائكة، سميت بذلك لأنها مستجنة، أي: مستترة».

وبنحوه ابنُ تيمية (٥/ ٣٥٦).

(207) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ على أقوال: الأول: أن المعنى: ولقد علمت الجنة إنهم لَمُشْهَدون الحساب.

والثاني: أن المعنى: ولقد علمت الجنة أنّ قائلي هذا القول سيحضرون العذاب في النار.

وعلَّقَ ابنُ عطية (٧/ ٣١٥) على القولين، فقال: «مَن جعل ﴿الجنة﴾: الشياطين؛ جعل العلامة في ﴿عَلِمَت﴾ لها، والضمير في ﴿إنهم﴾ عائد عليهم، أي: جعلوا الشياطين بنسب من الله، والشياطين تعلم ضد ذلك مِن أنها ستحضر أمر الله وثوابه وعقابه.

ومَن جعل ﴿الجنة﴾: الملائكة؛ جعل الضمير في ﴿إنهم﴾ للقائلين هذه المقالة، أي: علمت الملائكة أن هؤلاء الكفرة سيحضرون ثواب الله وعقابه.

وقد يتداخل هذان القولان».

ورجَّحَ ابنُ جرير (١٩/ ٦٤٦) القولَ الثانيَ –وهو قول السديّ– استنادًا إلى نظائرها في السورة، فقال: «أولى القولين في ذلك بالصواب قول مَن قال: إنهم لمحضرون العذاب.

لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عني به: الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع».

وظاهر كلام ابن كثير (١٢/ ٦٢) أنه ذهب إلى هذا أيضًا.

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣١٥) قولين في الاستثناء الواقع في الآية، فقال: «نزَّه تعالى نفسه عما يصفه الناس ولا يليق به، ومن هذا استثنى العباد المخلصين؛ لأنهم يصفونه بصفاته العلى، وقالت فرقة: استثناهم من قوله: ﴿إنهم لمحضرون﴾.

وهذا يصح على قول من رأى الجنة: الملائكة».

وذَهَبَ ابنُ جرير (١٩/ ٦٤٧) إلى الثاني مستندًا لأقوال السلف.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159).

أي: تنزَّهَ اللهُ عمَّا يَصِفُه به المُشرِكونَ مِن أنَّ لهُ تعالَى وَلَدًا، ومِن أنَّ الملائِكةَ بَناتُ اللهِ؛ فتعالَى اللهُ وتبرَّأَ مِن كُلِّ نَقصٍ يَنسُبونَه إليه.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160).

أي: لكنْ عِبادُ اللهِ الذين أخلَصَهم لطاعتِه، واختارَهم لِرَحمتِه؛ فإنَّهم لا يَصِفونَ اللهَ تعالَى بالنَّقائصِ، بل يَنسُبونَ إليه ما يَليقُ به تعالَى مِن صِفاتِ الكَمالِ.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161).

أي: فإنَّكم -أيُّها المُشرِكونَ- والذين تَعبُدونَهم مِن الآلِهةِ المَزعومةِ.

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162).

أي: لَستُم بمُضِلِّينَ أحَدًا، بحَمْلِه على عِبادةِ ما تَعبُدونَ مِن دُونِ اللهِ.

إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163).

وذهب ابنُ القيم (٢/ ٣٧٥)، وكذا ابنُ كثير (١٢/ ٦٢) إلى الأول، وهو الظاهر من كلام ابن عطية، ولم يذكروا مستندًا.

وعقَّبَ ابنُ كثير (١٢/ ٦٢) على كلام ابن جرير بقوله: «جعل ابنُ جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى: ﴿إنهم لمحضرون ... إلا عباد الله المخلصين﴾، وفي هذا الذي قاله نظر».

أي: إلَّا مَن سَبَق في عِلمِ اللهِ أنَّه سيَدخُلُ الجحيمَ ويُعذَّبُ فيها في الآخِرةِ؛ فهو الذي يُفتَنُ ويَضِلُّ بإضلالِكم له.(208)

كما قال تعالَى عن إبليسَ: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ [الحجر: 39-42].

(208) قال النحَّاسُ: (أهلُ التَّفسيرِ مُجمِعونَ -فيما عَلِمتُه- على أنَّ المعنى: ما أنتم بمُضِلِّينَ أحدًا إلَّا مَن قدَّرَ اللهُ -جلَّ وعزَّ- عليه أن يَضِلَّ).

((إعراب القرآن)) (3/299).

وقال السعدي: (المقصودُ مِن هذا بيانُ عَجزِهم وعَجزِ آلهتِهم عن إضلالِ أحدٍ، وبيانُ كمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى، أي: فلا تَطمَعوا بإضلالِ عبادِ اللهِ المُخلَصينَ وحِزبِه المُفلِحينَ).

((تفسير السعدي)) (ص: 708).

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (164–170)

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الصَّافُّونَ: أي: الملائِكةُ صَفُّوا أقدامَهم، ووقَفوا صُفوفًا في السَّماءِ للعِبادةِ، كصُفوفِ النَّاسِ في الأرضِ، وأصلُ (صفف): يدُلُّ على استواءٍ وتَساوٍ بينَ شَيئَينِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164).

أي: يقولُ الملائِكةُ عليهم السَّلامُ: وما مِنَّا إلَّا وله مَقامٌ مُحَدَّدٌ معلومٌ لا يتجاوَزُه.

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165).

أي: وإنَّا لَنحنُ الذين نَقِفُ في السَّماءِ صُفوفًا متراصِّينَ في طاعةِ اللهِ.

كما قال تعالَى: وَالصَّافَّاتِ صَفًّا [الصافات: 1].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر: 22].

وعن جابِرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((خرَجَ علينا رَسولُ اللهِ - ﷺ -فقال: ألَا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الملائِكةُ عندَ ربِّها؟ فقُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، وكيف تَصُفُّ الملائِكةُ عِندَ ربِّها؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأُوَلَ، ويَتراصُّونَ في الصَّفِّ)).[209]

---

(209) رواه مُسلِم (430).

وعن حُذَيفةَ رَضِـيَ اللهُ عنه، قال: قال رَســولُ اللهِ - ﷺ -: ((فُضِّــلْنا على النَّاسِ بثَلاثٍ: جُعِلَت صُــفوفُنا كصُــفوفِ الملائِكةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرضُ كُلُّها مَســجِدًا، وجُعِلَت تُربتُها لنا طَهُورًا إذا لم نَجِدِ الماءَ)).[210]

وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166).

أي: وإنَّا لَنحنُ الذين نُسَبِّحُ اللهَ ونُنزِّهُه عن كُلِّ ما لا يَليقُ به مِن عُيوبٍ ونقائِصَ.[211]

---

(210) رواه مُسلِم (522).

(211) قال الشوكاني: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ أي: المُنَزِّهونَ للهِ المُقَدِّسون له عَمَّا أضافه إليه المشركونَ، وقيل: المصلُّونَ، وقيلَ: المرادُ بقولِهم: الْمُسَبِّحُونَ مجموعُ التَّسبيحِ باللِّسانِ وبالصَّلاةِ).

((تفسير الشوكاني)) (476/4).

ممن اختار أنَّ المرادَ بـ الْمُسَبِّحُونَ: المُنزِّهونَ للهِ عن النقائصِ وعمَّا لا يَليقُ به: الواحدي، والبغوي، والسمعاني، والبيضاوي، وابن كثير، وجلال الدين المحلي، والعليمي، والسعدي.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (535/3)، ((تفسير البغوي)) (50/4)، ((تفسير السمعاني)) (420/4)، ((تفسير البيضاوي)) (20/5)، ((تفسير ابن كثير)) (44/7)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 597)، ((تفسير العليمي)) (554/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 708).

وممن اختار أن المراد المصلون؛ لأنَّ الصلاةَ يقالُ لها تسبيحٌ: مقاتل بن سليمان، وابن جرير، والسمرقندي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (623/3)، ((تفسير ابن جرير)) (652/19)، ((تفسير السمرقندي)) (155/3).

وممن جمع فقال: المرادُ: المصلونَ المنزهونَ الله عن السوءِ: الواحدي، والبغوي.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (535/3)، ((تفسير البغوي)) (50/4).

قال القُرطبيُّ: (المرادُ أنَّهم يُخبِرونَ أنَّهم يَعبُدونَ اللهَ بالتَّسبيحِ والصَّلاةِ، وليسوا معبودينَ ولا بَناتِ اللهِ).

((تفسير القرطبي)) (138/15).

كما قال تعالى: وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ [الأنبياء: 19، 20].

وقال سُبحانَه: فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ [فصلت: 38].

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168).

أي: ضلَّ مُشرِكو قُرَيشٍ عن الحقِّ، ولم يُنزِّهوا اللهَ تعالى كما يَنبغي له سُبحانَه، والحالُ أنَّهم كانوا يَقولونَ قَبلَ بَعثةِ مُحمَّدٍ - ﷺ -: لو أنَّ عِندَنا كِتابًا مِن السَّابِقينَ.

كما قال تعالَى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا [فاطر: 42].

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169).

أي: لَكُنَّا عِبادَ اللهِ الذين أخلَصوا للهِ تعالَى، وأخلَصَهم لعِبادتِه وطاعتِه، واختارَهم لجَنَّتِه.

كما قال تعالَى: أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ [الأنعام: 156، 157].

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170).

فَكَفَرُوا بِهِ.

أي: فلمَّا أتاهم ما تمنَّوه كفَروا بالقُرآنِ الذي جاءَهم به مُحمَّدٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ [فصلت: 41].

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.

أي: فسَوفَ يَعلَمُ هؤلاءِ الكُفَّارُ ما يأتيهم مِنَ الخِزْيِ والعَذابِ؛ بسَبَبِ كُفرِهم بربِّهم، وإعراضِهم عن كِتابِه، وتَكذيبِهم رَسولَه.

سورةُ الصَّافَّاتِ

الآيات (171–182)

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ182))

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171).

أي: ولقدْ تَقدَّمَ منَّا القولُ والقَضاءُ والوَعْدُ لِرُسُلِنا.(212)

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172).

أي: بأنَّهم هُم الَّذينَ يَنصرُهم اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ، وأنَّ العاقِبةَ تَكونُ لهم.

كما قال تعالَى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم: 47].

---

(212) قيل: المرادُ بالكَلِمةِ: قَولُه تعالَى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي [المجادلة: 21] .

وممَّن ذهَب إلى هذا القَولِ: مقاتل بن سليمان، والثعلبيُّ، والبغويُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (623/3)، ((تفسير الثعلبي)) (173/8)، ((تفسير البغوي)) (50/4).

وقيل: المرادُ بها ما ورَد في الآيتَينِ بَعدَها: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات: 172، 173].

وممَّن قال بهذا القول: البقاعيُّ، والشوكانيُّ، والألوسي، وابن عاشور.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (314/16)، ((تفسير الشوكاني)) (477/4)، ((تفسير الألوسي)) (148/12)، ((تفسير ابن عاشور)) (195/23).

وقيل: المعنى: مضَى القَضاءُ والحُكمُ في أمِّ الكِتابِ، بأنَّ لهم النُّصرةَ والغَلَبةَ والعاقِبةَ.

وممَّن ذهَب إلى هذا المعنى في الجُملةِ: ابن جَرير، وابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (657/19)، ((تفسير ابن كثير)) (45/7)، ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 354-355).

قال ابن عثيمين: (المرادُ بالعبادِ هنا العبوديةُ الخاصةُ، بل أخصُّ الخاصةِ، وهي عبوديةُ الرسالةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الصافات)) (ص: 354).

وقال عزَّ وجلَّ: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر: 51].

وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173).

أي: وإنَّ حِزبَنا المُؤمنينَ المُدافِعينَ عن دِينِ رَبِّ العالَمينَ، هُمْ أصحابُ الغَلَبةِ والظَّفَرِ على الكافِرينَ.

كما قال اللهُ تعالَى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة: 21].

وقال سُبحانَه: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا [النور: 55].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد: 7].

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174).

أي: فأعرِضْ -يا مُحمَّدُ- عن الذين كفَروا إلى مُدَّةٍ معلومةٍ عندَ اللهِ سبحانَه.(213)

---

(213) اختُلِف في الحين المذكور في الآية على ثلاثة أقوال: الأول: أن المراد: إلى الموت.
وهو قول قتادة.
والثاني: أن المراد: إلى يوم بدر.
وهو قول السديّ.
والثالث: أن المراد: إلى يوم القيامة.
وهو قول ابن زيد.

كما قال تعالَى: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ [السجدة: 30].

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175).

أي: وأبصِرْهم -يا مُحمَّدُ- فسوف يُبصِرونَ ما يَحُلُّ بهم؛ جزاءَ كُفرِهم.

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176).

أي: أفيَطلُبُ المُشرِكونَ أن يُعَجَّلَ لهم عَذابُ اللهِ، فيأتيَهم قبْلَ أوانِه الذي ضُرِبَ لهم؟!

كما قال تعالَى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ [النمل: 71، 72].

وقال عزَّ وجلَّ: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [العنكبوت: 53].

وقال سُبحانَه: وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ [ص: 16].

وذَهَبَ ابنُ جرير (١٩/ ٦٥٩) إلى القول الثاني -وهو قول مجاهد، والسديّ- استنادًا إلى السياق، فقال: «هذا القول الذي قاله السدي أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل؛ وذلك أنّ الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، وأمر نبيَّه - ﷺ - أن يُعرِض عنهم إلى مجيء حينه، فتأويل الكلام: فتول عنهم -يا محمد- إلى حين مجيء عذابنا ونزوله بهم».

[٥٥٣٠] قال ابنُ عطية (٧/ ٣١٧ بتصرف): «وعد للنبي - ﷺ -، وأمر بالموادعة، وهذا مما نسخته آية السيف».

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177).

أي: فإذا نزَلَ العَذابُ بفِناءِ أولئك المُستعجِلينَ به، فما أسوَأَه مِن صَباحٍ هذا الذي يَحُلُّ فيه العَذابُ على مَن أنذَرَهم رَسولُهم، فأعرَضوا عنه ولم يلتَفِتوا إلى إنذارِه!

عن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – أتَى خيبَرَ ليلًا، وكان إذا أتَى قومًا بلَيلٍ لم يُغِرْ[214] بهم حتى يُصبِحَ، فلمَّا أصبحَ خَرَجت اليَهودُ بمَساحِيهم[215] ومَكاتِلِهم،[216] فلمَّا رأَوْه قالوا: محمَّدٌ واللهِ، محمَّدٌ والخَميسُ![217] فقال النَّبيُّ – ﷺ –: خَرِبَت خَيبرُ، إنَّا إذا نزَلْنا بساحةِ قَومٍ فساءَ صَباحُ المُنذَرينَ)).[218]

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178).

أي: وأعرِضْ –يا محمَّدُ– عنهم إلى مُدَّةٍ معلومةٍ عندَ اللَّهِ سبحانَه.

---

(214) مِن الإغارةِ، وهي الهُجومُ على العَدوِّ على وجْهِ الغَفلةِ، أو: تبييتُ العَدوِّ ليلًا.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن رجب (231/5)، ((عمدة القاري)) للعيني (265/6).
(215) المَساحي: جمْع مِسْحاة، وهي المِجرَفةُ مِن الحَديدِ، وهي مِن آلاتِ الحرْثِ.
يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (349/2).
((فتح الباري)) لابن حجر (468/7).
(216) المكاتِل: جمْع مِكْتَل، وهو الزِّنْبيلُ –وهو ما يُعمَلُ مِن الخُوصِ– والقُفَّةُ الكَبيرةُ التي يُحْمَلُ فيها التَّمْرُ وغَيْرُه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (224/9)، ((المصباح المنير)) للفيومي (525/2)، ((فتح الباري)) لابن حجر (468/7).
(217) الخميس: الجيشُ؛ قيل: سُمِّيَ خميسًا لأنَّه خمسةُ أقسامٍ: مُقدِّمة، وساقة، ومَيْمنة، ومَيْسرة، وقلْب.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (219/9).
(218) رواه البخاري (4197) واللَّفظُ له، ومُسلِمٌ (1365).

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179).

أي: وأبصِرْ -يا مُحمَّدُ- فسوف يَرونَ ما يَحُلُّ بهم؛ جَزاءَ كُفرِهم.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180).

أي: تنزَّهَ ربُّك -يا مُحمَّدُ- المُختَصُّ بالعِزَّةِ، ذو القُوَّةِ والمَنَعةِ، والغَلَبةِ والقَهرِ، وعَظَمةِ القَدْرِ: عمَّا يَصِفُه به الكُفَّارُ مِن الشَّريكِ والوَلَدِ والصَّاحِبةِ، وغَيرِ ذلك ممَّا يَفترون مِن أوصافٍ لا تَليقُ باللهِ تعالى.

كما قال تعالَى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام: 100، 101].

وقال سُبحانَه: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [المؤمنون: 91، 92].

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181).

أي: وسَلامُ اللهِ في الدُّنيا والآخِرةِ علَى رُسُلِه؛ لسَلامةِ ما قالوه عنِ اللهِ تعالَى مِن كُلِّ نقْصٍ وعَيبٍ.

كما قال تعالَى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى [النمل: 59].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182).

أي: وجَميعُ أنواعِ المحامِدِ ثابِتةٌ، ومُختصَّةٌ بالمُدَبِّرِ المالِكِ الخالِقِ لجَميعِ أصنافِ الخلائِقِ.

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ السَّابعُ والعشرونَ

ويَليه المجلَّدُ الثَّامنُ والعشرونَ، وأوَّلُه: تفسير سُورة ص

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا